مبرة
الآل والأصحاب

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الشئون الثقافية
إدارة الثقافة الإسلامية

سيرة أمير المؤمنين
عثمان بن عفان ذي النورين رضي الله عنه

تأليف

حازم الشربيني
أحمد حمودة عبد الرؤوف

مبرة
الآل والأصحاب

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الشئون الثقافية
إدارة الثقافة الإسلامية

سيرة أمير المؤمنين
عثمان بن عفان ذي النورين رضي الله عنه

تأليف
حازم الشربيني
أحمد حمودة عبد الرؤوف

الطبعة الأولى - دولة الكويت

الآراء المنشورة في هذه السلسلة لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الثقافة الإسلامية

الموقع الإلكتروني: www.islam.gov.kw/thaqafa

تم الحفظ والإيداع بمركز المعلومات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

رقم الإيداع: 144 / 2017

سيرة أمير المؤمنين
عثمان بن عفان
ذي النورين رضي الله عنه

تصدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين!. وبعد،

تكمن أهمية جيل النبوة في كونه تتبّعَ النَّبِيَّ ﷺ في أحواله وأقواله وأفعاله، وكُلَّما كان الرجل من هذا الجيل الفريد قريبًا من رسول الله كان ذلك أدعى إلى شمول علمه وإلمامه بسنة النبِيِّ ﷺ.

ولقد كان أحدٌ أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ عثمانَ بن عفان ﵁، ومن ثَمَّ، فسيرته ليست مجرّد سيرة خليفةٍ من خلفاء النبي ﷺ في حراسة الدين وسياسة الدنيا فحسب، بل سيرة رجلٍ آمَنَ بدعوة التوحيد منذ بزوغ فجرها وسار حاملاً نورها داعيًا إليها متحمِّلاً في سبيلها الابتلاءات ومواجهًا الصعاب ومهاجرًا في سبيل الله حتى لقى الله شهيدًا وهو يعض على مبادئ دينه بنواجذه.

وبرغم وفرة المكتوب حول شخصية الخليفة الثالث ذي النورين سيدنا عثمان بن عفّان ﵁، لكن هذه الكتابات على كثرتها لم تزل بحاجةٍ إلى تسديد أهل العلم ومقارباتهم العلمية التي تعكس سيرة هذه الشخصية من مختلف جوانبها. ويأتي كتاب «سيرة ذي النورين عثمان بن عفان» لمؤلِّفَيْهِ الأستاذَيْنِ: حازم الشربيني وأحمد عبد الرؤوف حمزة، في عداد الأعمال التاريخية التي أبلت بلاءً حسنًا في إلقاء مزيدٍ من الأضواء على سيرة ذي النورين عثمان بن عفّانٍ ﵁ بمنهجيةٍ متميزة.

ويسر إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت أن تقدم هذا العمل العلمي المبارك إلى جمهور القراء الكرام، آملة عموم نفعه، داعية المولى عز وجل يجزي عنه مُؤَلِّفَيْهِ خيرَ الجزاء!..

إدارة الثقافة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

١- [آل عمران: ١٠٢].

٢- [النساء: ١].

٣- [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بعد :

تعبداً بعبادة من أفضل العبادات، وإيماناً بنعمة من أشرف النعم، وشوقاً إلى مسرة أرفع من جميع المسرات، ونبوا بضمائرنا عن العيش الذي لا يعرف النعم والمسرات إلا في أحضان الرذائل والشهوات.

نقدم كتاباً يتحدث عن سيرة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وعصره، فنتقدم إلى الباحثين والقارئين من أبناء أمتنا بكتاب من سلسلة التاريخ الإسلامي في حياة عثمان بن عفان رضي الله عنه وخلافته. نقف فيه أمام عظيم من العظماء، وبطل من أبطال الإسلام، وشهيد من شهدائه، وصفحة نقية من صفحات النوع الإنساني، مليئة بقيم الأخلاق وعقائد الخير والفلاح.

إن سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه نمط من أنماط متعددة، زخرت بها الدعوة الإسلامية من سير الخلفاء، وغير الخلفاء: أبي بكر وعمر وعلي وأبي عبيدة وعبد الرحمن بن عوف ... وأمثالهم من الصحابة والتابعين، ما منهم إلا من كان عظيماً بمَزْية، وعلماً من أعلام التاريخ، وسر موضع هؤلاء وهذه المكانة هو دين الإسلام.

فأين كان هؤلاء من العظمة ومن التاريخ بين الإنسان لولا العقيدة الدينية، ولولا الرسالة المحمدية.

ليقل من شاء من فلاسفة التاريخ ما يشاء في التعليل والتحليل والتلخيص والتفصيل، فمهما يقل القائلون ومهما يشرح الشارحون، فليس من السهل على عقل رشيد أن يزعم أنها كلها خدعة وَهْمٍ في رءوس أناس جاهلين!

ولا حاجة هنا إلى الفلسفة، ولا إلى الحذلقة، ولا إلى الجدل الطويل؛ فالقول الفصل بعد كل قول ووراء كل شرح: إن الوهم الخادع في رءوس الجاهلين خير ألا يكون، وماذا يبقى من تاريخ الإنسانية لو حذفنا منه هذه العوامل الحية، وقلنا مع القائلين: إنها وَهْم من الأوهام كان خيراً لها أنه لم يكن ولم يكن بعده ما جرى في مجراه؟!

فربما كانت سيرة الخليفة الثالث ذي النورين أوفى السير بالشواهد على الخصائص التي تلازم تاريخ العقيدة في أطوارها الأولى، ولا سيما أطوار التحول في طريق الاستقرار.

وأبرز هذه الخصائص في تاريخ العقيدة أنه تاريخ قيم ومبادئ، وليس بتاريخ وقائع وأحداث.

فالوقائع والأحداث تتشابه في العصور المتطاولة، ولو أننا تخيلناها معروضة في الصور الصامتة لما وجدنا من فارق يُذكر بين الوقائع والأحداث التي تفصلها من مسافة الزمن آلاف السنين.

ففي هذه السيرة -على ما نرجو، وعلى خلاف ما يخطر في بال الكثيرين لأول وهلة- شواهد على هذه العبرة الكبرى أكبر من شواهد أخرى، فلعلها لا تبرز لنا عبقرية كعبقرية الصديق أو الفاروق أو الإمام، ولكنها تبرز لنا من جانب الأريحية صفحةً لا تُطوى، ولا يستطيع العقل الرشيد أن يرجع بها إلى باعث غير باعث العقيدة والإيمان.

وفي سيرة عثمان ﵁ صدمة عنيفة تواجه كل باحث في تاريخ صدر الإسلام، وتلك هي قتلته البشعة، وهو شيخ وقور جاوز الثمانين.

لم يكن عثمان أول خليفة قتل، فإن الفاروق عمر بن الخطاب قتل قبله غيلة، وهو يقيم الصلاة.

ولكن مقتل عمر لم يكن صدمة في تاريخ العقيدة ... قتله غلام دخيل على الإسلام، ومن ورائه عصابة تدين بغير دينه، وتكره منه ما عمله لإقامة ذلك الدين، فلا غرابة ولا صدمة، ولا شيء فيه غير الفاجعة التي تفجع نفوس المسلمين.

أما تلك القتلة البشعة التي انتهت بها حياة الخليفة الثالث فشيء غير هذا، وشيء بعيد عن هذا في صدمته المفاجئة لمن يتابع تاريخ العقيدة الإسلامية في أطوارها الأولى.

فلم يمض جيل على الإسلام، ويقتل خليفة المسلمين هذه القتلة[١]؟!

وعلى الرغم من ذلك فمن أهم الفضائل والمزايا التي يتسم بها عهد عثمان رضي الله عنه: كثرة الفتوحات واتساعها في هذا العهد، فقد فتحت خراسان كلها، وفتحت أفريقيا، وامتدّ الفتح إلى الأندلس. هذا إلى جانب أعمال جليلة أخرى، قام بها عثمان، كجمعه الناس على الرسم القرآني الموثق، بعد أن سرت العجمة إلى الألسن، وخيف على القرآن من جراء ذلك. وكتوسيعه الكبير لمسجد المدينة المنورة.

ولقد جهد أعداء الإسلام، فعجزوا عن تشكيك المسلمين بعقيدتهم، ودينهم الصحيح، فعمدوا إلى الطعن في نقلته الأخيار صحابة رسول الله ﷺ رضي الله عنهم.

١- أخرج نعيم بن حماد في «الفتن» (رقم/ ١٠٠)، وابن شبة (٤/ ١٢٩٤) بإسناد رجاله ثقات أن أبا صالح سأل كعب بن مالك: أو ليس قاتل عثمان كقاتل عمر؟

فقال كعب: بلى، مائة ألف أو يزيدون.

وذلك لأنهم يعلمون أن الله حفظ لنا الدين، بصحابة رسول الله ﷺ رضي الله عنهم الذين نقلوه إلى الجيل الذي لقيهم، ومن ثم انتقل إلينا عبر الأجيال، جيلا بعد جيل، حتى وصل إلينا؛ كما تعلموه من رسول الله ﷺ.

يقول الإمام مالك عن أمثال هؤلاء: إنما هؤلاء أقوام، أرادوا القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين(١).

ويقول أبو زرعة: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن؛ أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة(٢).

فعمد هؤلاء المغرضون إلى الفتن، التي حدثت بين الصحابة، وأحاطوها بالكذب والافتراء والتزييف والتزيد، وجعلوا منها وسيلة إلى الطعن في الصحابة رضي الله عنهم.

١- انظر: «الصارم المسلول على شاتم الرسول» (ص/ ٥٨٠).

٢- انظر: «الكفاية في علم الرواية» (ص/ ٤٩)، و«منهاج السنة النبوية» (١/ ١٨).

وهذه الفتن، لم تشع فحسب، بل زيد فيها الكثير، وحرف منها شيء غير قليل، وشوه أكثرها، حتى ظهرت تلك الحوادث مشوهة.

ومن تلك الفتن المستغلة: مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، وللأسف نجح القوم في تحقيق شيء من بغيتهم، فانطلت حيلتهم على كثيرين، وتخيلوها من خلال الروايات الضعيفة المكذوبة، التي يرويها الهلكة، والمتروكون.

لذا حاولنا رصد وتحقيق الأحداث التي في سيرة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه من أكثر من مصدر قدر المستطاع، إضافة إلى التعريف بشخصيات مسرح أحداث هذه الحقبة التاريخية التي كان فيها هذا الخليفة الراشد الثالث على رأس السلطتين الزمنية والروحية.

وجاء البحث مكوناً من : مقدمة، وتمهيد، وتسعة فصول، وخاتمة :

فأما التمهيد :

فتكلمنا فيه عن خطة البحث ومنهجه.

والفصل الأول : عثمان بن عفان ﵁ في الجاهلية

والفصل الثاني : عثمان بن عفان ﵁ في المدينة

والفصل الثالث : عثمان بن عفان في عهد أبي بكر وعمر ﵄

والفصل الرابع : استخلاف عثمان بن عفان ﵁

والفصل الخامس : الفتوحات في عهد عثمان بن عفان ﵁

والفصل السادس : ظهور الرخاء في عهد عثمان بن عفان ﵁ وكثرة عطائه

والفصل السابع : مما قام به عثمان بن عفان ﵁ في ولايته، وتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول: جمع القرآن

المبحث الثاني: توسعة الحرم النبوي

المبحث الثالث: توسعة الحرم المكي

المبحث الرابع: زيادة الأذان يوم الجمعة على الزوراء

والفصل الثامن: من أخبار الولاة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: من وصايا عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الولاة

المبحث الثاني: من أخبار ولاة الكوفة

المبحث الثالث: من أخبار الولاة في البصرة

والفصل التاسع: مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتكون من خمسة مباحث:

المبحث الأول: أسباب فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه

المبحث الثاني: المآخذ التي انتقدها الخارجون على عثمان بن عفان رضي الله عنه

المبحث الثالث: أحداث مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه

المبحث الرابع: دفن عثمان بن عفان رضي الله عنه

المبحث الخامس: ولاية الأمر بعد عثمان بن عفان رضي الله عنه

والخاتمة :

وكانت عن أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث.

بسم الله الرحمن الرحيم

منهج العمل في الأبحاث

لا ريب أنَّ نزول ميدانٍ كميدان السِّيَرِ والأخبار والمغازي يعجُّ بمئات المرويات، والتي لم تلتئم على بعضها، أو تَأْرِز إلى مكانٍ واحدٍ يجمعها، بل آثرت الفرقة، وعزَّت معظم الروايات المقبولة بنفسها، فضنَّت بما فيها على كل باحثٍ عجول، أو قارئٍ يكتفي بالمشهور، وإنما اختارت أن تبقى بمنأى يحُوج طالبها إلى صبر لاستخراجها، وسعيٍ حثيثٍ للوصول إليها، أضف إلى ذلك كثرة المؤلَّفات في هذا الباب؛ كل هذا لا يجعل المهمة سهلةً ميسورة، إلا بتأنٍّ وتتبُّعٍ، بعد عون الله عَزَّ وَجَلَّ.

وقد حاولنا -قدر الاستطاعة- أن نتخيرَّ خُطة عمل تحُكم الأبحاث، وتخُرجها أقرب ما تكون إلى الدِّقة التي يرجوها كلُّ منصفٍ وباحثٍ عن الحق؛ فاهتدينا إلى ما يلي:

أولاً: جعلنا كتاب: (تاريخ الطبري) أصلاً لمادة هذا البحث، يُضاف إليه ويجُمع عليه ما يحُتاج إليه من تتمَّات وزيادات لإكمال مشهد، أو تفصيل مجُمَل، أو إزالة شُبهة وإشكال.

وسبب اختيارنا له: ما تمتَّع به صاحبه من سيرةٍ حسنةٍ، وعدالةٍ مشتهرةٍ، إضافةً إلى شموليته في كثيرٍ من الأحداث، فقد استوعب كثيراً مما كُتب قبله، فصار عمدةً لكل من جاء بعده[1]، حتى أنَّ **أبا الحسن ابن الأثير** (ت: ٦٣٠هـ) حينما أراد أن يُصنِّف كتابه في التاريخ؛ جعل كتاب الطبري أصلاً لكتابه، بل في بعض الأحداث -كالفتنة التي وقعت بين الصحابة اكتفى بكلام الطبري، ولم يُضف عليه شيئا!

يقول -رحمه الله-: «وقد جمعتُ في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتابٍ واحد، ومن تأمَّله علم صحة ذلك.

فابتدأتُ بالتاريخ الكبير الذي صنَّفه الإمام أبو جعفر الطبري، إذ هو الكتاب المعوَّل عند الكافَّة عليه، والمرجوع عند الاختلاف إليه، فأخذتُ ما فيه من جميع تراجمه، لم أخلَّ بترجمةٍ واحدةٍ منها، وقد ذكر هو في أكثر الحوادث رواياتٍ ذواتِ عدد، كل رواية منها مثل التي قبلها، أو أقلّ منها، وربما زاد الشيء اليسير أو نقصه، فقصدتُ أتمَّ الروايات فنقلتها، وأضفتُ إليها من غيرها ما ليس فيها، وأودعتُ كلَّ شيءٍ مكانه، فجاء

---

(١) انظر عن كتاب الطبري ومنهجه فيه وما تميَّز به: موارد تاريخ الطبري للدكتور علي جواد، منهج كتابة التاريخ الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري لمحمد بن صامل السلمي (ص: ٤٤٠- ٤٥١).

جميع ما في تلك الحادثة -على اختلاف طرقها- سياقاً واحداً على ما تراه.

فلما فرغتُ منه: أخذتُ غيره من التواريخ المشهورة فطالعتُها، وأضفتُ منها إلى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس فيه، ووضعت كلَّ شيء منها موضعه، إلا ما يتعلَّق بما جرى بين أصحاب رسول الله ﷺ فإني لم أُضفْ إلى ما نقله أبو جعفر شيئاً؛ إلاَّ ما فيه زيادة بيانٍ، أو اسم إنسانٍ، أو ما لا يُطعن على أحد منهم في نقله، **وإنما اعتمدتُ عليه من بين المؤرِّخين إذ هو الإمام المُتقنُ حقّاً، الجامعُ علماً وصحةَ اعتقادٍ وصدقاً.**

على أنيِّ لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة، والكتب المشهورة، ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه، وصحَّة ما دوَّنوه، ولم أكن كالخابط في ظلماء الليالي، ولا كمن يجمع الحصباء واللآلي»[(١)].

قُلنا: وقريبٌ من منهج ابن الأثير، اخترنا لهذه الأبحاث أن تسير، فجعلنا كتاب الطبري أصلاً، لكن مع تعديل وتغيير.

فالطبريُّ يورد الأحداث مرتَّبة على السنين، وهذا لم نلتزم به، وإنما وضعنا كُل حادثة في مكانها الذي نراه لائقاً، وفق ترتيب كل بحث.

فبعض الأحداث تُنقل من نسقها عند الطبري لتُوضع في فصل خاص

---

(١) الكامل في التاريخ (١/ ٦- ٧).

بالفضائل، أو الشبهات، أو غير ذلك، بحسب ما نرى الحدث ملائماً لمكانه في ترتيب البحث الذي يختاره الباحث.

أيضاً: اختار الطبريُّ لنفسه أن يُورد الرواياتِ التي يختارها في الحدث بسندها إلى قائلها وناقلها، تاركاً مسألة الحكم على الإسناد للقارئ والباحث من بعده، محُذِّراً أن يحُمِّله أحدٌ نكارة رواية، أو بشاعة نقل؛ فقال: «فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة؛ فليعلم أنه لم يُؤتَ في ذلك من قِبَلِنا، وإنما أُتِي من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنَّا إنَّما أدَّينا ذلك على نحو ما أُدِّي إلينا»(١).

وعلى هذا فروايات الطبري جامعة بين الغثِّ والسَّمين، والصَّحيح والسَّقيم، وهنا يتحتَّم علينا أن نبينِّ الفرق بين هذه المرويَّات، وما يصلح للاحتجاج وما لا يصلح إلا أن يكون في الموضوعات، ولكن لما كان التبيين لصحة كلِّ ما ذُكر، وإظهار علَّة كلِّ خبر، مما يطول به حجم الكتب والأبحاث، ولربما بعث الملل في نفس القارئ والباحث لشبهته عن جواب؛ فقد آثرنا أن نقنِّن الأمر كما يلي في:

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٨).

ثانياً: قمنا باستخراج جميع المرويات التي ورد فيها ذكر الشخصية صاحبة البحث (أبوبكر، عمر، عثمان، علي، معاوية) في الكتاب، سواءٌ في خلافته أم قبلها، وما صحَّ منها أدرجناه في البحث في موطنه اللائق به وفق ترتيب الأحداث -الذي يذكره كل باحث في مُقدِّمة بحثه-، وأمَّا ما لم يصح من هذه المرويات فهو على قسمين:

- **القسم الأول:** احتِيج إليه لاستكمال صورة الأحداث، ووصل الحلقات ببعضها البعض، فمثل هذا لا مفرَّ من إيراده، وهو عين ما فعله الطبريُّ حينما أورد الأخبار الضعيفة في ثنايا كلامه عن بعض الأحداث، وإن كان الطبريُّ أحال القارئ على السَّند؛ فإننا لن نوقعه في ذلك العَنَت، بل سنبينِّ -إن شاء الله- عند كل روايةٍ ضعيفةٍ أوردناها ضعفها، وسبب وهائها، فثقافة النظر في الأسانيد قبل قبول المتن؛ لم تعد منتشرةً بين أبناء هذا الزمان، كما كانت منتشرةً في زمان الطبري، الذي تعامل معهم من هذا المنطلق، فأحالهم على الإسناد.

وهذا القسم يتميز عن لاحقه بأنَّ ضعفه ليس شديداً، ونكارته ليست ظاهرة.

- **القسم الثاني**: لم نجد ثمَّ احتياجٌ لإيراده، خاصة مع نكارة متنه، بل في بعضها ما يكون ذكره مُحْدثاً فتنةً لعقول وقلوب بعض القارئين، فمثل هذه الروايات ضربنا صفحاً عن ذكرها، رغبةً في إماتتها، وإخمال نشرها، وهذا الفعل مِنَّا قد سبق إليه الطبريُّ، فمع ما أورد في كتابه من ضعيفٍ وموضوعٍ، ومع أنه أسند كلَّ قولٍ إلى قائله؛ إلاَّ أنَّه أعرض عن ذكر بعض الأخبار، رغم استحضاره لها، وتمكُّنه من عزوها لقائلها وإسنادها؛ وذلك لأنَّه رأى أن فيما ذكر كفاية، وأيضاً: حفاظاً على عقول وقلوب العامة.

قال الطبريُّ: «وذكر هشام، عن أبي مخنف، قال: وحدثني يزيد بن ظبيان الهمداني، أن محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية بن أبي سفيان لما ولي، فذكر مكاتبات جرت بينهما **كرهتُ ذكرها لما فيه مما لا يحتمل سماعها العامة**»(1).

فانظر كيف أَعْرضَ الطبريُّ عن ذكر بعض الروايات، لما رأى أنها لا تضيف جديداً، وأنَّها قد تتسبَّب في فتنة بعض العامة في زمانه، فكيف لو ذُكرت لأهل زماننا؟!

ومن هنا: أعرضنا عن ذكر بعض هذه الروايات لاجتماع الشرَّيْن فيها:

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٥٥٧).

ضعف الإسناد من جهة، ونكارة المتن التي لا تُتحمَّل من جهة أخرى، وإن كان الطبريُّ رأى تحمُّلها في زمانه.

والذي ينبغي أن يطمئنَ إليه القارئ، وهو ما التزمناه -بحمد الله- أثناء هذه الأبحاث؛ أنَّا لا ندع روايةً صحيحةً من كتاب الطبريِّ، وفيها ذكرٌ لصاحب البحث تندُّ عن هذا الكتاب، ونحسب تلك كافيةً للمُنْصِف -إن شاء الله-.

ثالثاً: لم نكتفِ بما ورد في تاريخ الطبري فقط، إذ كان هناك بعض الأحداث تستلزم توسُّعاً للتوضيح والتكميل، فهنا نُضيف ما نراه نافعاً من التواريخ الأخرى وكتب التراجم والطبقات، كتاريخ ابن عساكر، وتاريخ خليفة بن خياط، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي، وطبقات ابن سعد، وغير ذلك.

رابعاً: لم نتوسَّع في تخريج الأحاديث والآثار الواردة في الأبحاث، لأن هذا مما يطول به حجم الكتاب، فاقتصرنا على ذكر أهمِّ المصادر، إلا إذا قام داعٍ لغير ذلك.

خامساً: حكمنا على كل إسناد بما نُراه له مستحقًّاً، صحةً أو ضعفاً، وإن نزل الحديث أو الأثر عن الصحة؛ بيَّنَّا سبب ذلك، وِفق قواعد أهل

الحديث المبثوثة في كتبهم، والمعلومة من خلال تطبيقاتهم وعملهم.

ولعله من المفيد هنا أن نذكِّر بشيءٍ من منهجهم في التعامل مع هؤلاء الرواة الأخباريين، ونقلة السير والمغازي المشهورين، حتى لا يظنَّ أحدٌ أننا ابتعدنا عن منهجهم، أو تساهلنا في تطبيق قواعدهم.

فنقول: إنَّ الرواة هم عمود الإسناد، وأصله وسلسلته الفقرية التي لا قَوَام له إلا بها، فكلَّما قوي أمرهم؛ قوي الإسنادُ وصار صلباً في ميدان الاحتجاج والاستشهاد، والعكس أيضا.

لكنْ: ثمَّ رواة عُرف عنهم التخصص في باب من الأبواب، مع ضعفهم في غيره، فمثلا: حفص بن سليمان الكوفي المقرئ، يقول عنه الحافظ ابن حجر: «متروك الحديث، مع إمامته في القراءة»[١] فقد انتشرت روايته للقرآن في الآفاق، ولم يقبل منه العلماء حديثاً واحداً، ولم يشفع له إتقانه للقرآن في قبول الحديث، ولم يردَّ ضعفه في الحديث إتقانه للقراءات، وهذا من الإنصاف.

ومن هذا الباب أيضاً: رواة المغازي والأخبار، فكثيرٌ منهم يحُتاج إليه في هذا الفن، مع كونه غيرَ مقبولٍ عند العلماء في نقل الأحاديث، ولا

(١) تقريب التهذيب (١٤٠٥).

يعتبرون بأحاديثه!

ويمكننا أن نلحظ بوضوح هذا التفريق والتساهل في تصرُّف أحد المشتغلين بعلوم السنة، وعلامة من علاماتها في زمانه؛ وهو: الحافظ ابن حجر، وذلك من خلال جمعه بين الروايات في كتابه: فتح الباري.

فإنه في الوقت الذي يقرر فيه ردَّ رواية محمد بن إسحاق إذا عنعن ولم يُصرِّح بالتحديث، وردِّ أحاديث الواقدي لأنه متروكٌ عند علماء الجرح والتعديل، فضلاً عن غيرهما من الأخباريين الذين ليس لهم رواية في كتب السنة، كأبي الحسن المدائني وعوانة؛ فإنه يستشهد برواياتهم، ويستدلُّ بها على بعض التفصيلات، ويحاول الجمع بينها وبين الروايات الأخرى التي هي أوثق إسناداً! وهذا دليلٌ على قبوله أخبارهم فيما تخصَّصوا فيه من العناية بالأخبار والسير، وهذا هو المنهج الذي نسير عليه هنا.

وفيما يلي بعض النماذج لرواة تُكلِّم في روايتهم للحديث، ومع ذلك لم تهُدر أقوالهم في باب الأخبار والسير، لعنايتهم وتخصصهم في هذا الباب، ثم نُتبع ذلك ببعض النماذج العملية من تصرفات العلماء مع مروياتهم في أبواب المغازي والسير.

أولاً: من نماذج الرواة:

- محمد بن عمر الواقدي:

اتَّفق علماء الجرح والتعديل على ضعفه، كما نقل ذلك النوويُّ[(١)]، وقال الذهبيُّ: «استقر الإجماع على وهن الواقدي»[(٢)]، ومع ذا: نجد ثناء من البعض على علمه بالمغازي والسير خاصة، قال عنه تلميذه محمد بن سعد: «كان عالماً بالمغازي، والسيرة، والفتوح»، وقال عنه الخطيبُ البغداديُّ: «سارتْ الركبان بكتبه في فنون العلم من المغازي، والسير، والطبقات، وأخبار النبي ﷺ والأحداث التي كانت في وقته، وبعد وفاته ﷺ»[(٣)].

وقال عنه الذهبيُّ: «كان إلى حفظه المنتهى في الأخبار، والسير، والمغازي، والحوادث، وأيام الناس، والفقه، وغير ذلك»[(٤)].

وقال في موطن آخر: «وقد تقرَّر أنَّ الواقديَّ ضعيفٌ، يحُتاج إليه في الغزوات والتاريخ، ونُورد آثاره من غير احتجاج، أما في الفرائض، فلا ينبغي أن يُذكر»[(٥)].

---

(١) المجموع شرح المهذب (١/ ١١٤، ٥/ ١٢٩).

(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ٦٦٦).

(٣) تهذيب التهذيب (٩/ ٣٦٣- ٣٦٨).

(٤) ميزان الاعتدال (٣/ ٦٦٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٦٩).

وقال عنه الحافظ ابن كثير: «الواقدي عنده زياداتٌ حسنةٌ، وتاريخٌ محرَّرٌ غالباً; فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار، وهو صدوقٌ في نفسه مكثار»[١].

وقد استوعب الكلام على عدالة الواقدي ابنُ سيد الناس، ثم قال في معرض الدفاع عنه: «سعة العلم مظنَّةٌ لكثرة الأغراب، وكثرة الأغراب مظنَّةٌ للتهمة، والواقدي غير مدفوعٍ عن سعة العلم، فكثرت بذلك غرائبه»[٢].

وقال أيضاً: «وقد رُوِّينا عنه من تتبعه آثار مواضع الوقائع، وسؤاله من أبناء الصحابة والشهداء ومواليهم عن أحوال سلفهم؛ ما يقتضي انفراداً برواياتٍ وأخبار لا تدخل تحت الحصر»[٣].

والذي يظهر من مجموع كلام النقَّاد في الواقدي قبول رواياته في الأخبار والسير، ولكن لا يُعارض بها الروايات الصحيحة، والله أعلم[٤].

(١) البداية والنهاية (٤/ ٥٨٠).
(٢) عيون الأثر (١/ ٢٤).
(٣) المصدر السابق (١/ ٢٥).
(٤) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، لمحمد بن صامل السلمي (ص: ٣٥٦).

- سيف بن عمر التميمي:

نقل الحافظ ابن حجر في ترجمته تضعيفَ العلماء له، وتشبيه بعضهم له -كأبي حاتم الرازي- بالواقدي[(١)]، ولما أراد الحافظ أن يُصدر عليه حكماً كلِّياً قال: «ضعيف الحديث، عمدةٌ في التاريخ»[(٢)].

وقد اعتمده الطبريُّ في أخبار الفتوح، وذكر رواياته في الفتنة، وقد أكثر عنه بهذا الإسناد: «كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف بن عمر»، أو: «حدثني السري، عن شعيب، عن سيف بن عمر»، ومجموع مروياته في تاريخ الطبري: مئتين وستٍّ وستِّين رواية[(٣)].

- أبو الحسن علي بن محمد المدائني:

تُرجم له في كُتب الضعفاء[(٤)]، وقال عنه ابن عدي: «ليس بالقوي في الحديث، وأقلَّ ما له من الروايات المسنَدة»[(٥)]، ومع ذلك: نجد الطبريَّ

---

(١) تهذيب التهذيب (٤/ ٢٩٥).

(٢) تقريب التهذيب (٢٧٢٤).

(٣) منهج كتابة التاريخ الإسلامي (ص: ٤٦٧).

(٤) انظر: الكامل في الضعفاء (٦/ ٣٦٣)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٥٣)، ديوان الضعفاء (٢٩٦١)، لسان الميزان (٦/ ١٣).

(٥) الكامل في الضعفاء (٦/ ٣٦٣- ٣٦٤).

يقول عنه: «كان عالماً بأيام الناس، صدوقاً في ذلك»[١]. وكذلك أكثر عنه في تاريخه، وغالب رواياته من طريق عمر بن شبة، وبعضها أخذه من كتبه مباشرة.

وقال عنه الخطيب البغدادي: «وكان عالماً بأيام الناس، وأخبار العرب وأنسابهم، عالماً بالفتوح والمغازي ورواية الشعر، صدوقاً فِي ذلك»[٢].

وقال أبو العباس أَحمد بن يحيى النحوي: «من أراد أخبار الجاهلية فعليه بكتب أَبِي عبيدة، ومن أراد أخبار الإسلام فعليه بكتب المدائني»[٣].

- **أبو مخِنف لوط بن يحيى:**

ضعَّفه عامة أهل الجرح والتعديل[٤]، وقال عنه الذهبيُّ: «أخباريٌّ تالفٌ، لا يُوثقُ به»[٥]، ثم قال عنه في موطن آخر: «صاحب تصانيف وتواريخ،....، وهو من بابة سيف بن عمر التميمي صاحب «الردَّة»، وعبد الله بن عياش المنتوف، وعوانة بن الحكم»[٦].

(١) لسان الميزان (٦/ ١٣).
(٢) تاريخ بغداد (١٢/ ٥٥).
(٣) المصدر السابق.
(٤) الضعفاء والمتروكون للدارقطني (٤٤٩)، لسان الميزان (٦/ ٤٣٠).
(٥) ميزان الاعتدال (٣/ ٤١٩).
(٦) سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٠٢).

- محمد بن إسحاق بن يسار المدني:

قال عنه الدارقطني: «لا يُحتَجُّ به، وإنما يُعتبر به»[١].

وقال عنه الذهبي: «كان في العلم بحراً عجَّاجاً، لكنه ليس بالمجوِّد كما ينبغي»[٢]، وقال: «قد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحدٍ من العلماء»[٣].

ومع هذا فهو يثني عليه في علم المغازي والسير؛ فيقول: «قد كان في المغازي علاَّمةً»[٤].

وقال أيضاً عنه: «له ارتفاعٌ بحسبه، ولا سيَّما في السير، وأما في أحاديث الأحكام: فينحطُّ حديثه فيها عن رتبة الصحة إلى رتبة الحسن، إلا فيما شذَّ فيه، فإنه يُعدُّ مُنكَراً، هذا الذي عندي في حاله، والله أعلم»[٥].

وقد سبقه إلى ذلك: الإمام أحمد، حيث قال -وذكر محمد بن إسحاق-: «أما في المغازي وأشباهه: فيكتب، وأما في الحلال والحرام: فيحتاج إلى

---

(١) سؤالات البرقاني (٤٢٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٥).

(٣) المصدر السابق (٧/ ٣٩).

(٤) المصدر السابق (٧/ ٣٧).

(٥) المصدر السابق (٧/ ٤١).

مثل هذا، ومدَّ يده وضم أصابعه»(١).

وقال العباس بن محمد: سمعتُ أحمد بن حنبل، وقيل، له: ما تقول في موسى بن عبيدة؟ وفي محمد بن إسحاق؟ فقال: «أما محمد بن إسحاق: فهو رجل يكتب هذه الأحاديث، كأنه يعني المغازي وما أشبهها، أما موسى بن عُبيدة: فلم يكن به بأس»(٢).

وقال الشافعيُّ: «من أراد أن يتبحَّر في المغازي؛ فهو عيال على محمد بن إسحاق»(٣).

إذن بعد هذا: كيف يُتعامل مع هذا الصنف من الرواة؟

لا شكَّ أن انفرادهم برواية حديث، أو واقعة يُستفاد منها تشريعٌ، أو حُكمٌ عقديٌّ، أو تحمل طعناً في أحدٍ ممن ثبتت عدالتهم بيقين؛ لا يقبله من لديه مسحةٌ من علم بأصول القبول والرد، هذا لا يُنازَعُ فيه.

أمَّا ما نقلوه من أخبارٍ، تحمل بعض التفاصيل التي لا تتعرَّضُ لشيءٍ مما ذُكر، وإنما يكون فيها زيادةٌ لا تضر، وتفاصيل قد تساعد على تصوُّرٍ أقرب لما كانت عليه الأحداث؛ فهذا لا بأس بإيراده، وعلى هذا يحُمل

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٧/ ١٩٣).

(٢) الضعفاء الكبير للعقيلي (٤/ ٢٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٦).

قول من قَبِل كلامهم من العلماء في أبواب المغازي والسير.

ولذا فإذا ما مرَّ بك عزيزي القارئ أثرٌ، ووجدت الحكم بضعف الإسناد مُصدَّراً عليه، وسبب ذلك وجود أحد هؤلاء؛ فتذكَّرْ تلك القاعدة التي تقدَّمت، وهي: أنَّ حالهم في نقل هذه الأخبار، مما لا يترتب عليه شيء من أحكام العقائد والتشريعات؛ مما يُتساهل فيه.

وهذه قاعدةٌ وضعها أحدُ أئمَّة الحديث في زمانه، عبدُ الرحمن بن مهدي، حينما قال: «إذا رُوِّينا عن النبي ﷺ في الحلال والحرام، والأحكام؛ شدَّدنا في الأسانيد، وانتقدنا الرجال، وإذا رُوِّينا في فضائل الأعمال، والثواب والعقاب، والمباحات والدعوات؛ تساهلنا في الأسانيد»(1).

فاجعل هذا الأمر منك على ذكر.

وفيما يلي بعض النماذج العمليَّة من تصرفات العلماء مع مرويَّاتهم في هذا الباب:

- صنيع **البخاريِّ** في صحيحه مع راوٍ كمحمد بن إسحاق، حيث لم يعتمده كرجلٍ من رجاله في الأحاديث، لكنه علَّق عنه في أبواب المغازي

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه الحاكم (١/ ٦٦٦)، وفي المدخل إلى الإكليل (ص: ٢٩)، والخطيب في الجامع (١٢٦٧).

كثيراً، من ذلك قوله: «قال ابن إسحاق: أول ما غزا النبي ﷺ: الأبواء، ثم بُواط، ثم العُشيرة»[(١)].

وقوله: «قال ابن إسحاق: سمعت وهب بن كيسان، سمعت جابراً، خرج النبي ﷺ إلى ذات الرقاع من نخل، فلقي جمعاً من غطفان، فلم يكن قتالٌ، وأخاف الناس بعضهم بعضاً، فصلى النبي ﷺ ركعتي الخوف»[(٢)].

وقوله: «باب غزوة بني المصطلق، من خزاعة، وهي غزوة المريسيع، قال ابن إسحاق: وذلك سنة ست»[(٣)].

- ونجد **الطبريَّ** في كتابه التاريخ أكثر عن مثل هؤلاء الأخباريين المذكورين، بينما في كتابٍ له كتهذيب الآثـار، عُني فيه بالأحاديث والاحتجاج بها؛ لا نجدُ ذكراً لهم!

- كذلك **الحافظ ابن حجر** اعتبر بروايات هؤلاء الأخباريين في شرحه لصحيح البخاري، ومن ذلك:

---

(١) صحيح البخاري (٥/ ٧١).

(٢) صحيح البخاري (٤١٢٧).

(٣) المصدر السابق (٥/ ١١٥).

أنَّه في أول كتاب المغازي[١] ذكر عدد غزوات الرسول ﷺ، وعدد بعوثه وسراياه، وعدد الغزوات التي وقع فيها قتال، فاستشهد بأقوال أهل السير؛ مثل: محمد بن إسحاق، والواقدي، ومحمد بن سعد، وذَكَر خلافهم، وجمع بين أقوالهم وأقوال من هم أوثق منهم من رواة الصحيح، وفعل مثل هذا عند حديثه عن عدد أهل بدر[٢].

وفي قصة مقتل أبي جهل يوم بدر، جعل الحافظ رواية ابن إسحاق جامعة بين الروايات، رغم مخالفتها لما في الصحيح[٣]!

كذلك في قصة بني النضير ومتى كان حصارُهم، ذكر ابنُ إسحاق أنها كانت بعد أحدٍ، وبعد استشهاد القرَّاء في بئر معونة، بينما نجد البخاري ينقل في الصحيح عن عروة أنها كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، أي: قبل أحد، وقد مال الحافظ ابن حجر إلى ترجيح رواية ابن إسحاق رغم إيراده سبباً للغزوة غير ما ذكر ابن إسحاق[٤]!

---

(١) فتح الباري (٧/ ٢٧٩).

(٢) المصدر السابق (٧/ ٢٩١).

(٣) المصدر السابق (٧/ ٢٩٦).

(٤) المصدر السابق (٧/ ٣٣١).

وكل هذا الصنيع منهم، ومن غيرهم، يؤكِّد لنا على صحَّة ما قدَّمناه، من التفريق بين روايتهم للأحاديث المرفوعة، وكذلك ما يُستفادُ منه حكمٌ شرعيٌ، أو تأصيلٌ عقديٌّ، أو طعنٌ فيمن ثبتت عدالتهم، وبين الأخبار العامة، وتفاصيل السير المجملة، التي لا تمسُّ شيئاً مما سبق. والله أعلم.

سيرة أمير المؤمنين
عثمان بن عفان
ذي النورين
رضي الله عنه

التمهيد

قال محب الدين الخطيب: إن التاريخ الإسلامي لم يبدأ تدوينه إلا بعد زوال بني أمية وقيام دول لا يسر رجالها التحدث بمفاخر ذلك الماضي، ومحاسن أهله فتولى تدوين تاريخ الإسلام ثلاث طوائف:

طائفة كانت تنشد العيش والجده من التقرب إلى مبغضي بني أمية بما تكتبه وتؤلفه.

وطائفة ظنت أن التدوين لا يتم ولا يكون التقرب إلى الله إلا بتشويه سمعة أبي بكر وعمر وعثمان وبني عبد شمس جميعاً.

وطائفة ثالثة من أهل الإنصاف والدين -كالطبري وابن عساكر وابن الأثير وابن كثير- رأت أن من الإنصاف أن تجمع أخبار الإخباريين من كل المذاهب والمشارب كلوط بن يحي (أبو مخنف) المحترق وسيف بن عمر العراقي المعتدل، ولعل بعضهم اضطر إلى ذلك إرضاءً لجهات كان يشعر بقوتها ومكانتها، وقد أَثبتَ أكثرُ هؤلاء أسماء رواة الأخبار التي أوردوها ليكون الباحث على بصيرة من كل خبر بالبحث عن حال راويه، وقد وصلت إلينا هذه التركة لا على أنها تاريخنا بل على أنها مادة غزيرة للدرس والبحث يستخرج منها تاريخنا وهذا ممكن وميسور إذا تولاه

من يلاحظ مواطن القوة والضعف في هذه المراجع وله من الألمعية ما يستخلص به حقيقة ما وقع ويجردها عن الذي لم يقع، مكتفياً بأصول الأخبار الصحيحة مجردة عن الزيادات الطارئة عليها.

وإن الرجوع إلى كتب السنة وملاحظات أئمة الأمة مما يسهل هذه المهمة، وقد آن لنا أن نقوم بهذا الواجب الذي أبطأنا فيه كل الإبطاء وأول من استيقظ في عصرنا للدسائس المدسوسة على تاريخ بني أمية العلامة الهندي الكبير الشيخ شبلي النعماني في انتقاده لكتب جرجي زيدان ثم أخذ أهل الألمعية من المنصفين في دراسة الحقائق فبدأت تظهر لهم وللناس منيرة مشرقة ولا يبعد إذا استمر هذا الجهاد في سبيل الحق أن يتغير فهم المسلمين لتاريخهم ويدركوا أسرار ما وقع في ماضيهم من معجزات[١].

فالآثار المروية في مساوئ هذا الجيل الفريد: منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير من وجهه، والصحيح منه: هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق، والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم -إن صدر- حتى إنهم يغفر لهم من السيئات، ما لم يغفر لمن بعدهم؛

١- حاشية «العواصم من القوا صم» (ص/ ١٧٧- ١٧٨) بتصرف يسير.

لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم ...[١].

ولقد حاول المستشرقون أن ينشروا كل رواية باطلة تُنقص من شأن الصحابة الكرام، وتطعن في تاريخ الأمة المجيد، وتصور تاريخهم بأنه صراع على السلطة والسيادة والنفوذ، ولذلك يجب الحذر من كل منافق كاذب، ومستشرق حاقد، وعلماني جاهل، وكل من سار على نهجهم.

ولا بد من الدفاع المستميت عن تاريخنا الخالد والهجوم الشجاع على مناهج الكذابين والمنحرفين، ويكون هذا الهجوم المبارك بقذائف الحق العلمية المملوءة بالحقائق الساطعة والأدلة القاطعة والبراهين الدامغة.

فصياغة التاريخ الإسلامي بمنهج أهل السنة والجماعة ضرورة ملحة لأبناء الأمة، وقد بدأت أقلام الباحثين والكتاب تصوغ التاريخ من هذا المنظور وهم لم يبدءوا من فراغ؛ لأن الله حمى دينه وحمى أمة الإسلام فقيض لتاريخ الصحابة من يحقق وقائعه ويصحح أخباره، ويكشف الستر عن الوضاعين والكذابين من ملفقي الأخبار، ويرجع الفضل في ذلك التصحيح إلى الله ثم أهل السنة والجماعة من أئمة الفقهاء والمحدثين الذين حفلت مصادرهم بالكثير من الإشارات والروايات الصحيحة

١- انظر: «العقيدة الواسطية» (ص/ ١٧٤).

التي تنقض وترد كل ما وضعه الملفقون[١].

واستكمالاً للجهاد في هذا المنهاج، جاء بحثنا لبنة في البناء، ونافذة نطل منها على واحد من خير جيل بعد الأنبياء، راجين ربنا أن يجعله ذخراً ليوم الميعاد، إنه هو الوهاب.

١- انظر: «المنهج الإسلامي لكتابة التاريخ» لمحمد محزون (ص/ ٤).

الفصل الأول
عثمان بن عفان
رضي الله عنه
في الجاهلية

اسمه ونسبه وكنيته وألقابه

هو : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب[١]، ويلتقي نسبه بنسب رسول الله في عبد مناف.

وأمه : أروى بنت كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي[٢]، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب، وهي شقيقة عبد الله والد النبي ﷺ، ويقال: إنهما وُلدا توأماً (حكاه الزبير بن بكار)، فكان ابن بنت عمة النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ ابن خال والدته.

وقد أسلمت أم عثمان، وماتت في خلافة ابنها عثمان، وكان ممن حملها إلى قبرها[٣].

وأما أبوه : فهلك في الجاهلية.

كان عثمان يُكنى في الجاهلية أبا عمرو، فلما وُلد له من رقية بنت رسول الله غلامٌ سماه عبد الله، واكتنى به، فكناه المسلمون أبا عبد الله[٤].

١- انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٥٣)، و«الإصابة» (٤/ ٣٧٧).

٢- انظر: «التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان» لمحمد يحيى الأندلسي (ص/ ١٩).

٣- انظر: «الخلافة الراشدة والدولة الأموية» ليحيى اليحيى (ص/ ٣٨٨).

٤- انظر: «التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان» لمحمد يحيى الأندلسي (ص/ ١٩).

قال الواقدي: إن عثمان بن عفان ﵁ كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو، فلما كان في الإسلام وُلد له من رقية بنت رسول الله ﷺ غلامٌ فسماه عبد الله، واكتنى به، فكناه المسلمون أبا عبد الله، فبلغ عبد الله ست سنين، فنقره ديك على عينه، فمرض فمات في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة، فصلى عليه رسول الله ﷺ، ونزل في حفرته عثمان ﵁ (١).

وكان عثمان ﵁ يلقب بذي النورين، وقد ذكر بدر الدين العيني أنه قيل للمهلب بن أبي صفرة: لم قيل لعثمان: ذو النورين؟

فقال: لأنا لا نعلم أحداً أرسل ستراً على بنتيْ نبي غيرُه (٢).

وقال عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي: قال لي خالي حسين الجعفي: يا بني أتدري لِمَ سُمي عثمان ذا النورين؟

قلتُ: لا أدري.

قال: لم يجمع بين ابنتي نبي منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة غير عثمان، فلذلك سمي ذا النورين (٣).

١- [إسناده صحيح إلى الواقدي]: أخرجه الطبري (٤/ ٤١٩- ٤٢٠) بإسناد صحيح عن الواقدي به، ويبقى النظر في حال الواقدي، والانقطاع بينه وبين زمن عثمان ﵁..

٢- «عمدة القاري» (١٦/ ٢٠١).

٣- انظر: «السنن الكبرى» للبيهقي (٧/ ٧٣).

وقيل: سمي بذي النورين؛ لأنه كان يكثر من تلاوة القرآن في كل ليلة في صلاته، فالقرآن نور، وقيام الليل نور[١].

مولده

وُلد في مكة بعد عام الفيل بست سنين على الصحيح[٢].

وقيل: ولد في الطائف، فهو أصغر من رسول الله ﷺ بنحو خمس سنين[٣].

صفاته الخَلْقية

كان عثمان بن عفان ﷺ رجلاً ليس بالقصير ولا بالطويل، رقيق البشرة، كث اللحية عظيمها، عظيم الكَرَاديس[٤]، عظيم ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس، يصفِّر لحيته، حسن الشعر، حسن الوجه، أصلع، أروح

١- انظر: «عثمان بن عفان ذو النورين» لعباس العقاد (ص/ ٧٩).

٢- انظر: «الإصابة» (٤/ ٣٧٧).

٣- انظر: «عثمان بن عفان» لصادق عرجون (ص/ ٤٥).

٤- الكَرَاديس: جمع كُرْدوس، وهو كل عظمين التقيا في مفصل؛ انظر: «الصحاح» (٣/ ٩٧٠).

الرِّجلين[١]، أقنى[٢]، خَدْل الساقين[٣]، طويل الذراعين، قد كسا ذراعيه جعد الشعر، أحسن الناس ثغراً، جُمَّته[٤] أسفل من أذنيه، حسن الوجه، والراجح أنه أبيض اللون، وقد قيل: أسمر اللون[٥].

قال الحسن البصري: دخلت المسجد، فإذا أنا بعثمان رضي الله عنه متكئاً على ردائه، فنظرت إليه، فإذا رجل حسن الوجه، وإذا بوجهه نَكَتَاتٌ من جدري، وإذا شعره قد كسا ذراعيه[٦].

وقال الواقدي: سألت عمرو بن عبد الله بن عنبسة، وعروة بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وعبد الرحمن بن أبي الزناد عن صفة عثمان، فلم أر بينهم اختلافاً، قالوا: كان رجلاً ليس بالقصير ولا بالطويل، حسن

١- أروح الرِّجلين: منفرج ما بينهما؛ انظر: «تهذيب اللغة» (٣/ ٢٨٤).
٢- أقنى: طويل الأنف مع دقة أرنبته، وحدب في وسطه؛ انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٤٩١).
٣- خَدْل الساقين، أي: ضخم الساقين؛ انظر: «الصحاح» (٤/ ١٦٨٣).
٤- الجُمَّة: مجتمع شعر الرأس؛ انظر: «مختار الصحاح» (ص/ ٦١).
٥- انظر: «صفة الصفوة» (١/ ٢٩٥)، و«صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النورين» (ص/ ١٥).
٦- [إسناده ضعيف]: أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في «زوائد المسند» (١/ ٧٣)، والطبري (٤/ ٤١٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٨٠): «فيه: أبو المقدام هشام بن زياد، وهو متروك».

الوجه، رقيق البشرة، كث اللحية عظيمها، أسمر اللون، عظيم الكراديس، عظيم ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس، يصفر لحيته(١).

وقال الزهري: كان عثمان رجلاً مربوعاً، حسن الشعر، حسن الوجه، أصلع، أروح الرجلين(٢).

أسرته

أولاً- زوجاته:

رقية وأم كلثوم ابنتا رسول الله ﷺ: وولدت له رقية عبد الله.

وفاختة ابنة غزوان بن جابر بن نسيب بن وهيب بن زيد بن مالك بن عبد بن عوف بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر: ولدت له ابناً فسماه عبد الله، وهو عبد الله الأصغر، وقد هلك.

وأم عمرو بنت جندب بن عمرو بن حممة بن الحارث بن رفاعة بن

١- [إسناده صحيح إلى الواقدي]: أخرجه الطبري (٤/ ٤٩) بإسناد صحيح عن الواقدي به، ويبقى النظر في حال الواقدي.

٢- [إسناده صحيح إلى الزهري]: أخرجه الطبري (٤/ ٤١٧) بإسناد صحيح عن الزهري به، ويبقى النظر في عدم إدراك الزهري لزمن عثمان؛ أي: لم يره.

سعد بن ثعلبة بن لؤي بن عامر بن غنم بن دهمان بن منهب بن دوس: من الأزد، ولدت له عمراً وخالداً وأباناً وعُمر ومريم.

وفاطمة ابنة الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم: ولدت له الوليد وسعيداً وأم سعيد، بني عثمان.

وأم البنين بنت عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري: ولدت له عبد الملك بن عثمان، وقد هلك.

ورملة ابنة شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي: ولدت له عائشة وأم أبان وأم عمرو، بنات عثمان.

ونائلة ابنة الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب بن كلب: ولدت له مريم ابنة عثمان.

وقال هشام بن الكلبي: ولدت أم البنين بنت عيينة بن حصن لعثمان عبد الملك وعتبة، وقال أيضاً: ولدت نائلة عنبسة.

وزعم الواقدي أن لعثمان ابنة تدعى أم البنين بنت عثمان من نائلة، قال: وهي التي كانت عند عبد الله بن يزيد بن أبي سفيان.

وقُتل عثمان ﷺ وعنده رملة ابنة شيبة، ونائلة، وأم البنين بنت عيينة، وفاختة ابنة غزوان، غير أنه -فيما زعم علي بن محمد المدائني- طلق أم البنين وهو محصور.

فهؤلاء أزواجه اللواتي كن له في الجاهلية والإسلام[١].

ثانياً- أبناؤه وبناته:

أما أبناؤه فقد كانوا تسعة، من خمس زوجات، وهم:

١ـ عبد الله: أمه رقية بنت رسول الله ﷺ، وُلد قبل الهجرة بعامين، وأخذته أمه معها عندما هاجرت مع زوجها عثمان إلى المدينة، وفي أوائل أيام الحياة في المدينة نقره ديك في وجهه قرب عينه، وأخذ مكان نقر الديك يتسع حتى طمر وجهه حتى مات في السنة الرابعة للهجرة، وكان عمره ست سنوات[٢].

٢ـ عبد الله الأصغر: أمه فاختة بنت غزوان.

٣ـ عمرو: أمه أم عمرو بنت جندب.

١- انظر: «تاريخ الطبري» (٤/ ٤٢٠).

٢- انظر: «التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان» لمحمد يحيى الأندلسي (ص/ ١٩)، و«الأمين ذو النورين» لمحمود شاكر (ص/ ٣٦٥).

وقد روى عن أبيه، وعن أسامة بن زيد.

وروى عنه: علي بن الحسين، وسعيد بن المسيب، وأبو الزناد.

وهو قليل الحديث.

وتزوج رملة بنت معاوية بن أبي سفيان، وتوفي سنة ثمانين للهجرة.

٤ـ خالد: أمه أم عمرو بنت جندب.

٥ـ أبان: أمه أم عمرو بنت جندب، كان إماماً في الفقه، يكنى أبا سعيد، تولى إمرة المدينة سبع سنين في عهد عبد الملك بن مروان، سمع أباه وزيد بن ثابت.

له أحاديث قليلة، منها ما رواه عن أبيه عثمان رضي الله عنه: «**من قال في أول يومه وليلته: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم لم يضره ذلك اليوم شيء أو تلك الليلة**».

فلما أصاب أبان الفالج، قال: إني والله نسيت هذا الدعاء ليمضي في أمر الله[1].

١ - [صحيح]: أخرجه أبو داود (رقم/ ٥٠٨٨)، والترمذي (رقم/ ٣٣٨٨)، وابن ماجه (رقم/ ٣٨٦٩)، وصححه الترمذي.

ويعتبر من فقهاء المدينة في زمنه، وقد توفى سنة خمس ومائة[١].

٦ـ عمر: أمه أم عمرو بنت جندب.

٧ـ الوليد: أمه فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومية.

٨ ـ سعيد: أمه فاطمة بنت الوليد المخزومية، تولى أمر خراسان عام ستة وخمسين أيام معاوية بن أبي سفيان.

٩ـ عبد الملك: أمه أم البنين بنت عيينة بن حصن، ومات صغيراً.

ويقال: ولدت نائلة بنت الفرافصة ولداً لعثمان سمى عنبسة[٢].

وأما بناته، فهن سبع من خمس نساء، منهن:

١ـ مريم: أمها أم عمرو بنت جندب.

٢ـ أم سعيد: أمها فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس المخزومية.

٣ـ عائشة: أمها رملة بنت شيبة بن ربيعة.

١- انظر: «تاريخ القضاعي» (ص/ ٣٠٨)، و«سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٥٣).

٢- انظر: «الأمين ذو النورين» لمحمود شاكر (ص/ ٣٦٩).

٤ـ مريم بنت عثمان: أمها نائلة بنت الفرافصة.

٥ـ أم البنين: أمها أم ولد[٣].

ثالثاً- إخوته وأخواته:

أما شقيقة عثمان، فهي آمنة بنت عفان، فقد عملت ماشطة في الجاهلية، ثم تزوجت الحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة المخزومي.

وأسرتْ سريةُ عبد الله بن جحش الحكمَ بن كيسان، وفي المدينة أسلم وحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ، حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً في بداية السنة الرابعة للهجرة.

وبقيت آمنة بنت عفان في مكة على شركها حتى يوم الفتح؛ حيث أسلمت مع أمها وبقية أخواتها، وبايعت رسول الله ﷺ مع هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان على أن لا يشركن بالله شيئاً، ولا يسرقن ولا يزنين[٤].

وأما إخوة عثمان من أمه، فله ثلاثة إخوة، وهم:

١ـ الوليد بن عقبة بن أبي معيط: قتل أبوه يوم بدر صبراً وهو كافر،

٣- انظر: «التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان» لمحمد يحيى الأندلسي (ص/ ٢٠).

٤- انظر: «الإصابة» (٢/ ٩٥)، و«الأمين ذو النورين» لمحمود شاكر (ص/ ٣٥٦).

وخرج الوليد مع أخيه عمارة بعد الحديبية لرد أختهما أم كلثوم التي أسلمت وهاجرت، فأبى رسول الله ﷺ ردها، أسلم يوم الفتح.

٢ـ عمارة بن عقبة: تأخر إسلامه.

٣ـ خالد بن عقبة.

وأما أخواته من أمه فهن :

١ـ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط: أسلمت بمكة، وهاجرت، وبايعت رسول الله ﷺ، وهي أول من هاجر من النساء بعد أن عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد صلح الحديبية.

٢ـ أم حكيم بنت عقبة: هي هند بنت عقبة[1].

رابعاً- أحفاده :

١ـ عبد الرحمن بن أبان بن عثمان :

أمه: أم سعيد بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة.

قال مصعب الزبيري: كان عبد الرحمن بن أبان بن عثمان من خيار

١- انظر: «الأمين ذو النورين» لمحمود شاكر (ص/ ٣٥٤).

المسلمين؛ وكان كثير الصلاة: رآه علي بن عبد الله بن عباس؛ فأعجبه هديه ونسكه؛ فقال: أنا أقرب إلى رسول الله ﷺ رحماً، وأولى بهذه الحالة. فما زال علي مجتهداً حتى مات.

وزعموا أن عبد الرحمن بن أبان كان يشتري أهل البيت؛ ثم يأمر بهم، فيكسون؛ ثم يدخلون عليه، فيقول لهم: أنتم أحرار لوجه الله، أستعين بكم على غمرات الموت، فكان يفعل ذلك كثيراً.

فيزعمون أنه صلى في مسجد له في منزله، ثم نام؛ فوجدوه ميتاً[١].

وقال موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي: ما رأيت أجمع للدين وللمملكة والشرف من عبد الرحمن بن أبان[٢].

٢ ـ عبد الله الأكبر بن عمرو بن عثمان (المطرف):

أمه: حفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب.

قال مصعب الزبيري: كان يقال لعبد الله: «المطرف» من حسنه وجماله[٣].

١- «نسب قريش» (ص/ ١٢٠).

٢- انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٩/ ٢٠٩)، و«تهذيب الكمال» (١٥/ ٤٩٢).

٣- «نسب قريش» (ص/ ١١٣).

وقال ابن حزم: لا يعلم رجل تزوج بناته أربعة خلفاء إلا عبد الله بن عمرو بن عثمان[١].

٣ـ محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان (الديباج):

أمه: فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب.

قال مصعب الزبيري: كان محمد الذي يقال له: «الديباج»، وهو ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، يفد على أمراء بني أمية؛ فإذا انصرف مر بابن عمه سعيد بن خالد بن عمرو، فأقام عنده بعض المقام؛ فعوتب محمد على ذلك؛ فقال: إنه يصلني كلما مررت به بألف دينار، وهي تقع مني موقعاً[٢].

وقال البلاذري: حدثني المدائني، قال: كان الديباج نبيلاً، فقال الناس: هو سمي النبي وابن سمي أبي النبي، ومن ذريته ونسل الخليفة المظلوم، فعظم في أعينهم وجل أمره عند أهل الشام خاصة، وهموا بأن يبايعوا له. وكان كثير التزويج، كثير الطلاق، فقالت له امرأة من نسائه: إنما مثلك مثل الدنيا لا يدوم نعيمها ولا تؤمن فجعاتها، فأخذه أمير المؤمنين

---

١ - «جمهرة أنساب العرب» (١/ ٨٥).

٢- «نسب قريش» (ص/ ١٠٦).

المنصور مع الطالبيين أيام محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي فضربت عنقه صبراً، وبعث برأسه إلى الهند وأظهر أنه رأس محمد بن عبد الله بن الحسن[١].

٤ ـ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان:

أمه: أم عثمان بنت سعيد بن العاص.

سكن دمشق، وكانت داره بناحية سوق القمح شامي، دكة المحتسب القديمة، وكان له بدمشق دور هذه أحدها، وهو صاحب الفدين -قرية من أعمال دمشق-.

روى عن: عروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب.

وروى عنه: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري -وهو من أقرانه-، ومحمد بن معن بن نضلة الغفاري، وابنه معن بن محمد بن معن بن نضلة[٢].

٥ـ عثمان بن خالد بن عمر بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان:

١- «أنساب الأشراف» (٥/ ٦٠٦).

٢- انظر: «تهذيب الكمال» (١٠/ ٤٠٨).

أخرج له ابن ماجه حديثين.

روى عن: سعيد بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الزناد، وعبد الله بن عمرو بن وهيب مولى زيد بن ثابت، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، ومالك بن أنس، والمنكدر بن محمد بن المنكدر.

وروى عنه: إبراهيم بن سعيد الجوهري، وأبو علي الحسين بن أبي زيد واسمه منصور بن سليمان بن سوار الصغدي الدفاتري المعروف بالدباغ، والقاسم بن بشر بن معروف، وابنه أبو مروان محمد بن عثمان العثماني[1].

٦ـ محمد بن عثمان بن خالد بن عمر بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان:

قال ابن حزم: أحد شيوخ الحديث، ولي قضاء مكّة للمعتصم وللواثق، روى عنه بقي بن مخلد[2].

وقال الذهبي: الإمام المحدث، أبو مروان محمد بن عثمان بن خالد الأموي، العثماني، المدني.

حدث عن أبيه، وعن: إبراهيم بن سعد، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، ومحمد بن ميمون، وعبد العزيز بن أبي حازم، وطائفة.

١- انظر: المصدر السابق (١٩/ ٣٦٤).

٢- «جمهرة أنساب العرب» (١/ ٨٦).

وعنه: ابن ماجه، وأحمد بن زيد القزاز، وإسحاق الخزاعي، وبقي بن مخلد، وجعفر الفريابي، وعمران بن مجاشع، ومحمد بن يحيى بن مندة، وآخرون[١].

مكانته في الجاهلية

كان ﵁ في أيام الجاهلية من أفضل الناس في قومه؛ فهو عريض الجاه ثري، شديد الحياء، عذب الكلمات، فكان قومه يحبونه أشد الحب ويوقرونه.

قال عن نفسه: ما تغنيت، ولا تمنيت، و لا مسست ذكري بيميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولا شربت خمراً في جاهلية ولا إسلام، ولا زنيت في جاهلية ولا في إسلام[٢].

وقد اهتم ﵁ بتجارته التي ورثها عن والده، ونمت ثرواته، وأصبح يعد من رجالات بني أمية الذين لهم مكانة في قريش كلها، فقد كان المجتمع المكي الجاهلي الذي عاش فيه عثمان يقدر الرجال حسب أموالهم، ويهاب فيه الرجال حسب أولادهم وإخوتهم ثم عشيرتهم وقومهم، فنال عثمان مكانة مرموقة في قومه، ومحبة كبيرة.

١- «سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٤١).

٢- انظر: «حلية الأولياء» (١/ ٦٠- ٦١).

ومن أطرف ما يروى عن حب الناس لعثمان لما تَجَمَّع فيه من صفات الخير أن المرأة العربية في عصره كانت تغني لطفلها أغنية تحمل تقدير الناس له وثناءهم عليه، فقد كانت تقول:

أحبـك والرحمـن حـب قريـش لعثمان(١).

إسلامه

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق، وكنت ممن استجاب لله ولرسوله، وآمنت بما بُعث به محمد ﷺ، ثم هاجرت هجرتين، ونلت صهر رسول الله ﷺ وبايعته، فوالله ما عصيته ولا غششته، حتى توفاه الله(٢).

وكان رضي الله عنه قد ناهز الرابعة والثلاثين من عمره حين دعاه أبو بكر الصديق إلى الإسلام، ولم يعرف عنه تكلؤ أو تلعثم، بل كان سباقاً، أجاب على الفور دعوة الصديق، فكان بذلك من السابقين الأولين، حتى قال ابن إسحاق: كان أول الناس إسلاماً بعد أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة عثمان(٣).

١- انظر: «موسوعة التاريخ الإسلامي» (١/ ٦١٨).

٢- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٩٢٧).

٣- انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢٨٧- ٢٨٩).

فكان بذلك رابع من أسلم من الرجال، ولعل سبقه هذا إلى الإسلام كان نتيجة لما حدث له عند عودته من الشام، وقد قصه رضي الله عنه على رسول الله ﷺ حين دخل عليه هو وطلحة بن عبيد الله، فعرض عليهما الإسلام وقرأ عليهما القرآن، وأنبأهما بحقوق الإسلام ووعدهما الكرامة من الله فآمنا وصدقا، فقال عثمان: يا رسول الله، قدمتُ حديثاً من الشام، فلما كنا بين معان والزرقاء فنحن كالنيام فإذا منادٍ ينادينا: أيها النيام هبوا، فإن أحمد قد خرج بمكة، فقدمنا فسمعنا بك[1].

وفي إسلام عثمان قالت خالته سعدى بنت كُريز:

هدى الله عثمان بقولي إلى الهدى
وأرشده والله يهدي إلى الحق
فتابع بالرأي السديد محمداً
وكان برأي لا يصد عن الصدق
وأنكحه المبعوث بالحق بنته
فكانا كبدرٍ مازج الشمس في الأفق
فداؤك يا بن الهاشمين مهجتي
وأنت أمين الله أرسلت في الخلق[2].

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه ابن سعد (٣/ ٥٥).

٢- انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩/ ٢٥).

روايته عن النبي ﷺ

ذكره ابن الجوزي في «تلقيح فهوم الأثر»[١] ضمن أصحاب المائة، وذكر أنه روى مائة وستة أربعين حديثاً.

ولعل ما يفسر هذه القلة النسبية قول عثمان بن عفان رضي الله عنه: ما يمنعني أن أحدث عن رسول الله ﷺ أن لا أكون أوعى أصحابه عنه، ولكني أشهد لسمعته يقول: «**من قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار**»[٢].

وله الكثير من الآثار الدالة على سعة فقهه وحسن فهمه في أبواب كثيرة من أبواب الفقه[٣].

صفاته الخُلُقية

١ـ سماحته في البيع والشراء:

عن عطاء بن فَرُّوخ مولى القرشيين، أن عثمان اشترى من رجل أرضاً

١- (ص/ ٢٦٤).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه الإمام أحمد (١/ ٦٥)، وصححه الضياء في «المختارة» (١/ ٤٧٨).

٣- انظرها مجموعة في: «جامع الآثار القولية والفعلية الصحيحة للخليفة الراشد عثمان بن عفان» لعاطف حماد (ص/ ١٣٧- ٢١٦).

فأبطأ عليه، فلقيه فقال له: ما منعك من قبض مالك؟

قال: إنك غبنتني فما ألقى من الناس أحداً إلا وهو يلومني.

قال: أو ذلك يمنعك؟

قال: نعم.

قال: فاختر بين أرضك ومالك، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: **«أدخل الله عز وجل الجنة رجلاً كان سهلاً مشترياً وبائعاً وقاضياً ومقتضياً»**[1].

٢ـ أمره بالرفق:

عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه، أنه سمع عثمان بن عفان، وهو يخطب وهو يقول: لا تكلفوا الأَمَةَ غير ذات الصنعة الكسب، فإنكم متى كلفتموها ذلك، كسبت بفرجها، ولا تكلفوا الصغير الكسب، فإنه إذا لم يجد سرق، وعِفُّوا إذ أعفكم الله، وعليكم من المطاعم بما طاب منها[2].

١- [حسن]: أخرجه الإمام أحمد (١/ ٥٨)، والنسائي (٧/ ٣١٨)، وابن ماجه (رقم/ ٢٢٠٢)، واللفظ للإمام أحمد، وحسنه الألباني.

وذكر عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي الحسين، ومطر الوراق عن عثمان رضي الله عنه نحو ذلك؛ انظر: «إتحاف الخيرة» (٣/ ٢٨٤- ٢٨٥).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه الإمام مالك (٢/ ٩٨١) عن أبي سهيل به.

٣ـ عدم حبه الثناء :

عن ابن سيرين أن عُتْبة بن فَرْقد عرض على ابنه التزويج فأبى، فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه، فقال له عثمان رضي الله عنه: أليس قد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تزوج أبو بكر رضي الله عنه، وتزوج عمر رضي الله عنه، وعندنا منهن ما عندنا؟!

فقال: يا أمير المؤمنين من له عمل مثل عمل النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ومثل عملك!

فلما قال: مثل عملك، قال: كف، إن شئت فتزوج، وإن شئت فلا(١).

٤ـ أدبه في الاختلاف :

عن مروان بن الحكم، أن عمر رضي الله عنه حين طعن قال: إني رأيت في الجَدِّ رأياً، فإن رأيتم أن تتبعوه.

فقال عثمان: إن نتبع رأيك فهو رشد، وإن نتبع رأي الشيخ قبلك فنعم ذو الرأي كان(٢).

١- [رجاله ثقات]: أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (رقم/ ٢٠٥٤)، وابن راهويه في «مسنده» [كما في «المطالب العالية» (٨/ ٢٧١)].

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه الدارمي (رقم/ ٦٥٥)، والحاكم (٤/ ٣٧٧)، وصححه.

٥- كرمه وسخاؤه:

مشهور عن عثمان بن عفان ﵁ كرمه وسخاؤه، فهو الذي جهز جيش العسرة، واشترى بئر رومة، وغير ذلك.

والغريب في ذلك أنه كان من سلالة الأمويين، وهي سلالة اشتهرت في الجاهلية بالحرص على المال، لا تبذله في غير مأرب أو متعة، ولم ينهض أحد منهم بتكاليف المروءة والسخاء إلا منافرة لمن ينافسهم بين الملأ، وغِيرة منهم أن يسبقوه إلى المجد والثناء، فلما أسلم عثمان ﵁ كانت شهرته الكبرى والسخاء والأريحية، فنزل عن ماله لتسيير جيش في سنة العسرة، ونزل عن ماله لشراء بئر يستقي منه المسلمون بغيرثمن، ونزل عن ماله لتوسعة المسجد، ونزل عن ماله لحمل المغارم وإعانة الملهوف والبر بالأقربين والأبعدين(١).

٦- طهارته الظاهرة:

قال حمران بن أبان: كان عثمان يغتسل كل يوم منذ أسلم(٢).

٧- شدة حيائه:

عن سالم أبي جميع، قال: حدثنا الحسن وذكر عثمان وشدة حيائه، فقال:

١- انظر: «ذو النورين عثمان بن عفان» للعقاد (ص/ ١٧).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (رقم/ ٧٥٦).

إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه[١].

٨ـ من تواضعه :

قال الحسن: رأيت عثمان نائماً في المسجد في ملحفة ليس حوله أحد وهو أمير المؤمنين[٢].

٩ـ وصيته لابنه :

قال عمرو بن عثمان بن عفان: قال لي أبي: يا بني إن وليت من أمر الناس شيئاً فأكرم قريشاً؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من أهان قريشاً أهانه الله»**[٣].

١- [رجاله ثقات]: أخرجه الإمام أحمد (١/ ٧٣)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٨٢): «رجاله ثقات».

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (رقم/ ٦٧٤)، و«فضائل الصحابة» (رقم/ ٨٠٠).

٣- [صحيح]: أخرجه الإمام أحمد (١/ ٦٤)، وابن حبان (رقم/ ٦٢٦٩)، والحاكم (٤/ ٨٣)، وصححه ابن حبان والحاكم.

علمه

١ـ أعلمهم بالمناسك:

قال محمد بن سيرين: كانوا يرون أن أعلم الناس بالمناسك ابن عفان، ثم بعده ابن عمر[١].

٢ـ أعلمهم بالفرائض:

قال الزهري: لو هلك عثمان وزيد في بعض الزمان، لهلك علم الفرائض، لقد أتى على الناس زمان وما يعلمها غيرهما[٢].

عبادته

١ـ قيامه الليل:

قال السائب بن يزيد: إن عثمان قرأ بالسبع الطوال في ركعة[٣].

وقال عبد الرحمن بن عثمان التيمي: قمت خلف المقام أصلي، وأنا

١- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ١٥٩٢٠)، وابن سعد (٣/ ٦٠).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (رقم/ ٧٤٥)، والدارمي (رقم/ ٢٨٩٤)، والبيهقي (٦/ ٣٤٧).

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (رقم/ ٢٨٤٥).

أريد أن لا يغلبني عليه أحد تلك الليلة، فإذا رجل من خلفي يغمزني فلم ألتفت إليه، ثم غمزني فالتفت، فإذا هو عثمان بن عفان، فتنحيت، وتقدم وقرأ القرآن كله في ركعة ثم انصرف[١].

وعن ابن سيرين، قالت نائلة ابنة الفرافصة الكلبية حيث دخلوا على عثمان فقتلوه، فقالت: إن تقتلوه، أو تدعوه فقد كان يحيي الليل بركعة يجمع فيها القرآن[٢].

٢ـ حبه للقرآن كلام الله :

قال الحسن: قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان: لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا، وإني لأكره أن يأتي علي يوم لا أنظر في المصحف، وما مات عثمان حتى خرق مصحفه من كثرة ما كان يديم النظر فيه[٣].

١- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٨٦٧٨)، وعبد الرزاق في «المصنف» (رقم/ ٤٦٥٣)، وصححه ابن حجر في «فتح الباري» (٢/ ٤٨٢)، وقراءة عثمان بن عفان ﵁ القرآن كله في ركعة واحدة ثابت عن غير عبد الرحمن بن عثمان؛ فانظر: «جامع الآثار القولية والفعلية الصحيحة للخليفة الراشد عثمان بن عفان» لعاطف حماد (ص/ ١٥٦- ١٥٨).

٢- [إسناده حسن]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٧١٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٨٧)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٩٤): «إسناده حسن».

٣- [رجاله ثقات]: أخرجه ابن عساكر (٣٩/ ٢٣٩).

٣ـ زهده في ملبسه وتنعله:

قال عبد الله بن شداد بن الهاد: رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه يوم الجمعة على المنبر، عليه إزار عدني غليظ، ثمنه أربعة دراهم أو خمسة، وريطة كوفية مُمَشَّقَة، ضَرْب اللحم، طويل اللحية، حسن الوجه[١].

وقال عبد الله بن الحارث، وسراقة: أول نعل رأيتها متسعة نعل رأيتها على ابن عفان[٢].

٤ـ عدم إراقة الدماء ولو دفاعاً عنه:

قال عبد الله بن عامر: سمعت عثمان يقول: إن أعظمكم عندي غناء من كف سلاحه ويده[٣].

٥ـ يقينه وخوفه من عذاب القبر:

قال هانئ مولى عثمان: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟

١- [إسناده حسن]: أخرجه الحاكم (٣/ ١٠٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٧٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٨٠): «إسناده حسن».

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن شبة (٣/ ٩٦٥).

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٢٧٠١).

فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه».

قال: وقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه»[1].

٦ـ تلبيته دعوة العبد :

عن أبي عثمان، أن غلام المغيرة بن شعبة تزوج، فأرسل إلى عثمان وهو أمير المؤمنين، فلما جاء قال: أما إني صائم غير أني أحببت أن أجيب الدعوة، وأدعو بالبركة[2].

٧ـ صلته للرحم :

قالت عائشة: كان عثمان أحصنهم فرجاً، وأوصلهم للرحم[3].

٨ـ تفقده للرعية :

عن غيلان بن جرير قال: سمعت أبا الحلال العتكي، قال: بعثني ابن

١- [حسن]: أخرجه الإمام أحمد (١/ ٦٣)، والترمذي (رقم/ ٢٣٠٨)، وابن ماجه (رقم/ ٤٢٦٧)، والحاكم (١/ ٥٢٦)، وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم.

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (رقم/ ٦٨٩).

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٢٦٩٣)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (رقم/ ٧٢٦).

عامر إلى عثمان في حاجة، فلما فرغت قال: ألك حاجة [١].

٩ـ اقتصاصه من نفسه :

عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، قال: قال عثمان: إن وجدتم في كتاب الله عز و جل أن تضعوا رجلي في القيد فضعوها [٢].

١٠ـ توبته إلى الله :

عن النزال بن سبرة، قال: سمعت عثمان بن عفان رحمة الله عليه يقول: إني أتوب إلى الله أني ظلمت، أو أني كنت ظلمت [٣].

من فضائله

١ـ افتح له وبشِّره بالجنة على بلوى تصيبه :

عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: **«افتح له، وبشره بالجنة»**، ففتحت له فإذا هو أبو بكر فبشرته بما قال رسول الله، فحمد الله، ثم جاء

١- [إسناده صحيح]: أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ١٠٢).

٢- [رجاله رجال الصحيح]: أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد «المسند» (١/ ٧٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢٧): «رجاله رجال الصحيح».

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه أبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» (ص/ ٦٣٠)، والخلال في «السنة» (رقم/ ٤٢٩).

رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: «**افتح له وبشره بالجنة**»، ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي ﷺ فحمد الله، ثم استفتح رجل فقال لي: «**افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه**»، فإذا هو عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله، ثم قال: الله المستعان[١].

هذا الحديث تضمن فضيلة هؤلاء الثلاثة المذكورين؛ وهم أبو بكر وعمر وعثمان، وأنهم من أهل الجنة كما تضمن فضيلة لأبي موسى، وفيه دلالة على جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمنت عليه الإعجاب ونحوه، وفيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ لإخباره بقصة عثمان والبلوى، وأن الثلاثة يستمرون على الإيمان والهدى[٢].

٢ـ اسكن أحد فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان:

عن أنس رضي الله عنه، قال: صعد النبي ﷺ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، فقال: «**اسكن أحد -أظنه ضربه برجله- فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان**»[٣].

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٦٩٥)، ومسلم (رقم/ ٢٤٠٣).

٢- انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٥/ ١٧٠- ١٧١).

٣- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٦٩٧).

٣ـ اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد :

عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ كان على حراء، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»[١].

٤ـ حياء عثمان رضي الله عنه :

عن يحيى بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبي ﷺ وآله وعثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابسٌ مِرْط عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك، فقضى إليه حاجته ثم انصرف، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال، فقضى إليه حاجته ثم انصرف، قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس، وقال لعائشة: «اجمعي عليك ثيابك»، فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت.

فقالت عائشة: يا رسول الله، ما لي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان؟

قال رسول الله ﷺ: «إن عثمان رجل حيي، وإني خشيت إن أذنت

١- أخرجه مسلم (رقم/ ٢٤١٧).

له على تلك الحال أن لا يبلغ إليَّ في حاجته»[١].

٥- استحياء الملائكة من عثمان:

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه. قال محمد -أحد رواة الحديث، ولا أقول ذلك في يوم واحد- فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتشَّ له ولم تُبَالِه، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تُبَالِه، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟!»[٢].

قال المناوي: مقام عثمان مقام الحياء، والحياء فرع يتولد من إجلال من يشاهده ويعظم قدره، مع نقص يجده في النفس، فكأنه غلب عليه إجلال الحق تعالى، ورأى نفسه بعين النقص والتقصير، وهما من جليل خصال العباد المقربين، فعلت رتبة عثمان كذلك، فاستحيت منه خلاصة الله من خلقه، كما أن من أحب الله أحب أولياءه، ومن خاف الله خاف منه كل

١- أخرجه مسلم (رقم/ ٢٤٠٢).

٢- أخرجه مسلم (رقم/ ٢٤٠١).

شيء[1].

٦ـ أصدقها حياءً عثمان :

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي : أبو بكر، وأشدها في دين الله : عمر، وأصدقها حياء : عثمان، وأعلمها بالحلال والحرام : معاذ بن جبل، وأقرأها لكتاب الله : أُبي، وأعلمها بالفرائض : زيد بن ثابت، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[2].

٧ـ عثمان حق أمين :

عن أبي حبيبة[3] أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام، فأذن له فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافاً» أو قال: «اختلافاً وفتنة».

١- «فيض القدير» (٤/ ٣٠٢).

٢- [صحيح]: أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٨٤)، والترمذي (رقم/ ٣٧٩١)، وابن ماجه (رقم/ ١٥٤)، والحاكم (٣/ ٢٩٩)، وابن حبان (رقم/ ٧١٣١)، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم والضياء في «المختارة» (٦/ ٢٢٦)، ورجح بعض أهل العلم إرساله؛ فانظر: «الفصل للوصل المدرج» (٢/ ٦٧٦- ٦٨٧).

٣- هو: مولى الزبير بن العوام، وجد موسى بن عقبة، انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٣/ ١٧٤)، و«الأسامي والكنى» للحاكم الكبير (٤/ ١٨٩).

فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟

قال: «عليكم بالأمين وأصحابه»، وهو يشير إلى عثمان بذلك[١].

٨ـ عثمان ودعاء الرسول ﷺ له:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ علي فرأى لحماً، فقال: «من بعث بهذا»؟

قلت: عثمان.

قالت: فرأيت رسول الله ﷺ رافعاً يديه يدعو لعثمان[٢].

وقال أبو مسعود: كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فأصاب الناس جهد حتى رأيت الكآبة في وجه المسلمين والفرح في وجوه المنافقين، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال: «والله لا تغيب الشمس حتى يأتيكم الله برزق»، فعلم عثمان أن الله ورسوله سيصدقان، فاشترى عثمان أربعين راحلة بما عليها من الطعام فوجه إلى النبي ﷺ تسعة منها، فلما رأى ذلك النبي ﷺ

١- [إسناده صحيح]: أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٤٤)، والحاكم (٣/ ١٠٥)، وصححه.

٢- [إسناده حسن]: أخرجه البزار في «مسنده» (رقم/ ٢٢٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٨٥): «إسناده حسن».

فقال: «ما هذا»؟

فقالوا: أهدى إليك عثمان، فعرف الفرح في وجه رسول الله ﷺ والكآبة في وجوه المنافقين، ورأيت النبي ﷺ قد رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه يدعو لعثمان دعاء ما سمعته دعا لأحد قبله ولا بعده: «اللهم أعط عثمان، اللهم افعل بعثمان»[١].

زواجه من رقية

فرح المسلمون بإسلام عثمان فرحاً شديداً، وتزوج بنت رسول الله ﷺ رقية، وقصة ذلك أن رسول الله ﷺ قد زوج ابنته رقية من عتبة بن أبي لهب، وزوج أختها أم كلثوم من عتيبة بن أبي لهب، فلما نزلت سورة «تبت»، قال لهما أبوهما أبو لهب، وأمهما أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب: فارقا ابنتي محمد.

ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما كرامة من الله تعالى لهما، وهواناً لابني أبي لهب.

فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة، وهاجرت معه إلى الحبشة، وولدت

١- [إسناده حسن]: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٢٤٩)، و«المعجم الأوسط» (رقم/ ٧٢٥٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٩٦): «إسناده حسن».

له هناك ولداً، فسماه عبد الله [١].

وقد كان عثمان من أبهى قريش طلعة، وكانت هي تضاهيه قسامة وصباحة، فكان يقال لها حين زفت إليه:

أحسن زوجين رآهما إنسان رقيـــة، وزوجـهـا عثمـان [٢].

وعن عبد الرحمن بن عثمان القرشي: أن رسول الله ﷺ دخل على ابنته وهي تغسل رأس عثمان، فقال: «يا بنية أحسني إلى أبي عبد الله، فإنه أشبه أصحابي بي خُلُقاً» [٣].

ابتلاؤه وهجرته إلى الحبشة

تحمل الصحابة رضوان الله عليهم من البلاء ما تنوء به الرواسي الشامخات، وبذلوا أموالهم ودماءهم في سبيل الله، وبلغ بهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ، ولم يسلم أشراف المسلمين من هذا الابتلاء.

فعن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، قال: لما أسلم عثمان بن عفان أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية فأوثقه رباطاً، وقال: أترغب عن

١- انظر: «أسد الغابة» (٧/ ١١٤).

٢- انظر: «الإصابة» (٧/ ٢٩٨).

٣- [رجاله ثقات]: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٧٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٨١): «رجاله ثقات».

ملة آبائك إلى دين محدث؟! والله لا أحلك أبداً حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين.

فقال عثمان: والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه.

فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه[١].

واشتد الإيذاء بالمسلمين جميعاً، وتجاوز الحد حيث قُتل ياسر وزوجته سمية، فدعا رسول الله ﷺ المسلمين إلى الهجرة إلى الحبشة.

وعن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت: لما ضاقت علينا مكة، وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ، وفُتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله في مَنَعة من قومه وعمه، لا يصل إليه شيء مما يكره؛ مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«إنَّ بأرض الحبشة مَلِكاً لا يُظلم أحدٌ عنده، فالحقُوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه»**[٢].

١- انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٤٠)، و«تاريخ المدينة» لابن شبة (٣/ ٩٥٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩/ ٢٦).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٩)، و«الدلائل» (٢/ ٣٠١)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم/ ٣١٩٠).

وكان عثمان رضي الله عنه أولَ من هاجر إلى الحبشة بأهله من هذه الأمة، عن أنس، قال: خرج عثمان مهاجراً إلى أرض الحبشة ومعه ابنة النبي ﷺ، فلما احتبس عن النبي ﷺ خبرهم، فكان يخرج فيتوكف عنهم الخبر. فجاءته امرأة فأخبرته، فقال النبي ﷺ: «**صحبهما الله، إن عثمان أول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط**»(١).

ولما أشيع أن أهل مكة قد أسلموا، وبلغ ذلك مهاجري الحبشة أقبلوا، حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فدخلوا في جوار بعض أهل مكة، وكان فيمن رجع عثمان بن عفان وزوجه رقية رضي الله عنهما(٢).

واستقر المقام به حتى أذن الله بالهجرة إلى المدينة، ومنذ اليوم الذي أسلم فيه عثمان لزم النبي ﷺ حيث كان، ولم يفارقه إلا للهجرة بإذنه، أو في مهمة من المهام التي يندب لها(٣).

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (رقم/ ١٣١١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٩٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٨١): «فيه الحسن بن زياد البرجمي، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات»، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم/ ٣١٨١).

٢- انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٠٢).

٣- انظر: «عثمان بن عفان» لصادق عرجون (ص/ ٨٠).

الفصل الثاني

عثمان بن عفان

رضي الله عنه

في المدينة

زواجه من أم كلثوم

عُرفتْ أم كلثوم رضي الله عنها بكنيتها، ولا يعرف لها اسم إلا ما ذكره الحاكم[١] عن مصعب الزبيري أن اسمها أمية، وهي أكبر سناً من فاطمة رضي الله عنها.

قال سعيد بن المسيب: تأيم عثمان من رقية بنت رسول الله ﷺ، وتأيمت حفصة بنت عمر من زوجها، فمر عمر بعثمان، فقال: هل لك في حفصة؟ وكان عثمان قد سمع رسول الله ﷺ يذكرها فلم يجبه، وذكر ذلك عمر للنبي ﷺ، فقال: «هل لك في خير من ذلك؟ أتزوج حفصة، وأزوج عثمان خيراً منها: أم كلثوم»[٢].

وفي رواية البخاري[٣]: قال عمر: تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله فتوفي في المدينة، فقال عمر: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة بنت عمر. قال: فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة.

١- «المستدرك» (٤/ ٥٣).

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه ابن راهويه في «مسنده» (رقم/ ٢٠٠٦)، والحاكم (٤/ ٢٥)، وقال ابن حجر في «المطالب العالية» (٨/ ١٨٢): «أصله في الصحيح من حديث ابن عمر عن عمر»؛ فانظر الحديث التالي.

٣- (رقم/ ٥١٢٢).

فقال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي، ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا.

قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر الصديق فلم يرجع إليَّ شيئاً، فكنت عليه أَوْجَدَ مني على عثمان، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟

قال عمر: نعم.

قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ، إلا أني كنت علمت أن رسول الله قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله قبلتها.

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما زوج النبي ابنته أم كلثوم قال لأم أيمن: «هيئ ابنتي أم كلثوم وزفيها إلى عثمان، وخفقي[1] بين يديها بالدف»، ففعلت ذلك، فجاءها النبي ﷺ بعد الثالثة فدخل عليها، فقال:

---

١ - خفق: اضطرب وتحرك؛ انظر: «مشارق الأنوار» (١/ ٢٤٥).

«يا بنية، كيف وجدت بعلك»؟

قالت: خير بعل(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ وقف عند باب المسجد، فقال: «يا عثمان، هذا جبريل أخبرني أن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية، وعلى مثل صحبتها»(٢)، وكان ذلك سنة ثلاث من الهجرة النبوية، في ربيع الأول، وبنى بها في جمادى الآخرة.

وفاة ابنه عبد الله

في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة مات عبد الله بن عثمان ﷺ من رقية بنت رسول الله ﷺ، وهو ابن ست سنين، فصلى رسول الله ﷺ عليه، ونزل حفرته والده عثمان(٣).

وكانت محنة عظيمة تعرض لها عثمان.

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٣٤)، ومن طريقه ابن عساكر (٣٩/ ٢٨).

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه ابن ماجه (رقم/ ١١٠)، وضعفه البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ١٨).

٣- انظر: «الكامل» لابن الأثير (٢/ ١٣٠).

وفاة أم كلثوم

لم تزل أم كلثوم عند عثمان رضي الله عنهما إلى أن توفيت في شعبان سنة تسع من الهجرة بسبب مرض نزل بها، وصلى عليها رسول الله ﷺ، وجلس على قبرها.

وعن أنس بن مالك أنه رأى النبي ﷺ جالساً على قبر أم كلثوم، قال: فرأيت عينيه تدمعان، فقال: «**هل منكم رجل لم يقارف الليلة**»؟

فقال أبو طلحة: أنا.

قال: «**فانزل في قبرها**»[1].

وعن ليلى بنت قانف الثقفية، قالت: كنت فيمن غسل أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ عند وفاتها، فكان أول ما أعطانا رسول الله ﷺ الحقو، ثم الدرع، ثم الخمار، ثم الملحفة، ثم أدرجت بعده في الثوب الآخر، قالت: ورسول الله ﷺ عند الباب ومعه كفنها يناولنا إياه ثوباً ثوباً[2].

وجاء عند ابن سعد[3] أن عليَّ بن أبي طالب، والفضل بن العباس،

١- أخرجه البخاري (رقم/ ١٣٤٢)

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٣٨٠)، وأبو داود (رقم/ ٣١٥٧)، وضعفه ابن القطان الفاسي في «بيان الوهم والإيهام» (٥/ ٥٢)، والألباني.

٣- «الطبقات الكبرى» (٨/ ٣٩)، وانظر: «الدوحة النبوية» (ص/ ٤٨).

وأسامة بن زيد، قد نزلوا في حفرتها مع أبي طلحة وأن التي غسلتها هي أسماء بنت عميس، وصفية بنت عبد المطلب.

وقد حزن عثمان رضي الله عنه على فراقه لأم كلثوم، ورأى رسول الله ﷺ عثمان رضي الله عنه وفي وجهه حزن لما أصابه، فدنا منه وقال: **«لو كانت عندنا ثالثة لزوجناكها يا عثمان»**[١].

بئر رومة

عندما قدم النبي ﷺ المدينة المنورة وجد أن الماء العذب قليل، وليس بالمدينة ما يستعذب غير بئر رومة، فقال رسول الله ﷺ: **«من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له في الجنة»**[٢]. وقال ﷺ: **«من حفر بئر رومة فله الجنة»**[٣].

وقد كانت رومة قبل قدوم النبي ﷺ لا يشرب منه أحد إلا بثمن، فلما

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في «فضائل عثمان» (رقم/ ٧٤).

٢- [حسن]: أخرجه البخاري (٣/ ١٠٩) معلقاً، ووصله الترمذي (رقم/ ٣٧٠٣)، والنسائي (٦/ ٢٣٥)، وابن خزيمة (رقم/ ٢٤٩٢)، والدارقطني في «السنن» (رقم/ ٤٤٤٧)، وحسنه الترمذي، وصححه ابن خزيمة والضياء في «المختارة» (١/ ٤٤٨)، وانظر: «تغليق التعليق» (٣/ ٣١٣).

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه البخاري (٤/ ١٣) معلقاً، ووصله الدارقطني في «السنن» (رقم/ ٤٤٤٧)، والبيهقي (٦/ ١٦٧)، وانظر: «تغليق التعليق» (٣/ ٤٢٨).

قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها: «رومة»، وكان يبيع منها القربة بِمُدٍّ، فقال النبي ﷺ: **«تبيعها بعين في الجنة»**؟

فقال: يا رسول الله، ليس لي ولا لعيالي غيرها، فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي ﷺ، فقال: أتجعل لي فيها ما جعلت له؟

قال: **«نعم»**.

قال: قد جعلتها للمسلمين[١].

وقيل: كانت رومة ركية ليهودي يبيع المسلمين ماءها، فاشتراها عثمان بن عفان من اليهودي بعشرين ألف درهم، فجعلها للغني والفقير وابن السبيل[٢].

١- انظر: «تحفة الأحوذي» (١٠/ ١٩٦).

٢- انظر: «فتح الباري» (٥/ ٤٠٨).

في ميادين الجهاد

عثمان بن عفان ﷺ وغزوة بدر الكبرى (٢ هـ)

كانت غزوة بدر الكبرى يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة.

ولما خرج المسلمون لغزوة بدر كانت زوجة عثمان السيدة رقية بنت رسول الله مريضة بمرض الحصبة ولزمت الفراش، في الوقت الذي دعا فيه رسول الله للخروج لملاقاة القافلة، وأراد عثمان أن يخرج مع رسول الله، إلا أن رسول الله أمره بالبقاء إلى جانب رقية رضي الله عنها لتمريضها.

وتوفيت رقية رضي الله عنها ودفنوها، وفيما هم عائدون إذ بزيد بن حارثة قد أقبل على ناقة رسول الله يبشر بسلامة رسول الله وقتلِ المشركين وأسرِ أبطالهم، وبعد عودة الرسول ﷺ علم بوفاة رقية رضي الله عنها، فخرج إلى البقيع يزور قبرها.

عن ابن عباس، قال: لما ماتت رقية بنت النبي ﷺ، قال النبي ﷺ: «الحقي بسلفنا عثمان بن مظعون»، فبكت النساء على رقية، فجاء عمر بن الخطاب فجعل يضربهن بسوطه، فأخذ النبي ﷺ بيده، ثم قال:

«دعهن يا عمر يبكين»، ثم قال: «ابكين، وإياكن ونعيق الشيطان ؛ فإنه مهما يكن من القلب والعين فمن الله والرحمة، ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان».

فقعدت فاطمة على شفير القبر إلى جنب النبي ﷺ فجعلت تبكي فجعل رسول الله يمسح الدمع عن عينها بطرف ثوبه(١).

قال محمد بن سعد: فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر، فقال: الثبت عندنا من جميع الرواية أن رقية توفيت ورسول الله ببدر ولم يشهد دفنها، ولعل هذا الحديث في غيرها من بنات النبي ﷺ اللاتي شهد دفنهن، فإن كان في رقية وكان ثبتاً فلعله أتى قبرها بعد قدومه المدينة، وبكاء النساء عليها بعد ذلك(٢).

وقد ضرب النبي ﷺ لعثمان بسهمه وأجره، فشاركهم في الغنيمة والفضل والأجر لطاعته الله ورسوله وانقياده لهما(٣).

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢٣٧)، وابن سعد (٨/ ٣٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٧): «فيه علي بن زيد، وفيه كلام»، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (رقم/ ١٧١٥).

٢- «الطبقات الكبرى» (٨/ ٣٠).

٣- انظر: «الإمامة» لأبي نعيم (ص/ ٣٠٢).

وعن عثمان بن عبد الله بن مَوهب قال: جاء رجل من مصر حج البيت، فقال: يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني، أنشدك الله بحرمة هذا البيت، هل تعلم أن عثمان تغيب عن بدر فلم يشهدها؟

فقال: نعم، ولكن أما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله فمرضت، فقال له رسول الله ﷺ: «**لك أجر رجل شهد بدراً وسهمه**»(١).

وعن أبي وائل عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، أنه قال: أما يوم بدر فقد تخلفتُ على بنت رسول الله ﷺ، وقد ضرب رسول الله ﷺ لي فيها بسهم، ومن ضرب له رسول الله ﷺ فيها بسهم فقد شهد(٢).

وقد عُد عثمان رضي الله عنه من البدريين كما سيأتي إن شاء الله في مآخذ الخارجين على عثمان.

عثمان بن عفان رضي الله عنه وغزوة غطفان (ذي أمَرَ) (٣هـ)

كانت غزوة غطفان (ذي أمَرَ) في شهر صفر من السنة الثالثة للهجرة.

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٦٩٨).

٢- [إسناده حسن]: أخرجه الإمام أحمد (١/ ٦٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢٦): «فيه عاصم بن أبي النجود، وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات»، وسيأتي مطولاً.

فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السويق، أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها، ثم غزا نجداً، يريد غطفان، وهي غزوة ذي أَمَر[١].

وندب رسول الله ﷺ المسلمين وخرج في أربعمائة رجل ومعهم بعض الجياد، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه فأصابوا رجلاً منهم بذي القُصَّة، يقال له: جبار، من بني ثعلبة، فأدخل على رسول الله ﷺ فأخبره من خبرهم، وقال: لن يلاقوك، لما سمعوا بمسيرك هربوا في رؤوس الجبال وأنا سائر معك، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم، وضمه رسول الله ﷺ إلى بلال ولم يلاقِ رسول الله ﷺ أحداً، ثم أقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً، وكانت غيبته إحدى عشر ليلة[٢].

عثمان بن عفان رضي الله عنه وغزوة أحد (٣ هـ)

كانت غزوة أحد في شوال من السنة الثالثة للهجرة.

وفيها كان النصر للمسلمين في أول المعركة، ولكن مال ميزان المعركة فجأة، وكان سبب ذلك أن الرماة الذين أوكل إليهم النبي ﷺ مكاناً على

١- انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٦).

٢- انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٣٤- ٣٥)، و«الروض الأنف» (٣/ ١٣٧).

سفح الجبل لا يغادرونه قد تخلوا إلا قليلاً عن أماكنهم، ونزلوا إلى الساحة يطلبون الغنائم لما نظروا المسلمين يجمعونها، وانتهز خالد بن الوليد قائد سلاح الفرسان القرشي فرصة خلو الجبل من الرماة، فكرَّ بالخيل ومعه عكرمة بن أبي جهل، فقتلوا بقية الرماة ومعهم أميرهم عبد الله بن جبير ﵁ الذي ثبت هو وطائفة قليلة معه، وفي غفلة المسلمين، وأثناء انشغالهم بالغنائم أطبق خالد ومن معه عليهم، فأعملوا فيهم القتل، فاضطرب أمر المسلمين اضطراباً شديداً، وانهزمت طائفة من المسلمين إلى قرب المدينة منهم عثمان بن عفان ولم يرجعوا حتى انفض القتال، وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي ﷺ قد قتل، وفرقة ثبتت مع النبي ﷺ، أما الفرقة التي انهزمت وفرت فلقد أنزل الله فيها قرآنا يتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾[1].

وعن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل شقيق بن سلمة، قال: لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة فقال له الوليد: ما لي أراك قد جفوت أمير المؤمنين عثمان؟

١- [آل عمران: ١٥٥].

فقال له عبد الرحمن أبلغه أني لم أفر يوم عينين[١] -قال عاصم: يقول: يوم أحد-، ولم أتخلف يوم بدر، ولم أترك سنة عمر!

قال: فانطلق فخبر ذلك عثمان.

قال: فقال: أما قوله: إني لم أفر يوم عينين، فكيف يعيرني بذنب وقد عفا الله عنه، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ ﴾[٢].

وأما قوله: إني تخلفت يوم بدر، فإني كنت أمرض رقية بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم حين ماتت، وقد ضرب لي رسول الله ﷺ بسهمي، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه فقد شهد.

وأما قوله: إني لم أترك سنة عمر، فإني لا أطيقها ولا هو، فأته فحدثه بذلك[٣].

١- قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٤/ ١٧٣): «عينان: تثنية العين، ويذكر اشتقاقه في العين بعد، وهو هضبة جبل أحد بالمدينة، ويقال: جبلان عند أحد، ويقال ليوم أحد: يوم عينين».

٢- [آل عمران: ١٥٥].

٣- [إسناده حسن]: أخرجه الإمام أحمد (١/ ٦٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢٦): «فيه عاصم بن أبي النجود، وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات»، وقد تقدم مختصراً.

عثمان بن عفان ﷺ وغزوة ذات الرقاع (٤ هـ)

بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من غطفان من ثعلبة وأنمار يريدون غزو المدينة، فخرج في أربعمائة من أصحابه حتى قدم صراراً، وكان رسول الله ﷺ قد استخلف على المدينة قبل خروجه عثمان بن عفان، لقي المسلمون جمعاً غفيراً من غطفان، وتقارب الناس، ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً، حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف ثم انصرف بالناس، وقد غاب عن المدينة خمسة عشر يوماً[1].

عثمان بن عفان ﷺ وبيعة الرضوان (صلح الحديبية) (٦ هـ)

كانت بيعة الرضوان (صلح الحديبية) في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة.

فعندما نزل رسول الله الحديبية رأى إرسال رجل إلى قريش يبلغهم بعدم الرغبة في القتال، وحرصه على احترام المقدسات، وأنه يريد أداء مناسك العمرة، والعودة إلى المدينة، فوقع الاختيار على أن يكون مبعوث الرسول إلى قريش خراش بن أمية الخزاعي، وحمله على جمل يقال له: «الثعلب»،

---

١ - انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٠٣- ٢٠٤).

فلما دخل مكة عقرت به قريش، وأرادوا قتل خراش فمنعهم الأحابيش، فعاد خراش بن أمية إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما صنعت قريش، فأراد رسول الله ﷺ أن يرسل رجلاً آخر بتبليغ قريش رسالة رسول الله ﷺ، ووقع الاختيار في بداية الأمر على عمر بن الخطاب[١]، فاعتذر لرسول الله ﷺ عن الذهاب إليهم، وأشار على رسول الله ﷺ أن يبعث عثمان مكانه، لأن له قبيلة تحميه من أذى المشركين حتى يبلغ رسالة رسول الله ﷺ[٢]، وقال لرسول الله ﷺ: إني أخاف قريشاً على نفسي، قد عرفت عداوتي لها، وليس بها من بني عدي من يمنعني، وإن أحببت يا رسول الله دخلتُ عليهم، فلم يقل رسول الله ﷺ شيئاً، قال عمر: ولكن أدلك يا رسول الله على رجل أعز بمكة مني، وأكثر عشيرة وأمنع، عثمان بن عفان.

فدعا رسول الله ﷺ عثمان رضي الله عنه، فقال: **«اذهب إلى قريش فخبرهم أنّا لم نأتِ لقتال أحد، وإنما جئنا زواراً لهذا البيت، معظمين لحرمته، معنا الهدي، ننحره وننصرف»**، فخرج عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى أتى بَلْدح[٣] فوجد قريشاً هناك، فقالوا: أين تريد؟

١- انظر: «غزوة الحديبية» لأبي فارس (ص/ ٨٣).

٢- انظر: «المغازي» للواقدي (٢/ ٦٠٠).

٣- قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (١/ ٤٨٠): «بلدح: واد قبل مكة من جهة المغرب».

قال: بعثني رسول الله ﷺ إليكم، يدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، تدخلون في دين الله كافة، فإن الله مظهر دينه ومعز نبيه، وأخرى تكفون ويَلِي هذا منه غيركم، فإن ظفروا بمحمد فذلك ما أردتم، وإن ظفر محمد كنتم بالخيار أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس أو تقاتلوا وأنتم وافرون جامون، إن الحرب قد نهكتكم، وأذهبت بالأماثل منكم.

فجعل عثمان يكلمهم فيأتيهم بما لا يريدون، ويقولون: قد سمعنا ما تقول، ولا كان هذا أبداً، ولا دخلها علينا عنوة، فارجع إلى صاحبك فأخبره أنه لا يصل إلينا.

فقام إليه أبان بن سعيد بن العاص فرحب به وأجاره، وقال: لا تقصر عن حاجتك، ثم نزل عن فرس كان عليه، فحمل عثمان على السرج وردفه وراءه، فدخل عثمان مكة فأتى أشرافهم رجلاً رجلاً: أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وغيرهما من لقي بِبَلْدح، ومنهم من لقي بمكة، فجعلوا يردون عليه: إن محمداً لا يدخلها علينا أبداً[1].

وقالوا لعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف.

فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ.

١- انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٣٤٤)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٩٠).

واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قتل[١].

فدعا رسول الله ﷺ أصحابه إلى مبايعته على قتال المشركين ومناجزتهم، فاستجاب الصحابة، وبايعوه على الموت[٢].

وفي رواية: أن البيعة كانت على الصبر[٣].

وفي رواية: على عدم الفرار[٤].

ولا تعارض في ذلك؛ لأن المبايعة على الموت، تعني: الصبر وعدم الفرار، وبايعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات: في أول الناس، وأوسطهم، وآخرهم[٥].

وقال النبي ﷺ بيده اليمنى: «هذه يد عثمان»، فضرب بها على يده[٦].

وكان عدد الصحابة الذين أخذ منهم الرسول ﷺ المبايعة تحت الشجرة

١- انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٣٤٤).

٢- أخرجه البخاري (رقم/ ٤١٦٩).

٣- أخرجه البخاري (رقم/ ٤١٦٩).

٤- أخرجه مسلم (رقم/ ١٨٥٦).

٥- انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٢٩١).

٦- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٦٩٨).

ألف وأربعمائة صحابي[١].

عثمان بن عفان رضي الله عنه وفتح مكة (٨ هـ)

كان فتح مكة في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة.

ولما كان يوم فتح مكة اختبأ عبد الله بن سعد بن أبي السرح عند عثمان بن عفان، فجاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله بايع عبد الله، فرفع رأسه، فنظر إليه ثلاثاً، كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على الصحابة فقال: «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله».

فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك؟

قال: «إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة الأعين»[٢].

وجاء في رواية[٣]: لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر، وقال: «اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة:

١- أخرجه مسلم (رقم/ ١٤٨٥).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه أبو داود في السنن (رقم/ ٢٦٨٣)، ومن طريقه الحاكم (٣/ ٤٧)، وصححه.

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه النسائي (٧/ ١٠٥)، وصححه الألباني.

عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح».

فأما عبد الله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة، فاستبق إليه سعيد بن حارث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً، وكان أشب الرجلين فقتله.

وأما عكرمة فركب في البحر فأصابتهم ريح عاصف، فقال أصحاب السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً ههنا، فقال عكرمة: والله لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص لم ينجني في البر غيره، اللهم لك عليَّ عهد إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده ولأجدنه عفواً كريماً، فجاء وأسلم.

وأما عبد الله بن سعد بن أبي السرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ، ثم ذكر الباقي كما مر معنا.

وعن ابن عباس، قال: كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله ﷺ، فأزله الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر به رسول الله ﷺ أن يقتل يوم

الفتح، فاستجار له عثمان بن عفان، فأجاره رسول الله ﷺ(١).

وذكر ابن إسحاق سبب أمر رسول الله ﷺ بقتل ابن سعد وشفاعة عثمان فيه، فقال: وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله؛ لأنه كان قد أسلم، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي، فارتد مشركاً راجعاً إلى قريش، ففر إلى عثمان بن عفان وكان أخاه للرضاعة، فغيبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن اطمأن الناس وأهل مكة فاستأمن له.

قال ابن هشام: ثم أسلم بعد، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر(٢).

عثمان بن عفان رضي الله عنه وغزوة تبوك (٩ هـ)

كانت غزوة تبوك في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة، وهي آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ بنفسه.

ففي العام التاسع الهجري أمر هرقل قواته بالاستعداد وانتظار أمره بالزحف، وترامت الأنباء إلى الرسول ﷺ فنادى في أصحابه بالتهيؤ

١- [إسناده صحيح]: أخرجه أبو داود (رقم/ ٤٣٥٨)، والنسائي (٧/ ١٠٧)، والحاكم (٢/ ٣٨٨)، وصححه.

٢- «السيرة النبوية» (٤/ ٥٧- ٥٨).

للجهاد وكان الصيف حاراً والبلاد تعاني الجدب والعسرة، وحض الرسول على التبرع، وقال: «**من يجهز هؤلاء غفر الله له**»[١].

فسارع عثمان رضي الله عنه، وقام بتجهيز الجيش حتى لم يتركه بحاجة إلى خطام أو عقال.

وكان عثمان رضي الله عنه حيث حوصر يشرف عليهم، ويقول: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من جهز جيش العسرة فله الجنة**»، فجهزتهم؟

فصدقوه بما قال[٢].

وعنه رضي الله عنه، قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك، وقد أنفقت فيه نفقة كثيرة، فقدم خالد بن الوليد بكتيبة أكيدر صاحب دومة الجندل، فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لم يعطه أحداً من أصحابه، فقلت: يا رسول الله، إن كنت إنما زدتني لنفقتي في سبيل الله، وكان ذاك بناقص من أجري فلا حاجة لي فيه.

١- [إسناده حسن]: أخرجه الإمام أحمد (١/ ٧٠)، والنسائي (٦/ ٤٦)، وصححه ابن حبان (رقم/ ٦٩٢٠)، والضياء في «المختارة» (١/ ٤٧٥).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه البخاري (٤/ ١٣) معلقاً، ووصله الدارقطني في «السنن» (رقم/ ٤٤٤٧)، والبيهقي (٦/ ١٦٧)، وانظر: «تغليق التعليق» (٣/ ٤٢٨).

فقال: «على عمد فضلتك، وليس بناقصك من أجرك».

فانصرفت، وكان عبد الرحمن بن عوف حاضراً، فقال: ما قلت لرسول الله ﷺ فإني رأيته أتبعك بصره حتى دخلت منزلك؟ فدخلني من ذلك.

فصليتُ معه الظهر، فلما سلم قام يدخل بيته فرآني، فقال: «ألك حاجة»؟

قلت: نعم.

أخبرني عبد الرحمن أنك أتبعتني بصرك، فإن كان ذلك لشيء قلتُه كرهتَه، فوالله ما أردت ما تكره.

قال: فنظر في وجهي، ثم خفض بصره إلى قدمي، ثم قال: «يا عثمان أنت قاتل أو مقتول»[١].

ويقول ابن شهاب الزهري: قَدَّم عثمان لجيش العسرة في غزوة تبوك تسعمائة وأربعين بعيراً، وستين فرساً أتم بها الألف، وجاء عثمان إلى رسول الله في جيش العسرة بعشرة آلاف دينار صبها بين يديه، فجعل الرسول يقلبها بيده، ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم»، مرتين[٢].

وهذا عبد الرحمن بن خباب يحدثنا عن نفقة عثمان، حيث قال: شهدت

١- [إسناده حسن]: أخرجه ابن شبة (٣/ ١٠٧٥).

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في «فضائل عثمان» (رقم/ ١٣٩).

النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة، فقام عثمان بن عفان، فقال: يا رسول الله، عليَّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله.

ثم حض على الجيش، فقام عثمان بن عفان، فقال: يا رسول الله، عليَّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله.

فأنا رأيت رسول الله ينزل على المنبر، وهو يقول: «ما على عثمان ما عمل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه»[١].

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنهما، قال: جاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي ﷺ جيش العسرة، قال: فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده، ويقول: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم»، يرددها مراراً[٢].

ومضى الرسول ﷺ على رأس جيشه حتى وصلوا موطناً يدعى تبوك في منتصف الطريق بين المدينة ودمشق، وهناك جاءته الأنباء بأن هرقل قد ألقى الله في قلبه الرعب بعد أن علم بخروج النبي وأصحابه إليه، ورجع الجيش بكل عتاده الذي أمده به عثمان.

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٧٥)، والترمذي (رقم/ ٣٧٠٠)، وضعفه الترمذي.

٢- [إسناده حسن]: أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٦٣)، والترمذي (رقم/ ٣٧٠١)، وحسنه الترمذي.

الفصل الثالث

عثمان بن عفان

رضي الله عنه

في عهد أبي بكر وعمر

رضي الله عنهما

طاعته التامة لأبي بكر وعمر

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: صحبت رسول الله وبايعته، والله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله، ثم استخلف الله أبا بكر، فوالله ما عصيته ولا غششته، ثم استخلف عمر، فوالله ما عصيته ولا غششته، ثم استخلفت، أفليس لي عليكم مثل الذي كان لهم علي[١]؟

وقال رضي الله عنه كذلك: إن أبا بكر الصديق أحق الناس بها -يعني: بالخلافة-، لَصِدِّيقٌ، وثاني اثنين، وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢].

مواقفه في عهد الصديق

١ـ من أهل الشورى :

كان عثمان رضي الله عنه من أهل الشورى الذين يؤخذ رأيهم في أمهات المسائل في خلافة أبي بكر، فهو ثاني اثنين في الحظوة عند الصديق؛ عمر بن الخطاب للحزامة والشدائد، وعثمان بن عفان للرفق والأناة، وكان رأيه مقدماً عند الصديق؛ فبعد أن قضى أبو بكر على حركة الردة، أراد أن يغزو الروم، وينطلق الجيش المجاهد إلى أطراف الأرض، فقام في الناس يستشيرهم،

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٨٧٢).

٢- [رجاله ثقات]: أخرجه خيثمة الأطرابلسي في «حديثه» (ص/ ١٣٤).

فقال الألباء ما عندهم، ثم استزادهم أبو بكر، فقال: ما ترون؟

فقال عثمان: إني أرى أنك ناصح لأهل هذا الدين، شفيق عليهم، فإذا رأيت رأياً لعامتهم صلاحاً، فاعزم على إمضائه فإنك غير ظنين[١].

ولما أراد الصديق أن يبعث والياً إلى البحرين استشار أصحابه، فقال عثمان: ابعث رجلاً قد بعثه رسول الله ﷺ إليهم فقدم عليه بإسلامهم وطاعتهم، وقد عرفوه وعرفهم وعرف بلاده (يعني العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه)، فبعث الصديق العلاء إلى البحرين[٢].

ولما اشتد المرض بأبي بكر استشار الناس فيمن يحبون أن يقوم بالأمر من بعده، فأشاروا بعمر، وكان رأي عثمان في عمر: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله.

فقال أبو بكر: يرحمك الله، والله لو تركته ما عدتك[٣].

٢ـ أزمة اقتصادية في عهد الصديق:

عن ابن عباس، قال: قحط المطر على عهد أبي بكر الصديق، فاجتمع

١- انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢/ ٦٣- ٦٥).

٢- انظر: «تاريخ الطبري» (٤/ ١٢٢)، و«كنز العمال» (٥/ ٦٢٠).

٣- انظر: «الكامل» لابن الأثير (٢/ ٧٩).

الناس إلى أبي بكر، فقالوا: السماء لم تمطر، والأرض لم تنبت، والناس في شدة شديدة.

فقال أبو بكر: انصرفوا واصبروا، فإنكم لا تمسون حتى يفرج الله الكريم عنكم.

قال: فما لبثنا أن جاء أجراء عثمان من الشام، فجاءته مائة راحلة برًّا -أو قال طعاماً- فاجتمع الناس إلى باب عثمان، فقرعوا عليه الباب، فخرج إليهم عثمان في ملأ من الناس، فقال: ما تشاءون؟

قالوا: الزمان قد قحط؛ السماء لا تمطر، والأرض لا تنبت، والناس في شدة شديدة، وقد بلغنا أن عندك طعاماً، فبعنا حتى نوسع على فقراء المسلمين.

فقال عثمان: حباً وكرامة، ادخلوا فاشتروا، فدخل التجار، فإذا الطعام موضوع في دار عثمان، فقال: يا معشر التجار كم تربحونني على شرائي من الشام؟

قالوا: للعشرة اثنا عشر.

قال عثمان: قد زادني.

قالوا: للعشرة خمسة عشر.

قال عثمان: قد زادني.

قال التجار: يا أبا عمرو، ما بقي بالمدينة تجار غيرنا، فمن زادك؟

قال: زادني الله تبارك وتعالى بكل درهم عشرة، أعندكم زيادة؟

قالوا: اللهم لا.

قال: فإني أشهد الله أني قد جعلت هذا الطعام صدقة على فقراء المسلمين.

قال ابن عباس: فرأيت من ليلتي رسول الله ﷺ في المنام وهو على برذون أَبْلَق[١] عليه حُلَّة من نور، في رجليه نعلان من نور، وبيده قصبة من نور، وهو مستعجل، فقلت: يا رسول الله، قد اشتد شوقي إليك وإلى كلامك فأين تبادر؟

قال: «يا ابن عباس، إن عثمان قد تصدق بصدقة، وإن الله قد قبلها منه وزوجه عروساً في الجنة، وقد دعينا إلى عرسه»[٢].

١- أي: الذي فيه سواد وبياض؛ انظر: «الصحاح» (٤/ ١٤٥١).

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه الآجري في «الشريعة» (رقم/ ١٤٨٦)، وانظر: «التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان» (ص/ ٢٣٩)، و«نزهة المجالس ومنتخب النفائس» (٢/ ٦).

٣ـ يكتب وصية أبي بكر لاستخلاف عمر ﷺ:

عن أسلم مولى عمر قال: كتب عثمان بن عفان ﷺ وصية أبي بكر الصديق ﷺ هذه إلى الخليفة من بعده، قال: حتى إذا لم يبق إلا أن يسمي الرجل أخذت أبا بكر غشية.

قال: وفرق عثمان أن يموت، ولم يسم أحداً، وعرف أنه لا يعدو عمر بن الخطاب، فكتب في الصحيفة عمر بن الخطاب، ثم طواها، فأفاق أبو بكر وقد علم أنه لم يسم أحداً.

قال: فرغت؟

قال: نعم.

قال: من سميت؟

قال: عمر بن الخطاب.

قال: رحمك الله، وجزاك خيراً؛ فوالله لو توليتها لرأيتك لها أهلاً[1].

---

١ – [إسناده صحيح]: أخرجه ابن شبة (٢/ ٦٦٧)، والحسن بن عرفة في «حديثه» (رقم/ ٣٧)، والآجري في «الشريعة» (رقم/ ١٢٠٠).

وأخرج نحوه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٢٧٠٣) بإسناد حسن عن عائشة.

مواقفه في عهد عمر

كان عثمان ذا مكانة عند عمر، فكانوا إذا أرادوا أن يسألوا عمر عن شيء رموه بعثمان، وبعبد الرحمن بن عوف.

وكان عثمان يسمى الرديف، والرديف بلسان العرب هو الذي يكون بعد الرجل، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد رئيس، وكانوا إذا لم يقدر هذان على عمل شيء ثلثوا بالعباس[١].

لقد كانت مكانة عثمان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كمكانة الوزير من الخليفة، وإن شئت فقل: هي مكانة عمر من أبي بكر في خلافته.

١- أشار على عمر بعدة أمور، منها:

١- الديوان:

لما اتسعت الفتوحات وكثرت الأموال جمع عمر ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ ليستشيرهم في هذا المال، فقال عثمان: أرى مالاً كثيراً يسع الناس، وإن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ منهم ممن لم يأخذ خشيت

١- انظر: «تاريخ الطبري» (٤/ ٨٣).

أن ينتشر الأمر، فأقر عمر رأي عثمان، وانتهى بهم ذلك إلى تدوين الدواوين[١].

٢ـ التاريخ :

جاء في بعض الروايات أن الذي أشار على عمر بجعل السنة الهجرية تبدأ بالمحرم هو عثمان، وذلك أنهم لما اتفقوا بعد مشاورات على جعل مبدأ التاريخ الإسلامي من هجرة النبي ﷺ لأنها فرقت بين الحق والباطل، تعددت الآراء في أي الأشهر يجعل بداية للسنة، فقال عثمان: أرخوا من المحرم أول السنة، وهو شهر حرام، وأول الشهور في العدة، وهو منصرف الناس من الحج، فرضي عمر ومن شهده من أصحابه رأي عثمان واستقر عليه الأمر، وأصبح مبدأ تاريخ الإسلام[٢].

٣ـ حجه مع أمهات المؤمنين :

لما استخلف عمر بن الخطاب سنة ثلاث عشرة بعث تلك السنة على الحج عبد الرحمن بن عوف، فحج بالناس، وحج مع عمر أيضاً آخر حجة

١- انظر: «تاريخ الطبري» (٥/ ٢٠٣).

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه ابن أبي خيثمة في «تاريخه» [كما في «كنز العمال» (١٠/ ٣١١)]، ومن طريقه ابن عساكر (١/ ٤٥)، وانظر: «فتح الباري» (٧/ ٢٦٩، ١١/ ٢٦٤).

حجها عمر سنة ثلاث وعشرين، وأذن عمر تلك السنة لأزواج النبي ﷺ في الحج، فحُملن في الهوادج، وبعث معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، فكان عثمان يسير على راحلته أمامهن فلا يدع أحداً يدنو منهن، وينزلن مع عمر كل منزل، فكان عثمان وعبد الرحمن ينزلان بهن في الشعاب فيقبلانهن الشعاب، وينزلان هما في أول الشعب، فلا يتركان أحداً يمر عليهن(١).

٢ـ كثرة ماله :

عن أسلم مولى عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل مولى له يدعى هنيا على الحمى، فقال: يا هني اضمم جناحك عن المسلمين، واتق دعوة المظلوم، فإن دعوة المظلوم مستجابة، وأدخل رب الصريمة، ورب الغنيمة، وإياي ونعم ابن عوف، ونعم ابن عفان، فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعا إلى نخل وزرع، وإن رب الصريمة، ورب الغنيمة: إن تهلك ماشيتهما، يأتني ببنيه، فيقول: يا أمير المؤمنين؟ أفتاركهم أنا لا أباً لك، فالماء والكلأ أيسر علي من الذهب والورق، وايم الله إنهم ليرون أني قد ظلمتهم، إنها

١- انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ١٣٤)، و«أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ٤٦٥- ٤٦٦).

لبلادهم فقاتلوا عليها في الجاهلية، وأسلموا عليها في الإسلام، والذي نفسي بيده لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله، ما حميت عليهم من بلادهم شبراً[١].

٣ـ صراحته مع عمر:

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن عمر بن الخطاب، بينما هو قائم في الخطبة يوم الجمعة إذ دخل رجل من المهاجرين الأولين من أصحاب النبي ﷺ، فناداه عمر: أية ساعة هذه؟

قال: إني شغلت، فلم أنقلب إلى أهلي حتى سمعت التأذين، فلم أزد أن توضأت.

فقال: والوضوء أيضاً! وقد علمتَ «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل»[٢].

٤ـ كان آخر العهد بعمر عند استشهاده:

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: أنا آخركم عهداً بعمر، دخلت عليه ورأسه في

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٠٥٩).

٢- أخرجه البخاري (رقم/ ٨٧٨)، ومسلم (رقم/ ٨٤٥)، وجاء التصريح باسم عثمان رضي الله عنه في رواية مسلم.

حجر ابنه عبد الله بن عمر، فقال له: ضع خدي بالأرض.

قال: فهل فخذي والأرض إلا سواء؟

قال: ضع خدي بالأرض، لا أم لك -في الثانية أو في الثالثة-، ثم شبك بين رجليه، فسمعته يقول: ويلي وويل أمي إن لم يغفر الله لي، حتى فاضت نفسه[١].

١- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن سعد (٣/ ٣٦٠)، وابن شبة (٣/ ٩١٨).

الفصل الرابع

استخلاف عثمان بن عفان

رضي الله عنه

قال ابن لهيعة، والليث بن سعد: هو عثمان[١].

تزكية أبي بكر له أنه أهل للخلافة

عن عائشة، قالت: كان عثمان يكتب وصية أبي بكر، قالت: فأغمي عليه فعجل وكتب: عمر بن الخطاب، فلما أفاق، قال له أبو بكر: من كتبت؟

قال: عمر بن الخطاب.

قال: كتبت الذي أردتُ، الذي آمرك به، ولو كتبتَ نفسك كنت لها أهلاً[٢].

عثمان بن عفان رضي الله عنه هو الخليفة المرتقب بعد عمر رضي الله عنه

عن حذيفة رضي الله عنه قال: سألني عمر رضي الله عنه: من ترى قومك مؤمرين بعدي؟

١- انظر: «معجم الصحابة» لابن قانع (٢/ ٨٩).

وعن سفينة مولى رسول الله ﷺ، قال: لما بنى رسول الله ﷺ المسجد جاء أبو بكر رضي الله عنه بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه، فقال رسول الله ﷺ: «**هؤلاء ولاة الأمر من بعدي هذا**».

أخرجه الحاكم (٣/ ١٤)، وصححه، لكن أعله البخاري في «الضعفاء الصغير» (ص/ ٩٣)، واستغربه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٢١٧).

٢- [إسناده حسن]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٢٧٠٣)، وتقدم نحوه عن أسلم مولى عمر بن الخطاب.

قلت: رأيت الناس قد أسندوا أمرهم إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

وكذلك عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بينما أنا مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عشية عرفة ونحن ننتظر أن تغرب الشمس فنقبض، فلما رأى كثرة الناس وتكبيرهم وما يصنعون، أعجبه ذلك، قال: يا ابن اليمان، كم ترى هذا تماما للناس؟

فقلت: حتى يكسر باب أو يفتح.

قال: وما يكسر باب أو يفتح؟

قلت: يقتل رجل أو يموت.

قال: يا ابن اليمان فيمن ترى قومك يؤمرون بعدي؟

قلت: رأيت الناس أسندوا أمرهم إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

وعن حارثة بن مضرب، قال: حججت في إمارة عمر، فلم يكونوا

١- [إسناده حسن]: أخرجه ابن شبة (٣/ ٩٣٢)، وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ١٩٨): «أخرج يعقوب بن شيبة في «مسنده» من طريق صحيح إلى حذيفة قال: قال لي عمر: من ترى قومك يؤمرون بعدي؟

قال: قلت: قد نظر الناس إلى عثمان وشهروه لها».

٢- [إسناده حسن]: أخرجه ابن شبة (٣/ ٩٣٢).

يشكون أن الخلافة من بعده لعثمان[1].

الناس يأبون إلا عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال المسور بن مخرمة: قال عبد الرحمن بن عوف: إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان[2].

فقه عمر رضي الله عنه في الاستخلاف وتزكيته لعثمان ضمناً

عن عمرو بن ميمون، أنهم قالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط، الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، فسمى علياً، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعداً، وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء -كهيئة التعزية له- فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله عن عجز، ولا خيانة[3].

١- [إسناده حسن]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٨٣٢٠)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (رقم/ ٨٠٢)، وابن شبة (٣/ ٩٣٢)، واللفظ لابن أبي شيبة.

٢- أخرجه البخاري (رقم/ ٧٢٠٧)، وسيأتي مطولاً.

٣- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٧٠٠)، وانظر: «تاريخ الطبري» (٤/ ٢٢٩- ٢٣٠)، و«تاريخ المدينة» لابن شبة (٣/ ٩٢٤).

وصية عمر للخليفة بعده

عن عمرو بن ميمون أن عمر لما حضرته الوفاة قال: أُوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً، ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾(١)، أن يُقبل من محسنهم، وأن يُعفى عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً، فإنهم ردء الإسلام، وجباة المال، وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم.

وأوصيه بالأعراب خيراً، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن يؤخذ من حواشي أموالهم، ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله، وذمة رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم(٢).

وذكر الجاحظ وصية مفصلة، وفيها: قال: أوصيك بتقوى الله لا شريك له، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً، أن تعرف لهم سابقتهم.

وأوصيك بالأنصار خيراً، فاقبل من محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم.

وأوصيك بأهل الأمصار خيراً، فإنهم ردء العدو، وجباة الأموال

١- [الحشر: ٩].

٢- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٧٠٠).

والفيء لا تحمل إلا عن فضل منهم.

وأوصيك بأهل البادية خيراً، فإنهم أصل العرب، ومادة الاسلام، أن تأخذ من حواشي أموال أغنيائهم، فترد على فقرائهم.

وأوصيك بأهل الذمة خيراً، أن تقاتل من ورائهم ولا تكلفهم فوق طاقتهم، إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً أو عن يد وهم صاغرون.

وأوصيك بتقوى الله وشده الحذر منه، ومخافة مقته، أن يطلع منك على ريبة.

وأوصيك أن تخشى الله في الناس، ولا تخشى الناس في الله.

وأوصيك بالعدل في الرعية والتفرغ لحوائجهم وثغورهم، ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم، فإن ذلك بإذن الله سلامة لقلبك، وحط لوزرك، وخير في عاقبة أمرك، حتى تفضي من ذلك إلى من يعرف سريرتك، ويحول بينك وبين قلبك.

وآمرك أن تشتد في أمر الله، وفي حدوده ومعاصيه، على قريب الناس وبعيدهم، ثم لا تأخذك في أحد الرأفة حتى تنتهك منه مثل ما انتهك من حرمه.

واجعل الناس سواء عندك، لا تبال على من وجب الحق، ولا تأخذك في الله لومة لائم.

وإياك والأثرة والمحاباة، فيما ولاك الله مما أفاء الله على المؤمنين، فتجور وتظلم، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك، وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة، فإن اقترفت لدنياك عدلاً وعفة مما بسط الله لك، اقترفت به إيماناً ورضواناً، وإن غلبك الهوى ومالت بك شهوة، اقترفت به سخط الله ومعاصيه.

وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة.

وقد أوصيتك وحضضتك، ونصحت لك، أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، واخترت من دلالتك ما كنت دالاً عليه نفسي وولدي، فإن عملت بالذي وعظتك، وانتهيت إلى الذي أمرتك، أخذت به نصيباً وافياً، وحظاً وافراً، وإن لم تقبل ذلك ولا يهمك، تنزل معاظم الأمور عند الذي يرضى الله به عنك، يكن ذلك بك انتقاصاً، ورأيك فيه مدخولاً؛ لأن الأهواء مشتركة، ورأس كل خطيئة، والداعي إلى كل هلكة إبليس، وقد أضل القرون السالفة قبلك فأوردهم النار، ولبئس الثمن أن يكون حظ امرئ موالاة لعدو الله، والداعي إلى معاصيه!

ثم اركب الحق وخض إليه الغمرات، وكن واعظاً لنفسك، وأنشدك الله لما ترحمت على جماعة المسلمين فأجللت كبيرهم، ورحمت صغيرهم، ووقرت عالمهم، ولا تضربهم فيذلوا، ولا تستأثر عليهم بالفيء فتغضبهم، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم، ولا تجمّرهم في البعوث فتقطع نسلهم، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم، ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم.

هذه وصيتي إياك، وأشهد الله عليك، وأقرأ عليك السلام[1].

منهج عبد الرحمن بن عوف في إدارة الشورى

إن اختيار عثمان بن عفان قد تم بتفويض أرباب الشورى إلى عبد الرحمن بن عوف أمر اختيار أحد الرجلين: علي أو عثمان، بعد أن تنازل هو عن ترشيح نفسه لعدم رغبته في الخلافة وكان صهر عثمان، وكان أغلب المسلمين يريدون تولية عثمان بعد عمر[2].

فعن عمرو بن ميمون، قال: لما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم.

---

١ - «البيان والتبيين» (٢/ ٣١- ٣٣).

٢- انظر: «عثمان بن عفان ذو النورين» لمحمد رضا (ص/ ١٠).

فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي.

فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان.

وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف.

فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر، فنجعله إليه، والله عليه والإسلام، لينظرن أفضلهم في نفسه؟ فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلي؟ والله علي أن لا آل عن أفضلكم.

قالا: نعم.

فأخذ بيد أحدهما، فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن، ولتطيعن.

ثم خلا بالآخر، فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق، قال: ارفع يدك يا عثمان فبايعه، فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه[1].

وعن المسور بن مخرمة أن الرهط الذين ولاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا، فقال لهم عبد الرحمن: لستُ بالذي أنافسكم على هذا الأمر، ولكنكم إن

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٧٠٠).

شئتم اخترت لكم منكم.

فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن، فلما ولوا عبد الرحمن أمرهم، فمال الناس على عبد الرحمن، حتى ما أرى أحداً من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطأ عقبه، ومال الناس على عبد الرحمن يشاورونه تلك الليالي، حتى إذا كانت الليلة التي أصبحنا منها فبايعنا عثمان.

قال المسور: طرقني عبد الرحمن بعد هجع من الليل، فضرب الباب حتى استيقظت، فقال: أراك نائماً! فوالله ما اكتحلت هذه الليلة بكبير نوم، انطلق فادع الزبير وسعداً.

فدعوتهما له، فشاورهما، ثم دعاني، فقال: ادع لي علياً.

فدعوته، فناجاه حتى ابْهارَّ[1] الليل، ثم قام علي من عنده وهو على طمع، وقد كان عبد الرحمن يخشى من علي شيئاً، ثم قال: ادع لي عثمان.

فدعوته، فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح، فلما صلى للناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن، ثم قال: أما بعد، يا علي إني قد

١- أي: انتصف؛ انظر: «تهذيب اللغة» (٦/ ١٥٤).

نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلاً.

فقال: أبايعك على سنة الله ورسوله، والخليفتين من بعده.

فبايعه عبد الرحمن، وبايعه الناس المهاجرون والأنصار، وأمراء الأجناد والمسلمون[١].

بيعة علي بن أبي طالب لعثمان بن عفان بالخلافة

قال علي لعثمان: أبايعك على سنة الله ورسوله، والخليفتين من بعده[٢].

وعن عمرو بن ميمون، قال: أخذ عبد الرحمن بن عوف بيد عثمان وعلي، فقال لعلي: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئمن أمرت عثمان لتسمعن، ولتطيعن.

ثم خلا بعثمان، فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق، قال: ارفع يدك يا

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٧٢٠٧)، وتقدم مختصراً.

٢- أخرجه البخاري (رقم/ ٧٢٠٧)، وتقدم مختصراً ومطولاً.

عثمان فبايعه، فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه[1].

اختارت الأمة أفضلها للخلافة

قال عبد الله بن مسعود لما استخلف عثمان رضي الله عنه: أمرنا خير من بقي ولم نأل[2].

وفي رواية: ما ألونا عن أعلاها ذا فوق[3].

قال الطبري: أما قول عبد الله: «ما ألونا عن أعلاها ذا فوق»، فإنه يعني بقوله: «ما ألونا»: ما قصرنا، وما تركنا الجهد[4].

البيعة لعثمان بن عفان رضي الله عنه، والاختلاف في الوقت الذي بويع له فيه

قال عثمان بن محمد الأخنسي وزيد بن طلحة: بويع عثمان بن عفان

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٧٠٠)، وتقدم مطولاً.

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن سعد (٣/ ٦٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٨٨)، وانظر: الأثر التالي.

٣- أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٢٦٩٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٨٨)، والحاكم (٣/ ١٠٤)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٨٨): «رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح».

٤- «تهذيب الآثار» (٢/ ٩٣٥، مسند عمر).

يوم الاثنين، لليلة بقيت من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين، فاستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين[١].

وزاد زيد: فوجه عثمانُ على الحج تلك السنة عبدَ الرحمن بن عوف، فحج بالناس سنة أربع وعشرين، ثم حج عثمان في خلافته كلها بالناس عشر سنين ولاء إلا السنة التي حوصر فيها، فوجه عبدَ الله بن عباس على الحج بالناس، وهي سنة خمس وثلاثين[٢].

وقال أبو معشر: بويع لعثمان عام الرعاف سنة أربع وعشرين، قيل: إنما قيل لهذه السنة: عام الرعاف؛ لأنه كثر الرعاف فيها في الناس[٣].

وقال خُليد بن ذَفْرة ومجالد: استخلف عثمان لثلاث مضين من المحرم سنة أربع وعشرين، فخرج فصلى بالناس العصر، وزاد: ووفد، فاستُنَّ به[٤].

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه ابن سعد (٣/ ٦٣) عن الواقدي بإسناده عن عثمان وزيد به.
وأخرجه الطبري (٤/ ٢٤٢) من طريق ابن سعد به.
واستغربه جداً ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ١٦٥).

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه ابن سعد (٣/ ٦٣) عن الواقدي بإسناده عن زيد به.

٣- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٢٤٢) بإسناد ضعيف لإبهاد أحد رواته.

٤- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٤٢) من طريقه عن خُليد ومجالد به.

وقال الشعبي: اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاث مضين من المحرم، وقد دخل وقت العصر وقد أذن مؤذن صهيب، واجتمعوا بين الأذان والإقامة، فخرج فصلى بالناس، وزاد الناس مائة، ووفد أهل الأمصار، وهو أول من صنع ذلك[١].

وقال ابن مليكة: بويع لعثمان لعشر مضين من المحرم، بعد مقتل عمر بثلاث ليال[٢].

قال ابن كثير: ظاهر ما ذكرناه من سياق بيعته يقتضي أن ذلك كان قبل الزوال، لكنه لما بايعه الناس في المسجد ذهب به إلى دار الشورى على ما تقدم فيها من الخلاف، فبايعه بقية الناس، وكأنه لم يتم البيعة إلا بعد الظهر، وصلى صهيب يومئذ الظهر في المسجد النبوي، وكان أول صلاة صلاها الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان بالمسلمين صلاة العصر، كما ذكره الشعبي وغيره[٣].

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٤٢) من طريقه عن عمرو بن محمد عن الشعبي به.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٤٢) من طريقه معلقاً عن ابن جريج عن ابن مليكة به، واستغربه جداً جداً ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ١٦٥).

٣- «البداية والنهاية» (٧/ ١٦٦).

وقال بدر بن عثمان عن عمه: لما بايع أهل الشورى عثمان، خرج وهو أشدهم كآبة، فأتى منبر رسول الله ﷺ، فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ، وقال: إنكم في دار قُلْعَة[١] وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه؛ فلقد أتيتم صبحتم أو مسيتم، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور، اعتبروا بمن مضى، ثم جِدُّوا ولا تغفلوا؛ فإنه لا يغفل عنكم، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلاً، ألم تلفظهم؟! ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة؛ فإن الله قد ضرب لها مثلاً وللذي هو خير، فقال عز و جل: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى قوله ﴿أَمَلًا﴾[٢]، وأقبل الناس يبايعونه[٣].

قال ابن كثير: هذه الخطبة: إما بعد صلاة العصر يومئذ، أو قبل الزوال وعبد الرحمن بن عوف جالس في رأس المنبر، وهو الأشبه، والله أعلم.

١- أي: انقلاع. ومنزلنا منزل قلعة، أي: ليس بمستوطن أو معناه: لا نملكه أو لا ندري متى نتحول عنه؛ انظر: «القاموس المحيط» (ص/ ٧٥٥).

٢- [الكهف: ٤٥- ٤٦].

٣- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٤٣) من طريقه عن بدر به.

وما يذكره بعض الناس من أن عثمان لما خطب أول خطبة أُرْتِجَ عليه، فلم يدر ما يقول حتى قال: أيها الناس، إن أول مركب صعب وإن بعد اليوم أياماً، وإن أعش فستأتيكم الخطبة على وجهها. فهو شيء يذكره صاحب «العقد» وغيره، ممن يذكر طرف الفوائد، ولكن لم أر هذا بإسناد تسكن النفس إليه، والله أعلم[١].

مِن أقوال أهل العلم في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال الإمـام أحمد: ما كان في القوم أوكد بيعة من عثمان؛ كانت بإجماعهم[٢].

وقال أبو سلمة التبوذكي: كان عثمان خيرهم يوم استخلفوه، وكان يوم قتل خيراً منه يوم استخلفوه، وكان في جمعه القرآن كأبي بكر في الردة[٣].

وقال عبد الله بن إدريس: ما كان في القوم أثبت عقداً في الخلافة من عثمان، كانت خلافته بمشورة ستة من أهل بدر[٤].

١- «البداية والنهاية» (٧/ ١٦٦).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه الخلال في «السنة» (رقم/ ٤٠٥)، وانظر: «منهاج السنة» (١/ ٥٣٣).

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه الخلال في «السنة» (رقم/ ٤٠٨).

٤- [إسناده صحيح]: أخرجه الخلال في «السنة» (رقم/ ٤٠٩).

وقال أبو نعيم الأصبهاني: اجتمع أهل الشورى ونظروا فيما أمرهم الله به من التوفيق، وأبدوا أحسن النظر والحياطة والنصيحة للمسلمين، وهم البقية من العشرة المشهود لهم بالجنة، واختاروا بعد التشاور والاجتهاد في نصيحة الأمة والحياطة لهم عثمان بن عفان رضي الله عنه لما خصه الله به من كمال الخصال الحميدة والسوابق الكريمة، وما عرفوا من علمه الغزير وحلمه ... لم يختلف على ما اختاروه وتشاوروا فيه أحد، ولا طعن فيما اتفقوا عليه طاعن فأسرعوا إلى بيعته، ولم يختلف عن بيعته من تخلف عن أبي بكر ولا تسخطها متسخط بل اجتمعوا عليه راضين به محبين له[1].

أباطيل حول اختيار عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال الطبري عن جعل عمر الأمر شورى في ستة: فيه أيضاً الدلالة على بطول ما قاله أهل الإمامة من أنها في أعيان وأشخاص قد بينت، ووقف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته، فلا حاجة بهم إلى التشاور فيمن تقلده أمرها وتوليه سياستها، لبيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم أهلها المستحقين لها في كل وقت وزمان بأعيانها، وذلك أن عمر جعلها شورى بين النفر الستة الذين ذكرنا، ليجتهدوا في أولاهم بها فيقلدوه القيام بها، فلم ينكر ما فعل

١- «الإمامة» (ص/ ٢٩٩- ٣٠٠).

من ذلك من أهل الإسلام يومئذ أحد، لا من النفر الستة الذين هم أهل الشورى، ولا من غيرهم من المهاجرين والأنصار ولو كان فيهم من قد كان رسول الله ﷺ أوقف عليه بعينه ونصه لأمته، وجعل له الأمر من بعده، كان حرياً أن يقول منهم قائل: وما وجه التشاور في أمر قد كفيناه ببيان الله لنا على لسان رسوله ﷺ؟ وفي تسليم جميعهم له ما فعل، ورضاهم بما صنع وتركهم النكير عليه، أبين البيان وأوضح البرهان على أن القوم لم يكن عندهم من رسول الله ﷺ في شخص بعينه عهد في ذلك الوقت، وأن الذي كان عندهم في ذلك من العهد منه إليهم كان وقفاً على موصوف بصفات احتاجوا إلى إدراكها بالاستنباط والاجتهاد، فرضوا وسلموا له ما فعل من رده الأمر في ذلك إلى النفر الذين رده إليهم، إذ كانوا يومئذ هم أهل الأمانة على الدين وأهله، ومن لا يشك في نصحه للإسلام وأسبابه، وأن ما جعل إليهم من الأمر إنما هو أمر يدرك بالاجتهاد والاستنباط، غير موقوف عليه إلا بصفته، لا باسم شخص بعينه ونسبه[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما قوله: ثم قال: إن اجتمع علي وعثمان فالقول ما قالاه، وإن صاروا ثلاثة، فالقول قول الذين صار فيهم عبد الرحمن، لعلمه أن علياً وعثمان لا يجتمعان على أمر، وأن عبد الرحمن

١- «تهذيب الآثار» (٢/ ٩٣٢، مسند عمر).

لا يعدل بالأمر عن أخيه عثمان وابن عمه.

فيقال له: من الذي قال إن عمر قال ذلك؟ وإن كان قد قال ذلك، فلا يجوز أن يظن به أنه كان غرضه ولاية عثمان محاباة له، ومنع علي معاداة له، فإنه لو كان قصده هذا لولى عثمان ابتداء، ولم ينتطح فيها عنزان!

كيف والذين عاشوا بعده قدموا عثمان بدون تعيين عمر له؟!

فلو كان عمر عينه، لكانوا أعظم متابعة له وطاعة، سواء كانوا كما يقوله المؤمنون: أهل دين وخير وعدل، أو كانوا كما يقوله المنافقون الطاعنون فيهم: إن مقصودهم الظلم والشر، لا سيما عمر كان في حال الحياة لا يخاف أحداً، فإذا كان في حياته لم يخف من تقديم أبي بكر، والأمر في أوله، والنفوس لم تتوطن على طاعة أحد معين بعد النبي ﷺ، ولا صار لعمر أمر، فكيف يخاف من تقديم عثمان عند موته والناس كلهم مطيعوه، وقد تمرنوا على طاعته؟!

فعلم أنه لو كان له غرض في تقديم عثمان لقدمه، ولم يحتج إلى هذه الدورة البعيدة.

ثم أي غرض يكون لعمر رضي الله عنه في عثمان دون علي؟! وليس بينه وبين

عثمان من أسباب الصلة أكثر مما بينه وبين علي، لا من جهة القبيلة، ولا من غير جهة القبيلة.

وعمر قد أخرج من الأمر ابنه، ولم يدخل في الأمر ابن عمه سعيد بن زيد، وهو أحد العشرة المشهود لأعيانهم بالجنة في حديث واحد، وهم من قبيلة بني عدي، ولا كان يولي من بني عدي أحداً، بل ولى رجلاً منهم ثم عزله.

وكان باتفاق الناس لا تأخذه في الله لومة لائم، فأي داع يدعوه إلى محاباة زيد دون عمرو بلا غرض يحصله من الدنيا ؟!

فمن أقصى عشيرته، وأمر بأن الدين الذي عليه لا يوفى إلا من مال أقاربه، ثم من مال بني عدي، ثم من مال قريش، ولا يؤخذ من بيت المال شيء، ولا من سائر الناس، فأي حاجة له إلى عثمان أو علي أو غيرهما حتى يقدمه؟! وهو لا يحتاج إليه لا في أهله الذين يخلفهم ولا في دينه الذي عليه!

والإنسان إنما يحابي من يتولى بعده لحاجته إليه في نحو ذلك، فمن لا يكون له حاجة لا إلى هذا ولا إلى هذا، فأي داع يدعوه إلى ذلك؟! لا سيما عند الموت، وهو وقت يسلم فيه الكافر، ويتوب فيه الفاجر.

فلو علم أن لعلي حقاً دون غيره، أو أنه أحق بالأمر من غيره، لكان الواجب أن يقدمه حينئذ: إما توبة إلى الله، وإما تخفيفاً للذنب، فإنه إذا لم يكن له مانع دنيوي لم يبق إلا الدين، فلو كان الدين يقتضي ذلك فعله، وإلا فليس في العادة أن الرجل يفعل ما يعلم أنه يعاقب عليه، ولا ينتفع به لا في دين ولا دنيا، بل لا يفعل ما لا غرض له فيه أصلاً، ويترك ما يحتاج إليه في دينه عند الموت، مع صحة العقل وحضوره وطول الوقت.

ولو قدر -والعياذ بالله- أنه كان عدواً مبغضاً للنبي ﷺ غاية البغضة، فلا ريب أنه نال بسبب النبي ﷺ ما ناله من السعادة، ولم يكن عمر ممن يخفى عليه أن رسول الله ﷺ صادق مصدق، فإنه كان من أذكى الناس، ودلائل النبوة من أظهر الأمور، فهو يعلم أنه إن استمر على معاداته يعذب في الآخرة، وليس له وقت الموت غرض في ولاية عثمان ونحوه، فكيف يصرف الأمر عن مستحقه لغير غرض؟

وإن قيل: إنه كان يخاف أن يقال: إنه رجع وتاب، كما خاف أبو طالب من الإسلام وقت الموت.

فيقال: قد كان يمكنه ولاية علي بلا إظهار توبة، فإنه لو ولى علياً أو غيره لسمع الناس وأطاعوا، ولم ينتطح في ذلك عنزان، والإنسان قد

يكون عليه مظالم فيؤديها على وجه لا يعرف أنه كان ظالماً، فيوصي وقت الموت لفلان بكذا ولفلان بكذا، ويجعلها وصية، ويكون إما معتقداً، وإما خائفاً أن يكون حقاً واجباً عليه.

وليس لعمر من يخاف عليه بعد موته، فإن أقاربه صرف الأمر عنهم، وهو يعلم أن علياً أعدل وأتقى من أن يظلمهم. ولو قدر أن علياً كان ينتقم من الذين لم يبايعوه أولاً، فبنو عدي كانوا أبعد الناس عن ذلك، فإنه لم يكن لهم شوكة ولا كانوا كثيرين، وهم كلهم محبون لعلي معظمون له، ليس فيهم من يبغض علياً أو يبغضه علي، ولا قتل علي منهم أحداً لا في جاهلية ولا إسلام.

وكذلك بنو تيم كلهم يحبون علياً، وعلي يحبهم، ولم يقتل علي منهم أحداً في جاهلية ولا إسلام.

ويقال ثانياً: عمر ما زال إذا روجع رجع، وما زال يعترف غير مرة أنه يتبين له الحق فيرجع إليه، فإن هذا توبة. ويقول: رجل أخطأ وامرأة أصابت، ويجدد التوبة لما يعلم أنه يتاب منه. فهذا كان يفعله في حال الحياة، وهو ذو سلطان على الأرض، فكيف لا يفعله وقت الموت؟

وقد كان يمكنه أن يحتال لعلي بحيلة يتولى بها، ولا يظهر ما به يذم، كما

أنه احتال لعثمان. ولو علم أن الحق كان لعلي دون غيره، لكان له طرق كثيرة في تعيينه تخفى على أكثر الناس.

وكذلك قول القائل: إنه علم أن علياً وعثمان لا يجتمعان على أمر، كذب على عمر ﷺ، ولم يكن بين عثمان وعلي نزاع في حياة عمر أصلاً، بل كان أحدهما أقرب إلى صاحبه من سائر الأربعة إليهما، كلاهما من بني عبد مناف. وما زال بنو عبد مناف يداً واحدة.

وحتى أنه كان بين علي وبين رجل آخر من المسلمين منازعة في حد، فخرج عثمان في موكب فيهم معاوية ليقفوا على الحد، فابتدر معاوية وسأل عن معلم من معالم الحد: هل كان هذا على عهد عمر؟

فقالوا: نعم.

فقال: لو كان هذا ظلماً لغيره عمر.

فانتصر معاوية لعلي في تلك الحكومة، ولم يكن علي حاضراً، بل كان قد وكل ابن جعفر.

وقوله: إن عمر علم أن عبد الرحمن لا يعدل الأمر عن أخيه وابن عمه.

فهذا كذب بين على عمر وعلى أنسابهم؛ فإن عبد الرحمن ليس أخاً لعثمان ولا ابن عمه ولا من قبيلته أصلاً، بل هذا من بني زهرة وهذا من بني أمية. وبنو زهرة إلى بني هاشم أكثر ميلاً منهم إلى بني أمية، فإن بني زهرة أخوال النبي ﷺ، ومنهم عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص الذي قال له النبي ﷺ: «هذا خالي، فليرني امرؤ خاله»[1].

ولم يكن أيضا بين عثمان وعبد الرحمن مؤاخاة ولا مخالطة؛ فإن النبي ﷺ لم يؤاخ بين مهاجري ومهاجري، ولا بين أنصاري وأنصاري، وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار، فآخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع الأنصاري، وحديثه مشهور ثابت في الصحاح وغيرها، يعرفه أهل العلم بذلك، ولم يؤاخ قط بين عثمان وعبد الرحمن[2].

ولا يتصور قط أن مذهبا كهذا يروج على أهل مدينة كبيرة من مدائن

١- [حسن]: أخرجه الترمذي (رقم/ ٣٧٥٢)، والحاكم (٣/ ٥٦٩)، وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم.

٢- قال ابن عبد البر في «الدرر في اختصار المغازي والسير» (ص/ ٩٠): «الصحيح عند أهل السير والعلم بالآثار والخبر في المؤاخاة التي عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في حين قدومه إلى المدينة: أنه آخى بين أبي بكر الصديق وخارجة بن زيد بن أبي زهير، وبين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك، وبين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر أخي حسان بن ثابت».

المسلمين، فيها أهل علم ودين، وإنما يروج على جهال سكنوا البوادي والجبال أو على محلة في مدينة أو بليدة أو طائفة يظهرون للناس خلاف ما يبطنون لظهور كذبهم، حتى أن القاهرة لما كانت مع العبيديين، لم يتمكنوا من ذلك، حتى منعوا من فيها من أهل العلم والدين من إظهار علمهم. ومع هذا فكانوا خائفين من سائر مدائن المسلمين، يقدم عليهم الغريب من البلد البعيد، فيكتمون عنه قولهم، ويداهنونه ويتقونه، كما يخاف الملك المطاع، وهذا لأنهم أهل فرية وكذب[١].

أول قضية واجهته هي قضية قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب للهرمزان

قال سعيد بن المسيب: إن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال حين قتل عمر: قد مررت على أبي لؤلؤة قاتل عمر ومعه جُفينة والهرمزان وهم نجي، فلما بغتهم ثاروا فسقط من بينهم خنجر له رأسان ونصابه وسطه، فانظروا ما الخنجر الذي قتل به عمر، فوجدوه الخنجر الذي نعت عبد الرحمن بن أبي بكر.

فانطلق عبيد الله بن عمر حين سمع ذلك من عبد الرحمن بن أبي بكر

١- «منهاج السنة» (٦/ ١٦٣- ١٧٩) بتصرف شديد، وانظر: (٣/ ٢٦١- ٢٦٣).

ومعه السيف حتى دعا الهرمزان، فلما خرج إليه، قال: انطلق معي حتى ننظر إلى فرس لي، وتأخر عنه حتى إذا مضى بين يديه علاه بالسيف.

قال عبيد الله: فلما وجد حر السيف، قال: لا إله إلا الله.

قال عبيد الله: ودعوت جُفينة -وكان نصرانياً- من نصارى الحيرة وكان ظئراً لسعد بن أبي وقاص أقدمه المدينة للملح الذي كان بينه وبينه، وكان يعلم الكتاب بالمدينة.

قال عبيد الله فلما علوته بالسيف صلب بين عينيه.

ثم انطلق عبيد الله فقتل ابنة لأبي لؤلؤة صغيرة تدعي الإسلام.

وأراد عبيد الله أن لا يترك سبياً بالمدينة إلا قتله، فاجتمع المهاجرون الأولون عليه فنهوه وتوعدوه.

فقال: والله لأقتلنهم وغيرهم، وعرض ببعض المهاجرين، فلم يزل عمرو بن العاص به حتى دفع إليه السيف، فلما دفع إليه السيف أتاه سعد بن أبي وقاص فأخذ كل واحد منهما برأس صاحبه يتناصيان[١] حتى حجز بينهما.

١- أي: أخذ كل واحد منهما بناصية صاحبه؛ انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/ ٦٨).

ثم أقبل عثمان قبل أن يبايع له في تلك الليالي حتى واقع عبيد الله فتناصيا، وأظلمت الأرض يوم قتل عبيد الله جفينة والهرمزان وابنة أبي لؤلؤة على الناس، ثم حجز بينه وبين عثمان.

فلما استخلف عثمان دعا المهاجرين والأنصار، فقال: أشيروا علي في قتل هذا الرجل الذي فتق في الدين ما فتق، فاجتمع المهاجرون على كلمة واحدة يشايعون عثمان على قتله، وجل الناس الأعظم مع عبيد الله يقولون لجفينة والهرمزان: أبعدهما الله، لعلكم تريدون أن تتبعوا عمر ابنه؟ فكثر في ذلك اللغط والاختلاف.

ثم قال عمرو بن العاص لعثمان: يا أمير المؤمنين، إن هذا الأمر قد كان قبل أن يكون لك على الناس سلطان فأعرض عنهم، وتفرق الناس عن خطبة عمرو وانتهى إليه عثمان، وَوُدي[1] الرجلان والجارية[2].

وقال زاذان أبو منصور: سمعت القماذبان يحدث عن قتل أبيه، قال: كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض، فمر فيروز بأبي ومعه خنجر له رأسان، فتناوله منه، وقال: ما تصنع بهذا في هذه البلاد؟

١- أي: أديت الدية؛ انظر: «مشارق الأنوار» (٢/ ٢٨٢).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن سعد (٣/ ٣٥٥- ٣٥٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ٤٧٨- ٤٨٠) بإسناد صحيح.

فقال: آنس به.

فرآه رجل، فلما أصيب عمر، قال: رأيت هذا مع الهرمزان دفعه إلى فيروز، فأقبل عبيد الله فقتله، فلما ولي عثمان دعاني فأمكنني منه، ثم قال: يا بني هذا قاتل أبيك، وأنت أولى به منا، فاذهب فاقتله.

فخرجت به وما في الأرض أحد إلا معي، إلا أنهم يطلبون إلي فيه، فقلت لهم: ألي قتله؟

قالوا: نعم -وسبوا عبيد الله-.

فقلت: أفلكم أن تمنعوه؟

قالوا: لا -وسبوه-.

فتركته لله ولهم، فاحتملوني فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤوس الرجال وأكفهم(١).

وما تقدم عن سعيد أصح.

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٤٣- ٢٤٤) من طريقه عن زاذان به.

الفصل الخامس

الفتوحات في عهد عثمان بن عفان

رضي الله عنه

الفتوحات في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه[١]

لقد كان عهد عثمان رضي الله عنه مليئاً بالانتصارات والفتوحات، واستمرت هذه الفتوحات في البر والبحر أكثر من عشر سنوات، إلا أن ما حدث من

١- هذه الفتوحات حسب ترجيح الإمام الطبري لزمنها، وإن كان بالنظر إلى صنيع غير الإمام الطبري، فهناك فتوحات أكثر من تلك، ولكن يجعلها الإمام الطبري ضمن أزمنة أخرى.

وعلى سبيل المثال، فقد زاد خليفة بن خياط في «تاريخه»:

فتح هَمَذَان، وفتح الرَّي (ص/ ١٥٧) في السنة الرابعة والعشرين.

وفتح سابور (ص/ ١٥٨) في السنة السادسة والعشرين.

وفتح أَرَّجَان ودارابجرد (ص/ ١٥٩) في السنة السابعة والعشرين.

وفتح أصبهان (ص/ ١٦١)، وحلوان (ص/ ١٦٢)، والبيلقان وبرذعة وجزران وحيزان (ص/ ١٦١) في السنة التاسعة والعشرين.

وفتح سجستان (ص/ ١٦٤) في السنة الثلاثين.

وغزوة مضيق قسطنطينية (ص/ ١٦٧) في السنة الثانية والثلاثين.

وقتال عبد الله بن خازم لقارن وفتح زرنج وغزو ملطية (ص/ ١٦٧)، وصلح النوبة (ص/ ١٦٨) في السنة الثالثة والثلاثين.

وبعض الباحثين يقسم الفتوحات حسب التوزيع الجغرافي، ولكن سنسردها حسب الترتيب الزمني، مثل طريقة الإمام الطبري، وسنذكر الموقع الجغرافي مع كل غزوة أو فتح؛ ليتحقق المعنيان معاً.

فتنة حصار عثمان وقتله أنستنا هذه الفتوحات العظيمة، حتى حسبنا أن عهده رضي الله عنه لم يكن سوى فتنة واختلاف.

وتتلخص أهم الفتوحات في عهد عثمان فيما يلي:

غزو أَذْرَبِيجَان[١] وإِرْمِينِيَة (٢٤ هـ)[٢]

في السنة الرابعة والعشرين غزا الوليد بن عقبة أذربيجان وإرمينية؛ لمنع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الإسلام أيام عمر في رواية أبي مخنف، وأما في رواية غيره فإن ذلك كان في سنة ست وعشرين[٣].

١- قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (١/ ١٢٨): «أَذْرَبِيجَان: بالفتح، ثم السكون، وفتح الراء، وكسر الباء الموحدة، وياء ساكنة، وجيم ... في الإقليم الخامس، طولها ثلاث وسبعون درجة، وعرضها أربعون درجة»، وهي معدودة من غزوات المشرق.

٢- قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (١/ ١٥٩- ١٦٠): «إِرْمِينِيَةُ: بكسر أوله ويفتح، وسكون ثانيه، وكسر الميم، وياء ساكنة، وكسر النون، وياء خفيفة مفتوحة: اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال، والنسبة إليها أرمنيّ على غير قياس، بفتح الهمزة وكسر الميم»، وهي معدودة من غزوات المشرق.

٣- وذكر خليفة بن خياط في «تاريخه» (ص/ ١٦٠) أن فتح أَذْرَبيجان كان في السنة الثامنة والعشرين، وذكر البلاذري في «فتوحات البلدان» (ص/ ٣٢٣) أنه كان في السنة الخامسة والعشرين؛ وانظر للجمع بين هذا الاختلاف: «مرويات أبي مخنف ... دراسة نقدية» (ص/ ١٨١- ١٨٥)، وحاشية «صحيح تاريخ الطبري» (٣/ ٣٠٩- ٣١٠).

وفرق بعض المؤرخين بين فتح أَذْرَبيجان وبين غزوة إرمينية؛ فانظر: «تاريخ خليفة بن خياط» (ص/ ١٦٣)، و«الثقات» لابن حبان (١/ ٢٠٨)، و«فتح الباري» (٩/ ١٦).

وقال فروة بن لقيط: إن مغازي أهل الكوفة كانت الري وأذربيجان، وكان بالثغرين عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة: ستة آلاف بأَذْرَبيجان، وأربعة آلاف بالري، وكان بالكوفة إذ ذاك أربعون ألف مقاتل، وكان يغزو هذين الثغرين منهم عشرة آلاف في كل سنة، فكان الرجل يصيبه في كل أربع سنين غزوة، فغزا الوليد بن عقبة في إمارته على الكوفة في سلطان عثمان أَذْرَبيجان وإرمينية، فدعا سلمان بن ربيعة الباهلي فبعثه أمامه مقدمة له، وخرج الوليد في جماعة الناس، وهو يريد أن يمعن في أرض إرمينية، فمضى في الناس حتى دخل أَذْرَبيجان، فبعث عبد الله بن شُبيل بن عوف الأحمسي في أربعة آلاف، فأغار على أهل موقان والببر والطيلسان، فأصاب من أموالهم وغنم وتحرز القوم منه وسبى منهم سبياً يسيراً، فأقبل إلى الوليد بن عقبة، ثم إن الوليد صالح أهل أَذْرَبيجان على ثمانمائة ألف درهم، وذلك هو الصلح الذي كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان سنة اثنتين وعشرين بعد وقعة نَهَاوَنْد[١] بسنة، ثم إنهم حبسوها عند وفاة عمر، فلما ولي عثمان وولي الوليد بن عقبة الكوفة سار حتى

١- قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٥/ ٣١٣): «نَهَاوَنْد: بفتح النون الأولى وتكسر، والواو مفتوحة، ونون ساكنة، ودال مهملة: هي مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام»، وانظر عن فتحها: «تاريخ الطبري» (٤/ ١١٤).

وطئهم بالجيش، فلما رأوا ذلك انقادوا له وطلبوا إليه أن يتم لهم على ذلك الصلح، ففعل فقبض منهم المال، وبث فيمن حولهم من أعداء المسلمين الغارات، فلما رجع إليه عبد الله بن شبيل الأحمسي من غارته تلك، وقد سلم وغنم بعث سلمان بن ربيعة الباهلي إلى إرمينية في اثني عشر ألفا سنة أربع وعشرين، فسار في أرض إرمينية فقتل وسبى وغنم، ثم إنه انصرف وقد ملأ يديه حتى الوليد. فانصرف الوليد وقد ظفر وأصاب حاجته[١].

مشاركة أهل الكوفة في إحباط تحركات الروم

في السنة الرابعة والعشرين -في رواية أبي مخنف- جاشت الروم حتى استمد من بالشأم من جيوش المسلمين من عثمان مدداً.

وقال فروة بن لقيط: لما أصاب الوليد حاجته من إرمينية في الغزوة التي ذكرتها في سنة أربع وعشرين من تاريخه، ودخل الموصل فنزل الحديثة، أتاه كتاب من عثمان رضي الله عنه: أما بعد، فإن معاوية بن أبي سفيان كتب إلي يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين بجموع عظيمة، وقد رأيتُ أن يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة، فإذا أتاك كتابي هذا، فابعث رجلاً ممن

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الكلبي، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٤٦- ٢٤٧) عنه معلقاً عن أبي مخنف عن فروة به، وتولية الوليد للكوفة في خلافة عثمان ثابتة، ففي «صحيح البخاري» (رقم/ ٣٨٧٢)، و«صحيح مسلم» (رقم/ ١٧٠٧) ما يدل على ذلك.

ترضى نجدته وبأسه وشجاعته وإسلامه في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إليهم من المكان الذي يأتيك فيه رسولي والسلام.

فقام الوليد في الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس فإن الله قد أبلى المسلمين في هذا الوجه بلاء حسناً؛ رد عليهم بلادهم التي كفرت، وفتح بلاداً لم تكن افتتحت، وردهم سالمين غانمين مأجورين، فالحمد لله رب العالمين، وقد كتب إلي أمير المؤمنين يأمرني أن أندب منكم ما بين العشرة الآلاف إلى الثمانية الآلاف، تمدون إخوانكم من أهل الشأم، فإنهم قد جاشت عليهم الروم وفي ذلك الأجر العظيم والفضل المبين، فانتدبوا رحمكم الله مع سلمان بن ربيعة الباهلي.

قال: فانتدب الناس، فلم يمض ثالثة حتى خرج ثمانية آلاف رجل من أهل الكوفة، فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشأم إلى أرض الروم، وعلى جند أهل الشأم حبيب بن مسلمة بن خالد الفهري، وعلى جند أهل الكوفة سلمان بن ربيعة الباهلي، فشنوا الغارات على أرض الروم، فأصاب الناس ما شاؤوا من سبي، وملؤوا أيديهم من المغنم، وافتتحوا بها حصوناً كثيرة[1].

---

١ - [إسناده ضعيف]: ذكره الكلبي، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٤٧- ٢٤٨) عنه معلقاً عن أبي مخنف عن فروة به.

وزعم الواقدي أن الذي أمد حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص. وقال: كان سبب ذلك أن عثمان كتب إلى معاوية يأمره أن يغزي حبيب بن مسلمة في أهل الشأم إرمينية فوجهه إليها، فبلغ حبيباً أن الموريان الرومي قد توجه نحوه في ثمانين ألفاً من الروم والترك، فكتب بذلك حبيب إلى معاوية، فكتب معاوية به إلى عثمان، فكتب عثمان إلى سعيد بن العاص يأمره بإمداد حبيب بن مسلمة، فأمده بسلمان بن ربيعة في ستة آلاف، وكان حبيب صاحب كيد فأجمع على أن يبيت الموريان، فسمعته امرأته أم عبد الله بنت يزيد الكلبية يذكر ذلك، فقالت له: فأين موعدك؟

قال: سرادق الموريان أو الجنة.

ثم بيتهم فقتل من أشرف له، وأتى السرادق فوجد امرأته قد سبقت، وكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها سرادق.

ومات عنها حبيب فخلف عليها الضحاك بن قيس الفهري، فهي أم ولده[1].

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٢٥٠) معلقاً عن الواقدي به، وانظر: «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء» (٢/ ٦١١).

فتح الإسكندرية (٢٥ هـ)[١]

قال إسحاق بن عيسى: كان فتح الإسكندرية سنة خمس وعشرين[٢].

وقال الواقدي: في هذه السنة نقضت الإسكندرية عهدها فغزاهم عمرو بن العاص فقتلهم[٣].

فتح إفريقية (٢٧ هـ)[٤]

في سنة سبع وعشرين كان فتح إفريقية على يد عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

١- قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (١/ ١٨٣): «قال أهل السير: بنى الإسكندر ثلاث عشرة مدينة، وسمّاها كلها باسمه ... ومنها: الإسكندرية العظمى التي ببلاد مصر»، وهي معدودة من فتوحات الشمال الغربي.

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٢٥٠) بإسناد ضعيف لإبهاد أحد رواته.

٣- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٢٥٠) معلقاً عن الواقدي به، وانظر: «الثقات» لابن حبان (٢/ ٢٤٤).

٤- قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (١/ ٢٢٨): «إِفْرِيقِيَّة: بكسر الهمزة: وهو اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية، وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس، والجزيرتان في شماليها، فصقلية منحرفة إلى الشرق، والأندلس منحرفة عنها إلى جهة المغرب. وسميت إفريقية بإفريقيس بن أبرهة ابن الرائش»، وهي معدودة من فتوحات الشمال الغربي».

قال محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم: مات عمر وعلى مصر عمرو بن العاص، وعلى قضائها خارجة بن حذافة السهمي، فولي عثمان فأقرهما سنتين من إمارته، ثم عزل عمراً، واستعمل عبد الله بن سعد بن أبي سرح[١].

وقال ابن كثير: كان سبب ذلك أن الخوارج من المصريين كانوا محصورين من عمرو بن العاص، مقهورين معه لا يستطيعون أن يتكلموا بسوء في خليفة ولا أمير، فما زالوا حتى شكوه إلى عثمان لينزعه عنهم ويولي عليهم من هو ألين منه.

فلم يزل ذلك دأبهم حتى عزل عمراً عن الحرب وتركه على الصلاة، وولى على الحرب والخراج عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

ثم سعوا فيما بينهما بالنميمة فوقع بينهما، حتى كان بينهما كلام قبيح[٢].

وقال أبو حارثة محرز العبشمي وأبو عثمان يزيد بن أُسيد: لما ولي عثمان

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٥٣) من طريقه عن محمد وطلحة به، وذكر صاحب «صحيح تاريخ الطبري» (٣/ ٣١٠- ٣١١) أن الأسانيد في عزل عثمان لعمرو كلها ضعيفة، ولكن تكاد تجمع المصادر التاريخية على ذلك.

٢- «البداية والنهاية» (٧/ ١٩٠).

أقر عمرو بن العاص على عمله، وكان لا يعزل أحداً إلا عن شكاة أو استعفاء من غير شكاة، وكان عبد الله بن سعد من جند مصر فأمر عبد الله بن سعد على جنده ورماه بالرجال وسرحه إلى إفريقية، وسرح معه عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين، وقال لعبد الله بن سعد: إن فتح الله عز و جل عليك غداً إفريقية فلك مما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلاً، وأمر العَبْدَين على الجند ورماهما بالرجال وسرحهما إلى الأندلس، وأمرهما وعبد الله بن سعد بالاجتماع على الأجل، ثم يقيم عبد الله بن سعد في عمله، ويسيران إلى عملهما، فخرجوا حتى قطعوا مصر، فلما وغلوا في أرض إفريقية فأمعنوا انتهوا إلى الأجل ومعه الأفناء، فاقتتلوا، فَقُتل الأجل، قتله عبد الله بن سعد وفتح إفريقية سهلها وجبلها، ثم اجتمعوا على الإسلام وحسنت طاعتهم وقسم عبد الله ما أفاء الله عليهم على الجند وأخذ خمس الخمس، وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان مع ابن وَثِيمة النصري، وضرب فسطاطاً في موضع القيروان.

ووفد وفداً فشكوا عبد الله فيما أخذ، فقال لهم: إنا نفلته، وكذلك كان يصنع، وقد أمرت له بذلك، وذاك إليكم الآن، فإن رضيتم فقد جاز، وإن

سخطتم فهو رد.

قالوا: فإنا نسخطه.

قال: فهو رد، وكتب إلى عبد الله برد ذلك واستصلاحهم.

قالوا: فاعزله عنا؛ فإنا لا نريد أن يتأمر علينا وقد وقع ما وقع.

فكتب إليه أن استخلف على إفريقية رجلاً ممن ترضى ويرضون، واقسم الخمس الذي كنت نفلتك في سبيل الله؛ فإنهم قد سخطوا النفل، ففعل ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر وقد فتح إفريقية وقتل الأجل، فما زالوا من أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك، أحسن أمة سلاماً وطاعة، حتى دب إليهم دعاة أهل العراق، فلما دب إليهم دعاة أهل العراق واستثاروهم، شقوا عصاهم وفرقوا بينهم إلى اليوم.

وكان من سبب تفريقهم أنهم ردوا على أهل الأهواء، فقالوا: إنا لا نخالف الأئمة بما تجني العمال ولا نحمل ذلك عليهم.

فقالوا لهم: إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك.

فقالوا لهم: لا نقبل ذلك حتى نُبَوِّرَهُم.

فخرج ميسرة في بضعة عشر إنساناً حتى يقدم على هشام، فطلبوا الإذن فصعب عليهم فأتوا الأبرش، فقالوا: أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده فإذا أصاب نفلهم دوننا، وقال: هم أحق به. فقلنا: هو أخلص لجهادنا؛ لأنا لا نأخذ منه شيئاً إن كان لنا فهم منه في حل، وإن لم يكن لنا لم نرده.

وقالوا: إذا حاصرنا مدينة، قال: تقدموا. وأخر جنده! فقلنا: تقدموا؛ فإنه ازدياد في الجهاد ومثلكم كفى إخوانه، فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم، ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها على السخال؛ يطلبون الفراء البيض لأمير المؤمنين، فيقتلون ألف شاة في جلد! فقلنا: ما أيسر هذا لأمير المؤمنين! فاحتملنا ذلك وخليناهم وذلك.

ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا! فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنة، ونحن مسلمون فأحببنا أن نعلم أعن رأي أمير المؤمنين ذلك أم لا؟!

قال: نفعل. فلما طال عليهم ونفدت نفقاتهم، كتبوا أسماءهم في رقاع ورفعوها إلى الوزراء، وقالوا: هذه أسماؤنا وأنسابنا، فإن سألكم أمير المؤمنين عنا فأخبروه، ثم كان وجههم إلى إفريقية، فخرجوا على

عامل هشام فقتلوه، واستولوا على إفريقية، وبلغ هشاماً الخبر، وسأل عن النفر فرفعت إليه أسماؤهم، فإذا هم الذين جاء الخبر أنهم صنعوا ما صنعوا[١].

غزو قبرص (٢٨ هـ)[٢]

في سنة ثمان وعشرين تم فتح قبرص على يد معاوية، وقد غزاها بأمر عثمان إياه، وذلك في قول الواقدي.

فأما أبو معشر فإنه قال: كانت قبرص سنة ثلاث وثلاثين[٣].

وقال بعضهم: كانت قبرص سنة سبع وعشرين.

وقد غزا قبرص فيما ذُكر جماعةٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فيهم: أبو ذر، وعبادة بن الصامت ومعه زوجته أم حرام، والمقداد، وأبو الدرداء،

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٥٣- ٢٥٥) من طريقه عن أبي حارثة وأبي عثمان به.

٢- هي جزيرة كبيرة مقدار ستة عشر يوماً، بها مدن كثيرة وقرى عامرة ومزارع وأنهار وأشجار وثمار؛ وبها معادن الزاج القبرصي الذي ليس في البلاد مثله شيء، وبها من المواشي ما يكفي بلاد الفرنج، وهي معدودة من فتوحات الشمال الغربي؛ انظر: «خريدة العجائب وفريدة الغرائب» (ص/ ١٦٩).

٣- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٢٥٨) بإسناد ضعيف لإبهام أحد رواته.

فخرج ميسرة في بضعة عشر إنساناً حتى يقدم على هشام، فطلبوا الإذن فصعب عليهم فأتوا الأبرش، فقالوا: أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده فإذا أصاب نفلهم دوننا، وقال: هم أحق به. فقلنا: هو أخلص لجهادنا؛ لأنا لا نأخذ منه شيئاً إن كان لنا فهم منه في حل، وإن لم يكن لنا لم نرده.

وقالوا: إذا حاصرنا مدينة، قال: تقدموا. وأخر جنده! فقلنا: تقدموا؛ فإنه ازدياد في الجهاد ومثلكم كفى إخوانه، فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم، ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها على السخال؛ يطلبون الفراء البيض لأمير المؤمنين، فيقتلون ألف شاة في جلد! فقلنا: ما أيسر هذا لأمير المؤمنين! فاحتملنا ذلك وخليناهم وذلك.

ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا! فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنة، ونحن مسلمون فأحببنا أن نعلم أعن رأي أمير المؤمنين ذلك أم لا؟!

قال: نفعل. فلما طال عليهم ونفدت نفقاتهم، كتبوا أسماءهم في رقاع ورفعوها إلى الوزراء، وقالوا: هذه أسماؤنا وأنسابنا، فإن سألكم أمير المؤمنين عنا فأخبروه، ثم كان وجههم إلى إفريقية، فخرجوا على

عامل هشام فقتلوه، واستولوا على إفريقية، وبلغ هشاماً الخبر، وسأل عن النفر فرفعت إليه أسماؤهم، فإذا هم الذين جاء الخبر أنهم صنعوا ما صنعوا[١].

غزو قبرص (٢٨ هـ)[٢]

في سنة ثمان وعشرين تم فتح قبرص على يد معاوية، وقد غزاها بأمر عثمان إياه، وذلك في قول الواقدي.

فأما أبو معشر فإنه قال: كانت قبرص سنة ثلاث وثلاثين[٣].

وقال بعضهم: كانت قبرص سنة سبع وعشرين.

وقد غزا قبرص فيما ذُكر جماعةٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فيهم: أبو ذر، وعبادة بن الصامت ومعه زوجته أم حرام، والمقداد، وأبو الدرداء،

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٥٣- ٢٥٥) من طريقه عن أبي حارثة وأبي عثمان به.

٢- هي جزيرة كبيرة مقدار ستة عشر يوماً، بها مدن كثيرة وقرى عامرة ومزارع وأنهار وأشجار وثمار؛ وبها معادن الزاج القبرصي الذي ليس في البلاد مثله شيء، وبها من المواشي ما يكفي بلاد الفرنج، وهي معدودة من فتوحات الشمال الغربي؛ انظر: «خريدة العجائب وفريدة الغرائب» (ص/ ١٦٩).

٣- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٢٥٨) بإسناد ضعيف لإبهام أحد رواته.

وشداد بن أوس[١].

قال رجاء بن حيوة وعبادة بن نُسي وخالد بن معدان: ألح معاوية في زمانه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في غزو البحر وقرب الروم من حمص، وقال: إن قرية من قرى حمص لَيَسمع أهلُها نُباحَ كلابهم وصياح دجاجهم. حتى كاد ذلك يأخذ بقلب عمر، فكتب عمر إلى عمرو بن العاص: صف لي البحر وراكبه؛ فإن نفسي تنازعني إليه.

وقال عبادة وخالد: لما أخبره ما للمسلمين في ذلك، وما على المشركين، فكتب إليه عمرو: إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير، إن ركن خرق القلوب، وإن تحرك أزاغ العقول، يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة، هم فيه كَدُود على عود، إن مال غرق، وإن نجا برق.

فلما قرأه عمر كتب إلى معاوية يرد عليه[٢].

١- ذكر صاحب «صحيح تاريخ الطبري» (٣/ ٣١١) أن روايات الطبري في فتح قبرص كلها ضعيفة، إلا أن غزو معاوية لها في عهد عثمان، واشتراك عبادة وأم حرام في الصحيحين.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر بإسناده عن رجاء وعبادة وخالد به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٥٨- ٢٥٩) من طريق سيف به.

وأخرجه ابن قتيبة في «غريب الحديث» (٢/ ٣٦٩) بإسناده عن عمرو بن شعيب به معضلاً.

قال جنادة بن أبي أمية والربيع وأبو المجالد: كتب عمر إلى معاوية: إنا سمعنا أن بحر الشأم يشرف على أطول شيء على الأرض، يستأذن الله في كل يوم وليلة في أن يفيض على الأرض فيغرقها، فكيف أحمل الجنود في هذا البحر الكافر المستصعب! وتالله لمسلم أحب إلي مما حوت الروم، فإياك أن تعرض لي، وقد تقدمت إليك، وقد علمت ما لقي العلاء مني، ولم أتقدم إليه في مثل ذلك.

وقالوا: ترك ملك الروم الغزو، وكاتب عمر وقاربه، وسأله عن كلمة يجتمع فيها العلم كله، فكتب إليه: أحب للناس ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لها، تجتمع لك الحكمة كلها، واعتبر الناس بما يليك، تجتمع لك المعرفة كلها.

وكتب إليه ملك الروم، وبعث إليه بقارورة: أن املأ لي هذه القارورة من كل شيء، فملأها ماء، وكتب إليه: إن هذا كل شيء من الدنيا.

وكتب إليه ملك الروم: ما بين الحق والباطل؟

فكتب إليه: أربع أصابع الحق، فيما يرى عياناً، والباطل كثيراً يستمع به فيما لم يعاين.

وكتب إليه ملك الروم يسأله عما بين السماء والأرض، وبين المشرق والمغرب.

فكتب إليه: مسيرة خمسمائة عام للمسافر لو كان طريقاً مبسوطاً.

قال: وبعثت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب إلى ملكة الروم بطيب ومشارب وأحفاش من أحفاش النساء، ودسته إلى البريد، فأبلغه لها، وأخذ منه.

وجاءت امرأة هرقل وجمعت نساءها، وقالت: هذه هدية امرأة ملك العرب وبنت نبيهم، وكاتبتها وكافأتها وأهدت لها، وفيما أهدت لها عقد فاخر، فلما انتهى به البريد إليه أمره بإمساكه، ودعا الصلاة جامعة، فاجتمعوا، فصلى بهم ركعتين، وقال: إنه لا خير في أمر أبرم عن غير شورى من أموري، قولوا في هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم، فأهدت لها امرأة ملك الروم.

فقال قائلون: هو لها بالذي لها، وليست امرأة الملك بذمة فتصانع به، ولا تحت يدك فتتقيك.

وقال آخرون: قد كنا نهدي الثياب لنستثيب، ونبعث بها لتباع ولنصيب ثمناً.

فقال: ولكن الرسول رسول المسلمين، والبريد بريدهم، والمسلمون عظموها في صدرها، فأمر بردها إلى بيت المـال، ورد عليها بقدر نفقتها[١].

وقال خالد بن معدان: أول من غزا في البحر معاوية بن أبي سفيان زمان عثمان بن عفان، وقد كان استأذن عمر فيه، فلم يأذن له، فلما ولي عثمان لم يزل به معاوية حتى عزم عثمان على ذلك بأخرة، وقال: لا تنتخب الناس، ولا تقرع بينهم، خيرهم، فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه.

ففعل واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الجاسي حليف بني فزارة، فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة في البحر، ولم يغرق فيه أحد، ولم ينكب، وكان يدعو الله أن يرزقه العافية في جنده، وألا يبتليه بمصاب أحد منهم.

ففعل حتى إذا أراد الله أن يصيبه وحده، خرج في قارب طليعة فانتهى إلى المرقى من أرض الروم، وعليه سؤال يعترون بذلك المكان، فتصدق عليهم، فرجعت امرأة من السؤال إلى قريتها، فقالت للرجال: هل لكم

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر بإسناده عن جنادة والربيع وأبي المجالد به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٥٩- ٢٦٠) من طريق سيف به.

في عبد الله بن قيس؟

قالوا: وأين هو؟

قالت: في المرقى.

قالوا: أي: عدوة الله، ومن أين تعرفين عبد الله بن قيس؟

فوبختهم، وقالت: أنتم أعجز من أن يخفى عبد الله على أحد.

فثاروا إليه فهجموا عليه، فقاتلوه وقاتلهم، فأصيب وحده، وأفلت الملاح، حتى أتى أصحابه فجاؤوا حتى أرقوا، والخليفة منهم سفيان بن عوف الأزدي، فخرج فقاتلهم فضجر، وجعل يعبث بأصحابه ويشتمهم.

فقالت جارية عبد الله: واعبد الله، ما هكذا كان يقول حين يقاتل!

فقال سفيان: وكيف كان يقول؟

قالت: الغمرات ثم ينجلينا.

فترك ما كان يقول، ولزم الغمرات ثم ينجلينا، وأصيب في المسلمين يومئذ وذلك آخر زمان عبد الله بن قيس الجاسي، وقيل لتلك المرأة بعد:

بأي شيء عرفتيه؟

قالت: بصدقته؛ أعطى كما يعطى الملوك، ولم يقبض قبض التجار[١].

وقال أبو حارثة محرز العبشمي وأبو عثمان يزيد بن أُسيد: قيل لتلك المرأة التي استثارت الروم على عبد الله بن قيس: كيف عرفته؟

قالت: كان كالتاجر، فلما سألته، أعطاني كالملك، فعرفت أنه عبد الله بن قيس.

وكتب عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى معاوية والعمال: أما بعد، فقوموا على ما فارقتم عليه عمر، ولا تبدلوا، ومهما أشكل عليكم فردوه إلينا نجمع عليه الأمة ثم نرده عليكم، وإياكم أن تغيروا؛ فإني لست قابلاً منكم إلا ما كان عمر يقبل، وقد كانت تنتقض فيما بين صلح عمر وولاية عثمان تلك الناحية، فيبعث إليها الرجل فيفتحها الله على يديه فيحسب له ذلك، وأما الفتوح فلأول من وليها[٢].

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن أبي حارثة عن خالد به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٦٠- ٢٦١) من طريق سيف به، وقد تقدم التنبيه على أن غزو معاوية لقبرص في عهد عثمان ثابت في الصحيحين.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن أبي حارثة وأبي عثمان به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٦١) من طريق سيف به.

وقال سليمان بن أبي كريمة والليث بن سعد وغيرهما من مشيخة ساحل دمشق: إن صلح قبرص وقع على جزية سبعة آلاف دينار، يؤدونها إلى المسلمين في كل سنة، ويؤدون إلى الروم مثلها، ليس للمسلمين أن يحولوا بينهم وبين ذلك على ألا يغزوهم، ولا يقاتلوا من وراءهم ممن أرادهم من خلفهم، وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم، وعلى أن يبطرق إمام المسلمين عليهم منهم[١].

وقال الواقدي: غزا معاوية في سنة ثمان وعشرين قبرص، وغزاها أهل مصر وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح حتى لقوا معاوية، فكان على الناس[٢].

وقال جبير بن نفير: لما سبيناهم نظرت إلى أبي الدرداء يبكي، فقلت له: ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله، وأذل فيه الكفر وأهله؟!

قال: فضرب بيده على منكبي، وقال: ثكلتك أمك يا جبير، ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره! بينا هي أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم الملك إذ

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٢٦٢) بإسناده عن الليث ومن معه به، وللصلح على سبعة آلاف دينار شاهدٌ، أخرجه أبو عبيد في «الأموال» (رقم/ ٤٠٦) بإسناد رجاله ثقات.

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٢٦٢) معلقاً عن الواقدي به.

تركوا أمر الله، فصاروا إلى ما ترى، فسلط عليهم السباء، وإذا سلط السباء على قوم فليس لله فيهم حاجة[١].

غزو طَبَرِستان (٣٠ هـ)[٢]

غزا سعيد بن العاص طبرستان في سنة ثلاثين.

قال حَنَش بن مالك: غزا سعيد بن العاص من الكوفة سنة ثلاثين، يريد خراسان ومعه حذيفة بن اليمان وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير، وخرج عبد الله بن عامر من البصرة يريد خراسان، فسبق سعيداً، ونزل أبرشهر، وبلغ نزوله أبرشهر سعيداً، فنزل سعيد قومس، وهي صلح صالحهم حذيفة بعد نَهَاوَنْد، فأتى جرجان فصالحوه على مائتي ألف، ثم أتى طَمِيسة، وهي كلها من طبرستان جرجان،

١- [رجاله ثقات]: أخرجه الفزاري في «السير» (رقم/ ١٠٨)، والإمام أحمد في «الزهد» (رقم/ ٧٦٣) من طريق عبد الرحمن بن جبير عن أبيه به.

وذكره الواقدي بإسناد آخر، وعلقه الطبري (٤/ ٢٦٢) عنه به.

٢- طَبَرِستانُ: بفتح أوله وثانيه، وكسر الراء، والطبر: هو الذي يشقّق به الأحطاب وما شاكله بلغة الفرس، واستان: الموضع أو الناحية، كأنه يقول: ناحية الطبر، وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم، خرج من نواحيها من لا يحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه، والغالب على هذه النواحي الجبال، فمن أعيان بلدانها دهستان وجرجان واستراباذ وآمل»، وهي معدودة من غزوات المشرق؛ انظر: معجم البلدان (٤/ ١٣).

وهي مدينة على ساحل البحر، وهي في تخوم جرجان، فقاتله أهلها حتى صلى صلاة الخوف، فقال لحذيفة: كيف صلى رسول الله ﷺ؟

فأخبره فصلى بها سعيد صلاة الخوف وهم يقتتلون، وضرب يومئذ سعيد رجلاً من المشركين على حبل عاتقه، فخرج السيف من تحت مرفقه وحاصرهم، فسألوا الأمان، فأعطاهم على ألا يقتل منهم رجلاً واحداً، ففتحوا الحصن فقتلهم جميعاً إلا رجلاً واحداً، وحوى ما كان في الحصن، فأصاب رجل من بني نهد سفطاً عليه قفل، فظن فيه جوهراً، وبلغ سعيداً فبعث إلى النهدي، فأتاه بالسفط، فكسروا قفله، فوجدوا فيه سفطاً ففتحوه، فإذا فيه خرقة سوداء مدرجة، فنشروها فوجدوا خرقة حمراء فنشروها، فإذا خرقة صفراء، وفيها أيران كميت وورد، فقال شاعر يهجو بني نهد:

آب الكرام بالسبايا غنيمة ... وفاز بنو نهد بأيرين في سفط

كميت وورد وافرين كلاهما ... فظنوهما غنماً فناهيك من غلط

وفتح سعيد بن العاص نامية وليست بمدينة هي صحارى[1].

١- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني عن علي بن مجاهد عن حَنَش به، وعلي متروك، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٦٩- ٢٧٠) عن ابن شبة عن المدائني به (لم أقف عليه في «تاريخ المدينة»).

وقال حَنَش بن مالك كذلك: غزا سعيد سنة ثلاثين فأتى جرجان وطبرستان، معه عبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر وابن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص، فحدثني علج كان يخدمهم، قال: كنت أتيتهم بالسفرة، فإذا أكلوا أمروني فنفضتها وعلقتها، فإذا أمسوا أعطوني باقية.

قال: وهلك مع سعيد بن العاص محمد بن الحكم بن أبي عَقيل الثقفي جد يوسف بن عمر، فقال يوسف لقحذم: يا قحذم أتدري أين مات محمد بن الحكم؟

قال: نعم، استشهد مع سعيد بن العاص بطبرستان.

قال: لا، مات بها، وهو مع سعيد، ثم قفل سعيد إلى الكوفة، فمدحه كعب بن جعيل فقال:

فنعم الفتى إذ جال جيلان دونه
وإذ هبطوا من دستبى ثم أبهرا

تعلم سعيد الخير أن مطيتي
إذا هبطت أشفقت من أن تعقرا

كأنك يوم الشعب ليث خفية
تحرد من ليث العرين وأصحرا

تسوس الذي ما ساس قبلك واحد

ثمانين ألفا دارعـــين وحســـرا[١].

وقال كليب بن خلف: إن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان، ثم امتنعوا وكفروا، فلم يأت جرجان بعد سعيد أحد، ومنعوا ذلك الطريق، فلم يكن أحد يسلك طريق خراسان من ناحية قومس إلا على وجل وخوف من أهل جرجان، وكان الطريق إلى خراسان من فارس إلى كرمان، فأول من صير الطريق من قومس قُتيبة بن مسلم حين ولي خراسان[٢].

وقال طفيل بن مرداس العمي وإدريس بن حنظلة العمي: إن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان، وكانوا يجبون أحياناً مائة ألف، ويقولون: هذا صلحنا. وأحيانا مائتي ألف، وأحيانا ثلاثمائة ألف، وكانوا ربما أعطوا ذلك، وربما منعوه، ثم امتنعوا وكفروا، فلم يعطوا خراجاً، حتى أتاهم

١- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني عن علي بن مجاهد عن المدائني به، وعلي متروك، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٧٠- ٢٧١) عن ابن شبة عن المدائني به (لم أقف عليه في «تاريخ المدينة»).

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني عن كليب به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٧١) عن ابن شبة عن المدائني به (لم أقف عليه في «تاريخ المدينة»)، ولم أقف لكليب على ترجمة، ويبدو أنه لم يدرك زمن سعيد بن العاص.

يزيد بن المهلب، فلم يعازه أحد حين قدمها، فلما صالح صولا وفتح البحيرة ودهستان، صالح أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص[1].

هروب ملك الفرس إلى خُرَاسان (٣٠ هـ)[2]

وفي سنة ثلاثين أيضاً هرب يزدجرد بن شهريار في قول بعضهم من فارس إلى خراسان.

قال داود بن أبي هند: قدم ابن عامر البصرة، ثم خرج إلى فارس فافتتحها، وهرب يزدجرد من جوز -وهي أردشير خرة- في سنة ثلاثين، فوجه ابن عامر في أثره مجاشع بن مسعود السلمي، فأتبعه إلى كرمان، فنزل مجاشع السيرجان بالعسكر، وهرب يزدجرد إلى خراسان[3].

وقال أبو المفضل الكرماني: اتبع مجاشع يزدجرد، فخرج من السيرجان

١- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني عن كليب بن خلف عن طفيل وإدريس به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٧١) عن ابن شبة عن المدائني به (لم أقف عليه في «تاريخ المدينة»)، وفي إسناده غير واحد لم أقف لهم على ترجمة.

٢- خُراسَانُ: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند، وهي معدودة من غزوات المشرق؛ انظر: معجم البلدان (٢/ ٣٥٠).

٣- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني عن مسلمة بن حرب عن داود به، وأخرجه خليفة بن خياط في «تاريخه» (ص/ ١٦٤)، والطبري (٤/ ٢٨٦) معلقاً عن المدائني به، ولم أجد في مسلمة جرحاً ولا تعديلاً.

فلما كان عند القصر في بِيمَنْد[١]، وهو الذي يقال له قصر مجاشع، أصابهم الثلج والدمق، فوقع الثلج واشتد البرد، وصار الثلج قامة رمح، فهلك الجند، وسلم مجاشع ورجل كانت معه جارية، فشق بطن بعير فأدخلها فيه وهرب، فلما كان من الغد جاء فوجدها حية فحملها، فسمي ذلك القصر قصر مجاشع؛ لأن جيشه هلكوا فيه، وهو على خمسة فراسخ أو ستة من السيرجان[٢].

وقال أبو المقدام عن بعض مشيخته: خرج مجاشع على وفد أهل البصرة من تُستَر، وفيهم الأحنف، وأخذ في غداة واحدة على لجام واحد خمسين ألفاً، سبق على الصفراء ابنة الغراء ابنة الغبراء، فأخذها منه عمر حين قاسم عماله الأموال[٣].

مقتل يزدجرد ملك الفرس (٣٠ هـ)

وفي هذه السنة قتل يزدجرد ملك فارس.

١- ويقال كذلك: مِيمَنْد؛ انظر: «معجم البلدان» (١/ ٥٣٤، ٥/ ٢٤٥).

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني بإسناد فيه جهالة عن أبي المفضل به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٨٦- ٢٨٧) معلقاً عن المدائني به.

٣- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني عن أبي المقدام به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٨٧) معلقاً عن المدائني به.

وقد اختلف في سبب مقتله، وكيف كان ذلك:

قال ابن إسحاق: هرب يزدجرد من كرمان في جماعة يسيرة إلى مرو، فسأل مرزبانها مالاً فمنعه، فخافوا على أنفسهم، فأرسلوا إلى الترك يستنصرونهم عليه، فأتوه فبيتوه فقتلوا أصحابه، وهرب يزدجرد حتى أتى منزل رجل ينقر الأرحاء على شط المَرْغاب، فأوى إليه ليلاً، فلما نام قتله(١).

معركة ذات الصواري والأساودة (٣١ أو ٣٤ هـ)

كانتا في سنة إحدى وثلاثين في قول الواقدي.

فأما أبو معشر فإنه قال: كانت غزوة الصواري سنة أربع وثلاثين، وكانت في سنة إحدى وثلاثين الأساودة في البحر ووقائع كسرى(٢).

١- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني عن غياث بن إبراهيم عن ابن إسحاق به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٩٣) معلقاً عن المدائني به، وغياث متروك.

وكذلك ذكر المدائني نحوه عن أبي بكر الهذلي، وعن روح بن عبد الله عن خرداذبة، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٩٣- ٢٩٤) معلقاً عن المدائني به، وأبو بكر متروك.

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٢٨٨) بإسناد ضعيف؛ لإبهام أحد رواته، ووافق الطبريَّ ابنُ كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ١٧٧) في سنة هذه الغزوة، وخالفه خليفة بن خياط في «تاريخه» (ص/ ١٦٨)، والكندي في «ولاة مصر» (ص/ ٣٦)، والذهبي في «تاريخ الإسلام» (أحداث سنة ٣٤ هـ) فذهبوا إلى أنها كانت في سنة (٣٤ هـ).

وقال الواقدي: غزوة الصواري والأساودة كلتاهما كانتا في سنة إحدى وثلاثين[١].

وقال عاصم بن عمر بن قتادة: إن أهل الشام خرجوا، عليهم معاوية بن أبي سفيان، وكانت الشام قد جُمع جمعها لمعاوية بن أبي سفيان[٢].

وقال الواقدي: إن أهل الشام خرجوا، عليهم معاوية بن أبي سفيان، وعلى أهل البحر عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وقال: وخرج عامئذ قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمون منهم بإفريقية، فخرجوا في جمع، لم يجتمع للروم مثله قط منذ كان الإسلام، فخرجوا في خمسمائة مركب فالتقوا هم وعبد الله بن سعد فأمن بعضهم بعضاً، حتى قرنوا بين سفن المسلمين وأهل الشرك بين صواريها[٣].

وقال مالك بن أوس بن الحدثان: كنت معهم فالتقينا في البحر، فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط، وكانت الريح علينا فأرسينا ساعة، وأرسوا قريباً منا، وسكنت الريح عنا، فقلنا: الأمن بيننا وبينكم.

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٢٨٨) معلقاً عن الواقدي به.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن محمد بن صالح عن عاصم به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٨٨) معلقا عن الواقدي به.

٣- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٢٩٠) معلقاً عن الواقدي به.

قالوا: ذلك لكم، ولنا منكم.

ثم قلنا: إن أحببتم فالساحل حتى يموت الأعجل منا ومنكم، وإن شئتم فالبحر؟

قال: فنخروا نخرة واحدة، وقالوا: الماء. فدنونا منهم، فربطنا السفن بعضها إلى بعض، حتى كنا يضرب بعضنا بعضاً على سفننا وسفنهم، فقاتلنا أشد القتال، ووثب الرجال على الرجال يضطربون بالسيوف على السفن، ويتواجؤون بالخناجر، حتى رجعت الدماء إلى الساحل، تضربها الأمواج، وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاماً[١].

وقال من حضر ذلك اليوم: رأيت الساحل حيث تضرب الريح الموج، وإن عليه لمثل الظرب العظيم من جثث الرجال، وإن الدم لغالب على الماء، ولقد قتل يومئذ من المسلمين بشر كثير، وقتل من الكفار ما لا يحصى، وصبروا يومئذ صبراً لم يصبروا في موطن قط مثله، ثم أنزل الله نصره على أهل الإسلام، وانهزم القسطنطين مدبراً، فما انكشف إلا لما أصابه من القتل والجراح، ولقد أصابه يومئذ جراحات مكث منها

---

١ - [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي بإسناده عن مالك به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٩٠) معلقاً عن الواقدي به.

حينا جريحاً[١].

وقال حَنَش بن عبد الله الصنعاني: كان أول ما سمع من محمد بن أبي حذيفة حين ركب الناس البحر سنة إحدى وثلاثين لما صلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح بالناس العصر كبر محمد بن أبي حذيفة تكبيراً، ورفع صوته حتى فرغ الإمام عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فلما انصرف سأل ما هذا؟

فقيل له: هذا محمد بن أبي حذيفة يكبر، فدعاه عبد الله بن سعد، فقال له: ما هذه البدعة والحدث؟

فقال له: ما هذه بدعة، ولا حدث، وما بالتكبير بأس.

قال: لا تعودن.

قال: فأسكت محمد بن أبي حذيفة، فلما صلى المغرب عبد الله بن سعد كبر محمد بن أبي حذيفة تكبيراً أرفع من الأول، فأرسل إليه: إنك غلام أحمق؛ أما والله لولا أني لا أدري ما يوافق أمير المؤمنين لقاربت بين خطوك.

فقال محمد بن أبي حذيفة: والله مالك إلى ذلك سبيل، ولو هممت به ما

---

١ - [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي بإسناده، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٩٠- ٢٩١) معلقاً عن الواقدي به.

قدرت عليه.

قال: فكف خير لك، والله لا تركب معنا.

قال: فأركب مع المسلمين.

قال: اركب حيث شئت.

قال: فركب في مركب وحده ما معه إلا القبط حتى بلغوا ذات الصواري، فلقوا جموع الروم في خمسمائة مركب أو ستمائة، فيها القسطنطين بن هرقل، فقال: أشيروا علي.

قالوا: ننظر الليلة.

فباتوا يضربون بالنواقيس، وبات المسلمون يصلون، ويدعون الله، ثم أصبحوا، وقد أجمع القسطنطين أن يقاتل، فقربوا سفنهم وقرب المسلمون، فربطوا بعضها إلى بعض وصف عبد الله بن سعد المسلمين على نواحي السفن، وجعل يأمرهم بقراءة القرآن، ويأمرهم بالصبر ووثبت الروم في سفن المسلمين على صفوفهم حتى نقضوها، فكانوا يقاتلون على غير صفوف.

قال: فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم إن الله نصر المؤمنين، فقتلوا منهم مقتلة

عظيمة لم ينج من الروم إلا الشريد.

قال: وأقام عبد الله بذات الصواري أياماً بعد هزيمة القوم، ثم أقبل راجعاً، وجعل محمد بن أبي حذيفة يقول للرجل: أما والله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقاً!

فيقول الرجل: وأي جهاد؟!

فيقول: عثمان بن عفان فعل كذا وكذا، وفعل كذا وكذا، حتى أفسد الناس، فقدموا بلدهم وقد أفسدهم، وأظهروا من القول ما لم يكونوا ينطقون به[١].

ملخص غزوة ذات الصواري

قال ابن كثير: لما أصاب عبد الله بن سعد بن أبي سرح من أصاب من الفرنج والبربر ببلاد إفريقية والأندلس، حميت الروم واجتمعت على قسطنطين بن هرقل، وساروا إلى المسلمين في جمع لم ير مثله منذ كان الإسلام، خرجوا في خمسمائة مركب، وقصدوا عبد الله بن سعد بن أبي

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي بإسناده عن حنش به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٩١-٢٩٢) معلقاً عن الواقدي به.

وذكر كذلك نحوه الواقدي عن معمر عن الزهري به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٩٢) معلقاً عن الواقدي به، والزهري لم يدرك هذا الحدث.

سرح في أصحابه من المسلمين الذين ببلاد المغرب.

فلما تراءى الجمعان بات الروم يقسقسون ويصلبون، وبات المسلمون يقرءون ويصلون، فلما أصبحوا صف عبد الله بن سعد أصحابه صفوفاً في المراكب، وأمرهم بذكر الله وتلاوة القرآن.

قال بعض من حضر ذلك: فأقبلوا إلينا في أمر لم ير مثله من كثرة المراكب، وتعداد صواريها، وكانت الريح لهم وعلينا فأرسينا ثم سكنت الريح عنا، فقلنا لهم: إن شئتم خرجنا نحن وأنتم إلى البر فمات الأعجل منا ومنكم.

قال: فنخروا نخرة رجل واحد، وقالوا: الماء الماء.

قال: فدنونا منهم وربطنا سفننا بسفنهم. ثم اجتلدنا وإياهم بالسيوف يثب الرجال على الرجال بالسيوف والخناجر، وضربت الأمواج في عيون تلك السفن حتى ألجأتها إلى الساحل، وألقت الأمواج جثث الرجال إلى الساحل حتى صارت مثل الجبل العظيم، وغلب الدم على لون الماء، وصبر المسلمون يومئذ صبرا لم يعهد مثله قط، وقتل منهم بشر كثير ومن الروم أضعاف ذلك، ثم أنزل الله نصره على المسلمين، فهرب قسطنطين وجيشه -وقد قلوا جداً- وبه جراحات شديدة كثيرة مكث حيناً يداوى

منها بعد ذلك، وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري أياماً، ثم رجع مؤيداً منصوراً مظفراً[1].

فتوحات عبد الله بن عامر (٣١ هـ)

في سنة إحدى وثلاثين شخص عبد الله بن عامر إلى خراسان ففتح أبر شهر وطوس وبيوردونسا حتى بلغ سرخس، وصالح فيها أهل مرو.

قال السكن بن قتادة العريني: فتح ابن عامر فارس، ورجع إلى البصرة، واستعمل على إصطخر شريك بن الأعور الحارثي، فبنى شريك مسجد إصطخر، فدخل على ابن عامر رجل من بني تميم، قال: كنا نقول إنه الأحنف، ويقال: أوس بن جابر الجشمي جشم تميم. فقال له: إن عدوك منك هارب، وهو لك هائب، والبلاد واسعة، فسر فإن الله ناصرك، ومعز دينه.

فتجهز ابن عامر وأمر الناس بالجهاز للمسير، واستخلف على البصرة زياداً، وسار إلى كرمان، ثم أخذ إلى خراسان، فقوم يقولون: أخذ طريق أصبهان ثم سار إلى خراسان[2].

١- «البداية والنهاية» (١٠/ ٢٣٨- ٢٣٩).

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني عن مسلمة بن محارب عن السكن به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٠١) معلقاً عن المدائني به، ولم أجد في مسلمة جرحاً ولا تعديلاً.

وقال أبو المفضل الكرماني: كان أشياخ كرمان يذكرون أن ابن عامر نزل المعسكر بالسيرجان، ثم سار إلى خراسان واستعمل على كرمان مجاشع بن مسعود السلمي، وأخذ ابن عامر على مفازة رابز، وهي ثمانون فرسخاً ثم سار إلى الطبسين يريد أبرشهر، وهي مدينة نيسابور، وعلى مقدمته الأحنف بن قيس، فأخذ إلى قُهُسْتَان، وخرج إلى أبرشهر، فلقيه الهياطلة، وهم أهل هراة، فقاتلهم الأحنف فهزمهم، ثم أتى ابن عامر نيسابور[١].

وقال الشعبي: أخذ ابن عامر على مفازة خَبِيص، ثم على خُواسْت، ويقال، على يَزْد، ثم على قُهُسْتَان، فقدم الأحنف فلقيه الهياطلة[٢]، فقاتلهم فهزمهم، ثم أتى أبرشهر، فنزلها ابن عامر، وكان سعيد بن العاص في جند أهل الكوفة، فأتى جرجان وهو يريد خراسان، فلما بلغه نزول ابن عامر أبرشهر رجع إلى الكوفة[٣].

١- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني عن المفضل عن أبيه به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٠١) معلقاً عن المدائني به، ولم أجد للمفضل، ولا لأبيه ترجمة.

٢- الهيطل والهياطلة: جنس من الترك والهند؛ انظر: «تهذيب اللغة» (٦/ ١٠٣).

٣- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني عن أبي مخنف عن نمير بن وعلة عن الشعبي به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٠١) معلقا عن المدائني به، وقال صاحب «مرويات أبي مخنف ... دراسة نقدية» (ص/ ١٨٦): «هذه الرواية واحدة من الروايات التي ساقها الطبري في فتوحات عبد الله بن عامر في خراسان، وقد أشار إليها جمع من المؤرخين، ولم أقف لها على معارض».

وقال علي بن مجاهد: نزل ابن عامر على أبرشهر فغلب على نصفها عنوة، وكان النصف الآخر في يد كنارَى، ونصف نساوطوس، فلم يقدر ابن عامر أن يجوز إلى مرو، فصالح كنارَى، فأعطاه ابنه أبا الصلت بن كنارَى وابن أخيه سليماً رهناً، ووجه عبد الله بن خازم إلى هراة، وحاتم بن النعمان إلى مرو، فأخذ ابن عامر ابني كنارَى، فصارا إلى النعمان بن الأفقم النصري فأعتقهما[١].

وقال إدريس بن حنظلة العمي: فتح ابن عامر مدينة أبرشهر عنوة، وفتح ما حولها طوس وبيورد ونسا وحمران وذلك سنة إحدى وثلاثين[٢].

وقال موسى بن عبد الله بن خازم: أبي صالحَ أهل سرخس، بعثه إليهم عبد الله بن عامر من أبر شهر، وصالح ابن عامر أهل أبرشهر صلحاً، فأعطوه جاريتين من آل كسرى بابونج وطهميج أو طمهبج، فأقبل بهما معه، وبعث أمين بن أحمر اليشكري، ففتح ما حول أبرشهر طوس وبيورد ونسا وحمران حتى انتهى إلى سرخس[٣].

١- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني عن علي به، وعلي متروك، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٠١- ٣٠٢) معلقاً عن المدائني به.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني عن أبي حفص الأزدي عن إدريس به، وإدريس لم أجد له ترجمة، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٠٢) معلقاً عن المدائني به.

٣- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني بإسناد ضعيف عن موسى به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٠٢) معلقاً عن المدائني به.

وقال ابن سيرين: بعث ابن عامر عبد الله بن خازم إلى سرخس ففتحها، وأصاب ابن عامر جاريتين من آل كسرى، فأعطى إحداهما النوشجان، وماتت بابونج[١].

وقال أشياخ من أهل خراسان: إن ابن عامر سرح الأسود بن كلثوم العدوي -عدي الرِّباب- إلى بيهق، وهو من أبرشهر بينها وبين مدينة أبرشهر ستة عشر فرسخا، ففتحها وقتل الأسود بن كلثوم. قال: وكان فاضلاً في دينه، كان من أصحاب عامر بن عبد الله العنبري، وكان عامر يقول بعد ما أخرج من البصرة: ما آسى من العراق على شيء إلا على ظِماء الهواجر وتجاوب المؤذنين وإخوان مثل الأسود بن كلثوم[٢].

وقال بعض عمومة زهير بن هنيد: غلب ابن عامر على نيسابور، وخرج إلى سرخس، فأرسل إلى أهل مرو يطلب الصلح، فبعث إليهم ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلي، فصالح براز مرزبان مرو على ألفي ألف ومائتي

١- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني عن الصلت بن دينار عن ابن سيرين به، والصلت متروك، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٠٢) معلقاً عن المدائني به.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني عن زهير بن هنيد عن الأشياخ به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٠٢) معلقاً عن المدائني، وعلة هذا الإسناد جهالة المتكلم.

وأخرج الإمام أحمد في «الزهد» (رقم/ ١٢٥٥) قول عامر بإسناد رجاله ثقات.

ألف[١].

وقال مقاتل بن حيان: صالحهم على ستة آلاف ومائتي ألف[٢].

وفي سنة اثنتين وثلاثين فتح ابن عامر مروروذ والطالقان والفارياب والجوزجان وطخارستان.

قال ابن سيرين: بعث ابن عامر الأحنف بن قيس إلى مروروذ، فحصر أهلها، فخرجوا إليهم، فقاتلوهم فهزمهم المسلمون حتى اضطروهم إلى حصنهم، فأشرفوا عليهم، فقالوا: يا معشر العرب، ما كنتم عندنا كما نرى، ولو علمنا أنكم كما نرى، لكانت لنا ولكم حال غير هذه، فأمهلونا ننظر يومنا، وارجعوا إلى عسكركم.

فرجع الأحنف، فلما أصبح غاداهم، وقد أعدوا له الحرب، فخرج رجل من العجم معه كتاب من المدينة، فقال: إني رسول فأمنوني فأمنوه، فإذا رسول من مرزبان مرو بن أخيه وترجمانه، وإذا كتاب المرزبان إلى الأحنف، فقرأ الكتاب.

١- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني عن زهير بن هنيد عن بعض عمومته به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٠٢- ٣٠٣) معلقاً عن المدائني به، وعلة هذا الإسناد جهالة المتكلم.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني عن مصعب بن حيان عن مقاتل به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٠٣) معلقاً عن المدائني به، ومصعب ومقاتل ضعيفان.

قال: فإذا هو: إلى أمير الجيش، إنا نحمد الله الذي بيده الدول، يغير ما شاء من الملك، ويرفع من شاء بعد الذلة، ويضع من شاء بعد الرفعة، إنه دعاني إلى مصالحتك وموادعتك، ما كان من إسلام جدي، وما كان رأي من صاحبكم من الكرامة والمنزلة، فمرحباً بكم وأبشروا، وأنا أدعوكم إلى الصلح فيما بينكم وبيننا على أن أؤدي إليكم خراجاً ستين ألف درهم، وأن تقروا بيدي ما كان ملك الملوك كسرى أقطع جد أبي حيث قتل الحية التي أكلت الناس وقطعت السبل من الأرضين والقرى بما فيها من الرجال، ولا تأخذوا من أحد من أهل بيتي شيئاً من الخراج، ولا تخرج المرزبة من أهل بيتي إلى غيركم، فإن جعلت ذلك لي خرجت إليك، وقد بعثت إليك ابن أخي ماهك ليستوثق منك بما سألت.

قال: فكتب إليه الأحنف:

بسم الله الرحمن الرحيم

مِن صخر بن قيس أمير الجيش إلى باذان مرزبان مروروذ ومن معه من الأساورة والأعاجم.

سلام على من اتبع الهدى وآمن واتقى، أما بعد:

فإن ابن أخيك ماهك قدم علي فنصح لك جهده، وأبلغ عنك، وقد عرضت ذلك على من معي من المسلمين، وأنا وهم فيما عليك سواء، وقد

أجبناك إلى ما سألتَ، وعرضت على أن تؤدي عن أكرتك وفلاحيك والأرضين ستين ألف درهم إلي وإلى الوالي من بعدي من أمراء المسلمين، إلا ما كان من الأرضين التي ذكرت أن كسرى الظالم لنفسه أقطع جد أبيك لما كان من قتله الحية التي أفسدت الأرض وقطعت السبل، والأرض لله ولرسوله، يورثها من يشاء من عباده، وإن عليك نصرة المسلمين وقتال عدوهم بمن معك من الأساورة، إن أحب المسلمون ذلك وأرادوه، وإن لك على ذلك نصرة المسلمين على من يقاتل من وراءك من أهل ملتك، جار لك بذلك مني كتاب يكون لك بعدي، ولا خراج عليك، ولا على أحد من أهل بيتك من ذوي الأرحام، وإن أنت أسلمت واتبعت الرسول، كان لك من المسلمين العطاء والمنزلة والرزق، وأنت أخوهم، ولك بذلك ذمتي وذمة أبي وذمم المسلمين وذمم آبائهم، شهد على ما في هذا الكتاب جزء بن معاوية أو معاوية بن جزء السعدي، وحمزة بن الهرماس، وحميد بن الخيار المازنيان، وعياض بن ورقاء الأسيدي.

وكتب كيسان مولى بني ثعلبة يوم الأحد من شهر الله المحرم.

وختم أمير الجيش الأحنف بن قيس، ونقش خاتم الأحنف: «نعبد الله»(١).

---

١ - [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني بإسناد ضعيف عن ابن سيرين به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣١٠- ٣١١) معلقاً عن المدائني به.

وقال مقاتل بن حيان: صالح ابن عامر أهل مرو، وبعث الأحنف في أربعة آلاف إلى طخارستان، فأقبل حتى نزل موضع قصر الأحنف من مروروذ، وجمع له أهل طخارستان وأهل الجوزجان والطالقان والفارياب، فكانوا ثلاثة زحوف، ثلاثين ألفاً، وأتى الأحنف خبرهم وما جمعوا له، فاستشار الناس فاختلفوا، فبين قائل: نرجع إلى مرو. وقائل: نرجع إلى أبرشهر. وقائل. نقيم نستمد. وقائل: نلقاهم فنناجزهم.

قال: فلما أمسى الأحنف خرج يمشي في العسكر، ويستمع حديث الناس، فمر بأهل خباء، ورجل يوقد تحت خزيرة أو يعجن، وهم يتحدثون ويذكرون العدو، فقال بعضهم: الرأي للأمير أن يسير إذا أصبح حتى يلقى القوم حيث لقيهم؛ فإنه أرعب لهم فيناجزهم.

فقال صاحب الخزيرة أو العجين: إن فعل ذلك فقد أخطأ وأخطأتم، أتأمرونه أن يلقى حد العدو مصجراً في بلادهم، فيلقى جمعاً كثيراً بعدد قليل، فإن جالو جولة اصطلمونا، ولكن الرأي له أن ينزل بين المرغاب والجبل، فيجعل المرغاب عن يمينه، والجبل عن يساره، فلا يلقاه من عدوه، وإن كثروا إلا عدد أصحابه.

فرجع الأحنف، وقد اعتقد ما قال، فضرب عسكره وأقام، فأرسل إليه أهل مرو يعرضون عليه أن يقاتلوا معه.

فقال: إني أكره أن أستنصر بالمشركين، فأقيموا على ما أعطيناكم وجعلنا بيننا وبينكم، فإن ظفرنا فنحن على ما جعلنا لكم، وإن ظفروا بنا وقاتلوكم فقاتلوا عن أنفسكم.

قال: فوافق المسلمين صلاة العصر، فعاجلهم المشركون، فناهضوهم فقاتلوهم وصبر الفريقان حتى أمسوا، والأحنف يتمثل بشعر ابن جؤية الأعرجي:

أحق من لم يكره المنيه   حزور ليست له ذُرِّيه[1].

غزو الباب[2] وبَلَنْجَرُ (٣٢ هـ)[3]

في سنة اثنتين وثلاثين استعمل سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة على فرج بَلَنْجَر، وأمد الجيش الذي كان به مقيماً مع حذيفة بأهل الشام، عليهم

١- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني عن مصعب بن حيان عن مقاتل به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣١١- ٣١٢) من طريق المدائني به، ومصعب ومقاتل ضعيفان.

٢- يقال: باب أو باب الأبواب، وهي على بحر طبرستان (الخزر)، وهي مدينة تكون أكبر من أردبيل نحو ميلين في ميلين، وهي معدودة من غزوات المشرق؛ انظر: معجم البلدان (١/ ٣٠٣).

٣- قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (١/ ٤٨٩): «بَلَنْجَرُ: بفتحتين، وسكون النون، وجيم مفتوحة، وراء: مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب»، وهي معدودة من غزوات المشرق.

حبيب بن مسلمة الفهري في قول سيف.

فوقع الاختلاف بين سلمان وحبيب في الأمر، وتنازع في ذلك أهل الشام وأهل الكوفة.

قال رجل من بني كنانة: لما تتابعت الغزوات على الخزر وتذامروا وتعايروا، وقالوا: كنا أمة لا يقرن لنا أحد، حتى جاءت هذه الأمة القليلة، فصرنا لا نقوم لها.

فقال بعضهم لبعض: إن هؤلاء لا يموتون، ولو كانوا يموتون لما اقتحموا علينا، وما أصيب في غزواتها أحد إلا في آخر غزوة عبد الرحمن.

فقالوا: أفلا تجربون؟

فكمنوا في الغِياض[١]، فمر بأولئك الكمين مرار من الجند، فرموهم منها فقتلوهم، فواعدوا رؤوسهم، ثم تداعوا إلى حربهم، ثم اتعدوا يوماً، فاقتتلوا فقتل عبد الرحمن، وأسرع في الناس فافترقوا فرقين: فرق نحو الباب فحماهم سلمان حتى أخرجهم، وفرق أخذوا نحو الخزر، فطلعوا على جِيلان وجرجان، فيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة[٢].

١- الغيضة: الأجمة، وجمعها: غياض؛ انظر: «تهذيب اللغة» (٨/ ١٤٦).

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن الغصن بن القاسم عن الرجل به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٠٥) من طريق سيف به.

وقال أبو المستنير: كان يزيد بن معاوية وعلقمة بن قيس ومعضد الشيباني وأبو مفزر التميمي في خباء، وعمرو بن عتبة وخالد بن ربيعة والحلحال بن ذري والقرثع في خباء، وكانوا متجاورين في عسكر بلنجر، وكان القرثع يقول: ما أحسن لمع الدماء على الثياب!

وكان عمرو بن عتبة يقول لقباء عليه أبيض: ما أحسن حمرة الدماء في بياضك!

وغزا أهل الكوفة بلنجر سنين من إمارة عثمان، لم تئم فيهن امرأة، ولم ييتم فيهن صبي من قتل، حتى كان سنة تسع، فلما كان سنة تسع قبل المزاحفة بيومين رأى يزيد بن معاوية، أن غزالاً جيء به إلى خبائه، لم ير غزالاً أحسن منه، حتى لف في ملحفته، ثم أتي به قبر عليه أربعة نفر، لم ير قبراً أشد استواء منه، ولا أحسن منه، حتى دفن فيه.

فلما تغادى الناس على الترك، رمي يزيد بحجر فهشم رأسه، فكأنما زين ثوبه بالدماء زينة، وليس يتلطخ، فكان ذلك الغزال الذي رأى، وكان بذلك الدم على ذلك القباء الحسن، فلما كان قبل المزاحفة بيوم، تغادوا فقال معضد لعلقمة: أعرني بردك أعصب به رأسي ففعل، فأتى البرج الذي أصيب فيه يزيد، فرماهم فقتل منهم، ورمي بحجر في عرادة

ففضخ هامته، واجتره أصحابه فدفنوه إلى جنب يزيد، وأصاب عمرو بن عتبة جراحة فرأى قباءه كما اشتهى، وقتل فلما كان يوم المزاحفة، قاتل القرثع حتى خرق بالحراب، فكأنما كان قباؤه ثوباً أرضه ووشيه أحمر، وما زال الناس ثبوتاً حتى أصيب، وكانت هزيمة الناس مع مقتله[١].

وقال داود بن يزيد نحوه، وفيه قول عثمان بن عفان: إنا لله وإنا إليه راجعون! انتكث أهل الكوفة، اللهم تب عليهم، وأقبل بهم[٢].

وقال محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم: استعمل سعيد على ذلك الفرج سلمان بن ربيعة، واستعمل على الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان، وكان على ذلك الفرج قبل ذلك عبد الرحمن بن ربيعة، وأمدهم عثمان في سنة عشر بأهل الشأم، عليهم حبيب بن مسلمة القرشي، فتأمر عليه سلمان وأبى عليه حبيب، حتى قال أهل الشأم: لقد هممنا بضرب سلمان.

فقال في ذلك الناس: إذن والله نضرب حبيباً ونحبسه، وإن أبيتم كثرت القتلى فيكم وفينا.

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر بإسناد ضعيف عن أبي المستنير به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٠٥، ٣٠٦) من طريق سيف به.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن داود به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٠٦) من طريق سيف به.

وقال أوس بن مغراء في ذلك:

إن تضربوا سلمان نضرب حبيبكم
وإن ترحلوا نحو ابن عفان نرحل
وإن تقسطوا فالثغر ثغر أميرنا
وهذا أمير في الكتائب مقبل
ونحن ولاة الثغر كنا حماته
ليالي نرمي كل ثغر وننكل

فأراد حبيب أن يتأمر على صاحب الباب، كما كان يتأمر أمير الجيش إذا جاء من الكوفة، فلما أحس حذيفة أقر وأقروا، فغزاها حذيفة بن اليمان ثلاث غزوات، فقتل عثمان في الثالثة، ولقيهم مقتل عثمان، فقال: اللهم العن قتلة عثمان وغزاة عثمان وشنأة عثمان، اللهم إنا كنا نعاتبه ويعاتبنا، متى ما كان من قبله يعاتبنا ونعاتبه! فاتخذوا ذلك سلما إلى الفتنة، اللهم لا تمتهم إلا بالسيوف[1].

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد وطلحة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٠٦- ٣٠٧) من طريق سيف به.

الفصل السادس

ظهور الرخاء في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وكثرة عطائه

قال الحسن البصري: أدركت عثمان ﵁، وأنا يومئذ قد راهقت الحلم، فسمعته يخطب، وشهدته يقول: يا أيها الناس، ما تنقمون علي؟

قال: وما من يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيراً.

يقول: يا معشر الناس، اغدوا على عطياتكم. فيغدون فيأخذونها وافرة.

ثم يقال: يا معشر المسلمين اغدوا على كسوتكم، فيجاء بالحلل فتقسم بينهم.

قال الحسن: والعدو منفي، والعطيات دارة، وذات البين حسن، والخير كثير، ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمناً، من لقي من أي الأحياء كان فهو أخوه ومودته ونصرته، والفتنة أن يسل عليه سيفاً[١].

وقال ابن سُعدي: كثر المال في زمن عثمان ﵁ حتى بيعت جارية

---

١ - [إسناده حسن]: أخرجه البخاري في «التاريخ» [كما في «البداية والنهاية» (٧/ ٢٣٩)]، ومن طريقه ابن عساكر (٣٩/ ٢٢٧).

وأخرجه ابن شبة (٣/ ١٠٢٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٨٧)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٩٤): «إسناده حسن».

بوزنها، وفرس بمائة ألف درهم، ونخلة بألف درهم[١].

وقال عروة بن الزبير: أدركت زمن عثمان رضي الله عنه، وما من نفس مسلمة إلا ولها في مال الله حق[٢].

وقال هارون بن عنترة عن أبيه: شهدت عثمان يتأنى بأعطية الناس أن يقال: فلانة تلد الليلة، فيقول: كما أنتم، انظروا فإن ولدت جارية أو غلاماً، أخرج له مع الناس[٣].

وقال كذلك: شهدت علياً وعثمان يرزقان أرقاء الناس[٤].

وقال محمد بن هلال المديني: حدثني أبي عن جدتي أنها كانت تدخل على عثمان بن عفان، ففقدها يوماً، فقال لأهله: ما لي لا أرى فلانة؟

فقالت امرأته: يا أمير المؤمنين ولدت الليلة غلاماً.

١- [إسناده حسن]: أخرجه ابن شبة (٣/ ١٠٢١)، وأخرج (٣/ ١٠٢٣) نحوه عن ابن سيرين.

٢- [إسناده حسن]: أخرجه ابن شبة (٣/ ١٠٢٢).

٣- [إسناده حسن]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٣٥٦٠)، وابن زنجويه في «الأموال» (رقم/ ٨٥٤).

٤- [إسناده حسن]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٣٥٥٤)، وابن زنجويه في «الأموال» (رقم/ ٨٩٧).

فقالت: فأرسل إلي بخمسين درهماً وشُقيقة سنبلانية، ثم قال: هذا عطاء ابنك، وهذه كسوته، فإذا مرت به سنة رفعناه إلى مائة[١].

وقال وهيب مولى زيد بن ثابت: إن زيد بن ثابت كان في إمارة عثمان على بيت المال، قال: فدخل عثمان وأبصر وهيباً يعينهم، فقال: من هذا؟

فقال: مملوك لي.

فقال: أراه يعينهم، افرض له ألفين.

قال: ففرض له ألفاً[٢].

١- [إسناده حسن]: أخرجه أبو عبيد في «الأموال» (رقم/ ٥٨٤) عن سعيد بن أبي مريم عن محمد به.

وأخرجه ابن زنجويه في «الأموال» (رقم/ ٨٥٣) عن أبي عبيد به.

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٣٥٥٥).

الفصل السابع

مما قام به عثمان بن عفان

رضي الله عنه

في ولايته

المبحث الأول

جمع القرآن

أولاً- الباعث على جمع القرآن في عهد عثمان :

عن أنس بن مالك، أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك.

فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق(١).

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٤٩٨٧).

وذكر الطبري آثاراً في ذلك، وقال: وما أشبه ذلك من الأخبار، التي يطول باستيعاب جميعها الكتاب، والآثار الدالة على أن إمام المسلمين، وأمير المؤمنين عثمان بن عفان رحمة الله عليه، جمع المسلمين، نظراً منه لهم، وإشفاقاً منه عليهم، ورأفة منه بهم، حذار الردة من بعضهم بعد الإسلام، والدخول في الكفر بعد الإيمان، إذ ظهر من بعضهم بمحضره وفي عصره التكذيب ببعض الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، مع سماع أصحاب رسول الله ﷺ من رسول الله ﷺ النهي عن التكذيب بشيء منها، وإخباره إياهم، أن المراء فيها كفر، فحملهم رحمة الله عليه إذ رأى ذلك ظاهرا بينهم في عصره، وبحداثة عهدهم بنزول القرآن، وفراق رسول الله ﷺ إياهم، بما أمن عليهم معه عظيم البلاء في الدين، من تلاوة القرآن على حرف واحد، وجمعهم على مصحف واحد، وحرف واحد، وحرق ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه، وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف المصحف الذي جمعهم عليه أن يحرقه، فاستوثقت له الأمة على ذلك بالطاعة، ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية، فتركت القراءة بالأحرف الستة، التي عزم عليها إمامها العادل في تركها، طاعة منها له، ونظراً منها لأنفسها، ولمن بعدها من سائر أهل ملتها، حتى درست من الأمة معرفتها، وتعفت آثارها، فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة

بها لدثورها، وعفو آثارها، وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها، من غير جحود منها صحتها وصحة شيء منها، ولكن نظراً منها لأنفسها ولسائر أهل دينها، فلا قراءة اليوم للمسلمين إلا بالحرف الواحد، الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح، دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية[١].

ثانياً- استشارة جمهور الصحابة في جمع عثمان وموافقتهم عليه:

قال ابن الزبير: قلت: لعثمان بن عفان ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾[٢]، قال: قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها؟ أو تدعها؟

قال: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه[٣].

ومع ما كان عليه عثمان رضي الله عنه من هذا الورع، فقد جمع المهاجرين والأنصار وشاورهم في الأمر، وفيهم أعيان الأمة وأعلام الأئمة وعلماء الصحابة، وفي طليعتهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حتى عرف رأيهم وعرفوا رأيه، فأجابوه إلى رأيه، وظهر للناس ما انعقد عليه إجماعهم، فلم يعرف

١- «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (١/ ٥٨- ٥٩).

٢- [البقرة: ٢٣٤].

٣- أخرجه البخاري (رقم/ ٤٥٣٠).

قط يومئذ لهم مخالف ولا عرف عند أحد نكير.

وقد أدرك مصعب بن سعد صحابة النبي حين مشق[١] عثمان ﵁ المصاحف فرآهم قد أعجبوا بهذا الفعل منه[٢].

وقال: قام عثمان فخطب الناس فقال: أيها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن، وتقولون: قراءة أُبي، وقراءة عبد الله، يقول الرجل: والله ما تقيم قراءتك!

فأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به، وكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن، حتى جمع من ذلك كثرة.

ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً، فناشدهم لسمعت رسول الله ﷺ وهو أملاه عليك؟

فيقول: نعم.

فلما فرغ من ذلك عثمان، قال: من أكتب الناس؟

قالوا: كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت.

١- المشق: هو الحرق، انظر: «لسان العرب» (١٠/ ٣٤٤).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه البخاري في «التاريخ الأوسط» (١/ ٦٩) معلقاً، ووصله ابن شبة (٣/ ١٠٠٤) بإسناد صحيح.

قال: فأي الناس أعرب؟

قالوا: سعيد بن العاص.

قال عثمان: فليمل سعيد وليكتب زيد.

فكتب زيد، وكتب مصاحف ففرقها في الناس، فسمعت بعض أصحاب محمد يقول: قد أحسن(١).

وكان علي رضي الله عنه ينهى من يعيب على عثمان رضي الله عنه بذلك ويقول: يا أيها الناس، لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً أو قولوا خيراً، فوالله ما فعل الذي فعل -أي في المصاحف- إلا عن ملأ منا جميعاً -أي الصحابة-، والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل(٢).

وقال القرطبي: كان هذا من عثمان رضي الله عنه بعد أن جمع المهاجرين والأنصار وجلة أهل الإسلام وشاورهم في ذلك، فاتفقوا على جمعه بما صح وثبت من القراءة المشهورة عن النبي صلى الله عليه وسلم واطراح ما سواها، واستصوبوا رأيه،

١- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (ص/ ١٠٠)، وصحح إسناده ابن كثير في «التفسير» (١/ ٣٢).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (ص/ ٩٨)، والبيهقي (٢/ ٦٢)، وصحح ابن حجر إسناده في «فتح الباري» (٩/ ١٨).

وكان رأياً سديداً موفقاً[١].

ثالثاً- الفرق بين جمع الصديق وجمع عثمان رضي الله عنهما للقرآن:

قال ابن التين: الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لخشيته أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حملته؛ لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي ﷺ.

وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك إلى تخطئة بعضهم البعض، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره، واقتصر في سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسع في قراءاته بلغة غيرهم، دفعاً للحرج والمشقة في ابتداء الأمر، فرأى أن الحاجة قد انتهت، فاقتصر على لغة واحدة[٢].

وقال أبو بكر الباقلاني: لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع القرآن في

١- «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٨٨).

٢- انظر: «فتح الباري» (٩/ ٢١)، و«الإتقان في علوم القرآن» (١/ ٢١٠).

صحيفةٍ واحدةٍ على ترتيب ما أوحي به؛ إذ كان ذلك أمراً قد استقر وفُرِغَ منه قبل أيامه[١].

وقال كذلك: إن عثمان لم يقصد قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروضة على الرسول، وإلغاء ما لم يجرِ مجرى ذلك، وأخذهم بمصحف عثمان لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ومنسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه، ومفروض قراءته وحفظه، وتسليم ما في أيدي الناس من ذلك، لما فيه من التخليط والفساد، وخشية دخول الشبهة على من يأتي من بعد، وأنه لم يُسقط شيئاً من القراءات الثابتة عن رسول الله ﷺ، ولا منع منها، وحَظَرَها[٢].

وقال القرطبي: فإن قيل: فما وجه جمع عثمان الناس على مصحفه وقد سبقه أبو بكر إلى ذلك وفرغ منه؟

قيل له: إن عثمان رضي الله عنه لم يقصد بما صنع جمع الناس على تأليف المصحف، ألا ترى كيف أرسل إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في

١- «الانتصار للقرآن» (١/ ٥٦- ٥٧).

٢- «الانتصار للقرآن» (١/ ٦٥)، وانظر: «الإتقان في علوم القرآن» (١/ ٢١٠- ٢١١).

المصاحف ثم نردها إليك؟

وإنما فعل ذلك عثمان؛ لأن الناس اختلفوا في القراءة لتفرق الصحابة في البلدان، واشتد الأمر في ذلك وعظم اختلافهم وتشبثهم، ووقع بين أهل الشام والعراق ما ذكره حذيفة رضي الله عنه[١].

رابعاً- عدد المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار:

لما فرغ عثمان رضي الله عنه من جمع المصاحف أرسل إلى كل أفق بمصحف، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسله إلى الآفاق، وقد اختلفوا في عدد المصاحف التي فرقها في الأمصار:

فقيل: إنها أربعة، وهو الذي اتفق عليه أكثر العلماء.

وقيل: إنها خمسة.

وقيل: إنها ستة.

وقيل: إنها سبعة.

وقيل: إنها ثمانية.

أما كونها أربعة، فقيل: إنه أبقى مصحفاً بالمدينة، وأرسل مصحفاً إلى الشام، ومصحفاً إلى الكوفة، ومصحفاً إلى البصرة.

١- «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٨٧).

وأما كونها خمسة: فالأربعة المتقدم ذكرها، والخامس أرسله إلى مكة.

وأما كونها ستة: فالخمسة والمتقدم ذكرها، والسادس اختلف فيه، فقيل جعله خاصاً لنفسه، وقيل: أرسله إلى البحرين.

وأما كونها سبعة: فالستة المتقدم ذكرها، والسابع أرسله إلى اليمن.

وأما كونها ثمانية: فالسبعة المتقدم ذكرها، والثامن كان لعثمان يقرأ فيه، وهو الذي قتل وهو بين يديه.

وبعث رضي الله عنه مع كل مصحف من يرشد الناس إلى قراءته بما يحتمله رسمه من القراءات مما صح وتواتر، فكان عبد الله بن السائب مع المصحف المكي، والمغيرة بن شهاب مع المصحف الشامي، وأبو عبد الرحمن السلمي مع المصحف الكوفي، وعامر بن قيس مع المصحف البصري، وأمر زيد بن ثابت أن يقرئ الناس بالمدني(١).

خامساً- موقف عبد الله بن مسعود من مصحف عثمان:

عن أبي وائل، قال: قال عبد الله: إني قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين، فاقرءوا كما علمتم فإنما هو كقول أحدكم: «هلم»، و«تعال»(٢).

١- انظر: «أضواء البيان في تاريخ القرآن» (ص/ ٧٧).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص/ ٣٤٦)، وسعيد بن منصور في «السنن» (رقم/ ٣٤).

وعن فلفلة الجعفي، قال: فزعت فيمن فزع إلى عبد الله في المصاحف فدخلنا عليه، فقال رجل من القوم: إنا لم نأتك زائرين ولكن جئناك حين راعنا هذا الخبر!

فقال: إن القرآن نزل على نبيكم ﷺ من سبعة أبواب على سبعة أحرف أو قال حروف، وإن الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد على حرف واحد[١].

وقد مات عبد الله بن مسعود سنة (٣٢ هـ) أو بعد ذلك بالمدينة، أي قبل وفاة عثمان بن عفان بسنتين على الأقل، فشاهد انتشار المصاحف التي كتب بها عثمان إلى الآفاق، ووافق عليها الصحابة، وقرأ المسلمون عليها.

فلم يثبت أن ابن مسعود رضي الله عنه خالف عثمان في ذلك، وكل ما روي في ذلك ضعيف الإسناد، كما أن هذه الروايات الضعيفة التي تتضمن ذلك تثبت أن ابن مسعود رجع إلى ما اتفق عليه الصحابة في جمع القرآن، وأنه قام في الناس وأعلن ذلك، وقد ورد عن ابن كثير رجوع ابن مسعود إلى الوفاق[٢].

١- [إسناده حسن]: أخرجه الإمام أحمد (١/ ٤٤٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٥٢): «فيه عثمان بن حسان العامري، وقد ذكره ابن أبي حاتم، ولم يجرحه ولم يوثقه، وبقية رجاله ثقات»، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم/ ٥٨٧).

٢- «البداية والنهاية» (٧/ ٢٢٨).

وأكد الذهبي ذلك، فقال: وقد ورد أن ابن مسعود رضي وتابع عثمان ولله الحمد[١].

وأما ما زعم الغلاة ومن سار على نهجهم من أن عثمان ضرب ابن مسعود حتى مات، فهذا كذب باتفاق أهل العلم.

قال أبو بكر ابن العربي: وأما ضربه لابن مسعود ومنعه عطاءه فزور[٢].

فلا يتجه الطعن على عثمان بقصة ابن مسعود هذه، فإنه لم يضربه ولم يمنعه عطاءه، وإنما كان يعرف له قدره ومكانته، كما كان ابن مسعود شديد الالتزام بطاعة إمامه الذي بايع له، وهو يعتقد أنه خير المسلمين وقت البيعة[٣].

سادساً- موافقة مَن بعد الصحابة على مصحف عثمان:

قال أبو مِجْلَز: لولا أن عثمان كتب القرآن لألفيت الناس

١- «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٤٩).

٢- «العواصم من القواصم» (ص/ ٦٣).

٣- انظر: «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (٣/ ١٠٦٦).

يقـرءون الشعر[١].

وقـال كذلك: عابوا على عثمان ﷺ تمزيق المصاحف، وصدقوه بما كتب لهم[٢].

وقال كذلك: عابوا على عثمان ﷺ تشقيق المصاحف، وقد آمنوا بما كتب لهم، انظر إلى حمقهم[٣]!!

وقال عبد الرحمن بن مهدي: خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبي بكر ولا لعمر: صبره نفسه حتى قتل مظلوماً، وجمعه الناس على المصحف[٤].

١- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (ص/ ٦٩).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن شبة (٣/ ١٠٠٤).

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن شبة (٣/ ١٠٠٤).

٤- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (ص/ ٦٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٥٨).

المبحث الثاني

توسعة الحرم النبوي

قال محمود بن لَبيد: إن عثمان أراد أن يبني مسجد المدينة فكره الناس ذاك، وأحبوا أن يدعوه على هيئته، فقال عثمان: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من بنى مسجداً لله، بنى الله له بيتاً في الجنة مثله»**(١).

وعن عبيد الله الخولاني، أنه سمع عثمان بن عفان، يقول عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول ﷺ: إنكم أكثرتم، وإني سمعت النبي ﷺ يقول: **«من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة»**(٢).

وقال أبو صالح ذكوان السمان: قال كعب بن مالك ومسجد المدينة يبنى: والله لوددت أنه لا يبنى منه برج إلا سقط برج.

فقيل له: يا أبا إسحاق، ألم تقل: إن صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام؟!

١- أخرجه الإمام أحمد (١/ ٧٠)، ومسلم (٢٥/ ٥٣٣)، واللفظ للإمام أحمد.

٢- أخرجه البخاري (رقم/ ٤٥٠)، ومسلم (٢٤/ ٥٣٣).

قال: وأنا أقول ذلك، ولكن فتنة نزلت من السماء ليس بينها وبين أن تقع إلا شبراً، ولو قد فرغ من بناء هذا المسجد وقعت، وذلك عند قتل هذا الشيخ عثمان بن عفان.

فقال قائل: أو ليس قاتله كقاتل عمر؟

فقال كعب: بلى، مائة ألف أو يزيدون.

ثم يحل القتل ما بين عدن أبين إلى دروب الروم، وجيش يخرج من الغرب، وجيش يخرج من المشرق، فيلتقون بأرض يقال لها صفين، فيكون بينهم ملحمة عظيمة، ثم لا يفترقون إلا عن حكمين(١).

وعن نافع أن عبد الله بن عمر أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنياً بِاللَّبِن، وسقفه الجريد، وعُمُدُه خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً، وزاد فيه عمر: وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ بِاللَّبِن والجريد وأعاد عُمُدَه خشباً، ثم غيره عثمان، فزاد فيه زيادة كثيرة: وبنى جداره بالحجارة المنقوشة، والقصة وجعل عُمُدَه من حجارة منقوشة

١- [رجاله ثقات]: أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» (رقم/ ١٠٠)، وابن شبة (٤/ ١٢٩٤).

وسقفه بالساج[١].

وكان عثمان ﷺ حيث حوصر يشرف عليهم، ويقول: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله، فقال رسول الله ﷺ: «من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة»؟ فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين؟

قالوا: اللهم، نعم[٢].

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٤٤٦).

٢- [حسن]: أخرجه الترمذي (رقم/ ٣٧٠٣)، وحسنه.

المبحث الثالث
توسعة الحرم المكي

ذكر الواقدي[١]، وخليفة بن خياط[٢]، وابن حبان[٣] أنه في سنة ست وعشرين أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم.

وقال الواقدي: فيها زاد عثمان في المسجد الحرام ووسعه، وابتاع من قوم وأبى آخرون، فهدم عليهم، ووضع الأثمان في بيت المال، فصيحوا بعثمان، فأمر بهم بالحبس، وقال: أتدرون ما جرأكم علي؟ ما جرأكم علي إلا حلمي؛ قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به!

ثم كلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأخرجوا[٤].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: لقد عابوا على عثمان رضي الله عنه أشياء لو فعلها عمر رضي الله عنه ما عابوها عليه[٥].

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٢٥١) معلقاً عن الواقدي به.

٢- «تاريخه» (ص/ ١٥٩).

٣- «ثقاته» (١/ ٢٠٥).

٤- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٢٥١) معلقاً عن الواقدي به.

وأخرجه الفاكهي (رقم/ ١٣٥٠) بإسناد فيه الواقدي عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان، والواقدي نفسه لا يحتج به.

وأخرج الأزرقي (٢/ ٦٨) نحوه بإسناد ضعيف عن ابن جريج.

٥- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن شبة (٣/ ١١١٦) من طريق أيوب السختياني، والفاكهي (رقم/ ١٣٥١) من طريق إسماعيل بن أمية، كلاهما (أيوب وإسماعيل) عن نافع عن ابن عمر به.

المبحث الرابع

زيادة الأذان يوم الجمعة على الزوراء[١]

قال السائب بن يزيد: كان النداء الذي ذكر الله في القرآن يوم الجمعة إذا خرج الإمام وإذا قامت الصلاة، في زمن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، حتى كان عثمان، فكثر الناس، فأمر بالنداء الثالث على الزوراء، فثبت حتى الساعة[٢].

وقال كذلك: كان الأذان على عهد رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وعمر أذانين يوم الجمعة، حتى كان زمن عثمان، فكثر الناس، فأمر بالأذان الأول بالزوراء[٣].

وقال كذلك: إن الأذان يوم الجمعة كان أوله حين يجلس الإمام، يوم الجمعة على المنبر في عهد رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وعمر رضي الله عنهما، فلما كان في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكثروا، أمر عثمان يوم الجمعة

١- الزوراء: بفتح الزاي، وسكون الواو، وبعدها راء ممدودة، موضع سوق بالمدينة؛ انظر: «فتح الباري» (١/ ١٢٨، ٢/ ٣٩٤).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن خزيمة (رقم/ ١٧٧٣).

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن خزيمة (رقم/ ١٧٧٤).

بالأذان الثالث، فأذن به على الزوراء، فثبت الأمر على ذلك[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا الأذان لما سنه عثمان، واتفق المسلمون عليه، صار أذاناً شرعياً، وحينئذ فتكون الصلاة بينه وبين الأذان الثاني جائزة حسنة وليست سنة راتبة كالصلاة قبل صلاة المغرب[٢].

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٩١٦).

٢- «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ١٩٣- ١٩٤).

الفصل الثامن

من أخبار الولاة في عهد عثمان بن عفان

رضي الله عنه

المبحث الأول

من وصايا عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الولاة

قال محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم: لما ولي عثمان بعث عبد الله بن عامر إلى كابل، وهي عمالة سجستان، فبلغ كابل حتى استفرغها، فكانت عمالة سجستان أعظم من خراسان حتى مات معاوية، وامتنع أهل كابل.

قالوا: وكان أول كتاب كتبه عثمان إلى عماله:

أما بعد:

فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة، لم يخلقوا جباة، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يكونوا رعاة، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء، ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين فيما عليهم، فتعطوهم ما لهم، وتأخذوهم بما عليهم، ثم تثنوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم، وتأخذوهم بالذي عليهم، ثم العدو الذي تنتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء.

قالوا: وكان أول كتاب كتبه إلى أمراء الأجناد في الفروج:

أما بعد:

فإنكم حماة المسلمين وذادتهم، وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا، بل كان عن ملاء منا، ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله ما بكم ويستبدل بكم غيركم، فانظروا كيف تكونون، فإني أنظر فيما ألزمني الله النظر فيه والقيام عليه.

قالوا: وكان أول كتاب كتبه إلى عمال الخراج:

أما بعد:

فإن الله خلق الخلق بالحق فلا يقبل إلا الحق، خذوا الحق وأعطوا الحق به، والأمانة الأمانة قوموا عليها، ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم، والوفاء الوفاء، لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد؛ فإن الله خصم لمن ظلمهم.

قالوا: وكان كتابه إلى العامة:

أما بعد:

فإنكم إنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتباع فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم؛ فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم

القرآن؛ فإن رسول الله ﷺ قال: «الكفر في العجمة»[١]، فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا[٢].

وقال الشعبي: أول خليفة زاد الناس في أعطياتهم مائة عثمان، فجرت، وكان عمر يجعل لكل نفس منفوسة من أهل الفيء في رمضان درهماً في كل يوم، وفرض لأزواج رسول الله ﷺ درهمين درهمين، فقيل له: لو صنعت لهم طعاماً فجمعتهم عليه؟

فقال: أشبع الناس في بيوتهم.

فأقر عثمان الذي كان صنع عمر، وزاد فوضع طعام رمضان، فقال: للمتعبد الذي يتخلف في المسجد وابن السبيل والمعترين بالناس في رمضان[٣].

١- لم أقف عليه مسنداً.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد وطلحة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٤٤- ٢٤٥) من طريق سيف به.

٣- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن عاصم بن سليمان عن الشعبي به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٤٥، ٢٤٦) من طريق سيف به.

المبحث الثاني

من أخبار ولاة الكوفة

في السنة الرابعة والعشرين عزل عثمانُ المغيرةَ بن شعبة عن الكوفة وولاها سعد بن أبي وقاص.

قال الشعبي: كان عمر قال: أُوصي الخليفة من بعدي أن يستعمل سعد بن أبي وقاص؛ فإني لم أعزله عن سوء، وقد خشيت أن يلحقه من ذلك.

وكان أول عامل بعث به عثمانُ سعدَ بن أبي وقاص على الكوفة، وعزل المغيرة بن شعبة، والمغيرة يومئذ بالمدينة فعمل عليها سعد سنة وبعض أخرى، وأقر أبا موسى سنوات[١].

وذكر الواقدي أن أسامة بن زيد بن أسلم حدثه عن أبيه أن عمر أوصى أن يقر عماله سنة، فلما ولي عثمان أقر المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة، ثم عزله واستعمل سعد بن أبي وقاص، ثم عزله واستعمل الوليد بن عقبة.

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن مجالد عن الشعبي به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٤٤) من طريق سيف به، ولكن وصية عمر بسعد ثابتة في «صحيح البخاري» (رقم/ ٣٧٠٠)، وفيه: «فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر؛ فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة».

قال الطبري: فإن كان صحيحاً ما رواه الواقدي من ذلك فولاية سعد الكوفة من قبل عثمان كانت سنة خمس وعشرين[١].

وقال كذلك: في هذه السنة عزل عثمان سعداً عن الكوفة، وولاها الوليد بن عقبة في قول الواقدي، وأما في قول سيف فإنه عزله في سنة خمس وعشرين، وفيها ولي الوليد عليها، وذلك أنه زعم أنه عزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة حين مات عمر ووجه سعداً إليها عاملاً فعمل له عليها سنة وأشهراً[٢].

قال الشعبي: كان أول ما نُزغ به بين أهل الكوفة -وهو أول مصر نزغ الشيطان بينهم في الإسلام- أن سعد بن أبي وقاص استقرض من عبد الله بن مسعود من بيت المال مالاً فأقرضه، فلما تقاضاه لم يتيسر عليه، فارتفع بينهما الكلام حتى استعان عبد الله بأناس من الناس على استخراج المال، واستعان سعد بأناس من الناس على استنظاره، فافترقوا وبعضهم يلوم بعضاً، يلوم هؤلاء سعداً، ويلوم هؤلاء عبد الله[٣].

١- «تاريخ الطبري» (٤/ ٢٤٤).

٢- «تاريخ الطبري» (٤/ ٢٥١).

٣- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن عمرو بن محمد عن الشعبي به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٥١- ٢٥٢) من طريق سيف به.

وقال قيس بن أبي حازم: كنت جالساً عند سعد وعنده ابن أخيه هاشم بن عتبة، فأتى ابن مسعود سعداً، فقال له: أد المال الذي قبلك.

فقال له سعد: ما أراك إلا ستلقى شراً! هل أنت إلا ابن مسعود، عبد من هذيل!

فقال: أجل والله إني لابن مسعود، وإنك لابن حُمَينة.

فقال هاشم: أجل والله، إنكما لصاحبا رسول الله ﷺ ينظر إليكما!

فطرح سعد عوداً كان في يده -وكان رجلاً فيه حِدة-، ورفع يديه، وقال: اللهم رب السموات والأرض ...

فقال عبد الله: ويلك! قل خيراً، ولا تلعن.

فقال سعد عند ذلك: أما والله ولولا اتقاء الله لدعوت عليك دعوة لا تخطئك.

فولى عبد الله سريعاً حتى خرج(١).

١- [رجاله ثقات]: أخرجه ابن أبي شيبة (رقم/ ٣١٢١٧) عن محمد بن بشر عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس به.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ١٣٩) من طريق إسماعيل به.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٥٤): «رجاله رجال الصحيح، غير أسد بن موسى، وهو ثقة مأمون». =

وقال عبد الله بن عُكيم: لما وقع بين ابن مسعود وسعد الكلام في قرض أقرضه عبد الله إياه، فلم يتيسر على سعد قضاؤه، غضب عليهما عثمان، وانتزعها من سعد وعزله، وغضب على عبد الله وأقره، واستعمل الوليد بن عقبة، وكان عاملاً لعمر على ربيعة بالجزيرة، فقدم الكوفة فلم يتخذ لداره باباً حتى خرج من الكوفة[١].

وقال محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم: لما بلغ عثمان الذي كان بين عبد الله وسعد فيما كان، غضب عليهما وهم بهما، ثم ترك ذلك وعزل سعداً، وأخذ ما عليه وأقر عبد الله وتقدم إليه، وأمر مكان سعد الوليد بن عقبة، وكان على عرب الجزيرة عاملاً لعمر بن الخطاب، فقدم الوليد في السنة الثانية من إمارة عثمان، وقد كان سعد عمل عليها سنة وبعض أخرى فقدم الكوفة، وكان أحب الناس في الناس وأرفقهم بهم فكان كذلك خمس سنين وليس على داره باب[٢].

وفي سنة ثلاثين عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة، وولاها سعيد بن العاص في قول سيف بن عمر.

= وذكره سيف بن عمر عن إسماعيل به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٥٢) من طريق سيف به.

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر بإسناده عن ابن عُكيم به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٥٢) من طريق سيف به.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد وطلحة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٥٢) من طريق سيف به.

قال محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم: لما بلغ عثمان الذي كان بين عبد الله وسعد غضب عليهما وهمَّ بهما، ثم ترك ذلك وعزل سعداً، وأخذ ما عليه، وأقر عبد الله، وتقدم إليه، وأمر مكان سعد الوليدَ بن عقبة، وكان على عرب الجزيرة عاملاً لعمر بن الخطاب، فقدم الوليد في السنة الثانية من إمارة عثمان، وقد كان سعد عمل عليها سنة وبعض أخرى، فقدم الكوفة وكان أحب الناس في الناس وأرفقهم بهم، فكان كذلك خمس سنين وليس على داره باب، ثم إن شباباً من شباب أهل الكوفة نقبوا على ابن الحيسمان الخزاعي وكاثروه فنذر بهم، فخرج عليهم بالسيف، فلما رأى كثرتهم استصرخ، فقالوا له: اسكت فإنما هي ضربة حتى نريحك من روعة هذه الليلة -وأبو شريح الخزاعي مشرف عليهم- فصاح بهم وضربوه فقتلوه، وأحاط الناس بهم فأخذوهم، وفيهم زهير بن جندب الأزدي ومورع بن أبي مورع الأسدي وشبيل بن أبي الأزدي في عدة، فشهد عليهم أبو شريح وابنه أنهم دخلوا عليه فمنع بعضهم بعضاً من الناس، فقتله بعضهم، فكتب فيهم إلى عثمان، فكتب إليه في قتلهم، فقتلهم على باب القصر في الرحبة.

وقال في ذلك عمرو بن عاصم التميمي:

لا تأكلوا أبداً جيرانكم سرفاً   أهل الزعارة في ملك ابن عفان

وقال أيضاً:

إن ابن عفـــان الذي جـربتـم   فطم اللصوص بمحكم الفرقان

ما زال يعمل بالكتاب مهيمناً   فـــي كـل عنـق منهم وبنـان[١].

وقال أبو سعيد: كان أبو شريح الخزاعي من أصحاب رسول الله ﷺ فتحول من المدينة إلى الكوفة ليدنو من الغزو، فبينا هو ليلة على السطح، إذ استغاث جاره فأشرف فإذا هو بشباب من أهل الكوفة قد بيتوا جاره، وجعلوا يقولون له: لا تصح فإنما هي ضربة حتى نريحك، فقتلوه.

فارتحل إلى عثمان، ورجع إلى المدينة ونقل أهله، ولهذا الحديث حين كثر أحدثت القسامة، وأخذ بقول ولي المقتول ليفطم الناس عن القتل عن ملأ من الناس يومئذ[٢].

وقال نافع بن جبير: قال عثمان: القسامة على المدعى عليه وعلى أوليائه،

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد وطلحة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٧١- ٢٧٢) من طريق سيف به.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن عبد الله بن سعيد عن أبي سعيد به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٧٢) من طريق سيف به.

يحلف منهم خمسون رجلاً إذا لم تكن بينة، فإن نقصت قسامتهم أو إن نكل رجل واحد ردت قسامتهم، ووليها المدعون وأحلفوا، فإن حلف منهم خمسون استحقوا(١).

وقال عون بن عبد الله: كان مما أحدث عثمان بالكوفة إلى ما كان من الخبر أنه بلغه أن أبا سَمَّال الأسدي في نفر من أهل الكوفة، ينادي مناد لهم: إذا قدم المُيَّار من كان ها هنا من كلب أو بني فلان ليس لقومهم بها منزل فمنزله على أبي سَمَّال.

فاتـخذ موضع دار عقيل دار الضيفان ودار ابن هبار، وكان منزل عبد الله بن مسعود في هذيل في موضع الرمادة، فنزل موضع داره، وترك داره دار الضيافة، وكان الأضياف ينزلون داره في هذيل إذا ضاق عليهم ما حول المسجد(٢).

وقال محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم: كان عمر بن

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد بن كريب عن نافع به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٧٢) من طريق سيف به.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن الغصن بن القاسم عن عون به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٧٣) من طريق سيف به.

وكذلك أخرجه الطبري (٤/ ٢٧٣) بإسناد فيه سيف بن عمر عن غير عون.

الخطاب قد استعمل الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة، فنزل في بني تغلب، وكان أبو زُبيد[1] في الجاهلية والإسلام في بني تغلب حتى أسلم، وكانت بنو تغلب أخواله، فاضطهده أخواله ديناً له، فأخذ له الوليد بحقه فشكرها له أبو زُبيد، وانقطع إليه وغشيه بالمدينة.

فلما ولي الوليد الكوفة أتاه مسلِّماً معظماً على مثل ما كان يأتيه بالجزيرة والمدينة، فنزل دار الضيفان، وآخر قدمة قدمها أبو زُبيد على الوليد، وقد كان ينتجعه ويرجع، وكان نصرانياً قبل ذلك، فلم يزل الوليد به وعنه حتى أسلم في آخر إمارة الوليد وحسن إسلامه، فاستدخله الوليد، وكان عربياً شاعراً حين قام على الإسلام، فأتى آت أبا زينب وأبا مورع وجندباً، وهم يحقدون له مذ قتل أبناءهم ويضعون له العيون، فقال لهم: هل لكم في الوليد يشارب أبا زُبيد؟!

فثاروا في ذلك، فقال أبو زينب وأبو مورع وجندب لأناس من وجوه أهل الكوفة: هذا أميركم وأبو زُبيد خيرته، وهما عاكفان على الخمر!

فقاموا معهم ومنزل الوليد في الرحبة مع عمارة بن عقبة، وليس عليه باب، فاقتحموا عليه من المسجد وبابه إلى المسجد، فلم يفجأ الوليد إلا

١- أبو زُبيد حرملة بن المنذر، انظر ترجمته في: «معجم الأدباء» (٣/ ١١٦٧).

بهم، فنحى شيئاً فأدخله تحت السرير، فأدخل بعضهم يده فأخرجه لا يؤامره، فإذا طبق عليه تفاريق عنب -وإنما نحاه استحياء أن يروا طبقه ليس عليه إلا تفاريق عنب- فقاموا فخرجوا على الناس، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون، وسمع الناس بذلك، فأقبل الناس عليهم يسبونهم ويلعنونهم، ويقولون: أقوام غضب الله لعمله، وبعضهم أرغمه الكتاب، فدعاهم ذلك إلى التحسس والبحث فستر عليهم الوليد ذلك، وطواه عن عثمان، ولم يدخل بين الناس في ذلك بشيء، وكره أن يفسد بينهم فسكت عن ذلك وصبر[١].

وقال الفيض بن محمد: رأيت الشعبي جلس إلى محمد بن عمرو بن الوليد -يعني: ابنَ عقبة- وهو خليفة محمد بن عبد الملك، فذكر محمد غزو مسلمة، فقال: كيف لو أدركتم الوليد غزوه وإمارته! إن كان ليغزو فينتهي إلى كذا وكذا، ما قصر ولا انتقض عليه أحد، حتى عزل عن عمله، وعلى الباب يومئذ عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي، وإن كان مما زاد عثمان بن عفان الناس على يده أن رد على كل مملوك بالكوفة من فضول الأموال ثلاثة في كل شهر، يتسعون بها من غير أن ينقص مواليهم من

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد وطلحة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٧٣- ٢٧٤)، وابن عساكر (٦٣/ ٢٤٢) من طريق سيف به.

أرزاقهم(١).

وقال عون بن عبد الله: جاء جندب ورهط معه إلى ابن مسعود، فقالوا: الوليد يعتكف على الخمر وأذاعوا ذلك، حتى طرح على ألسن الناس.

فقال ابن مسعود: من استتر عنا بشيء لم نتتبع عورته، ولم نهتك ستره.

فأرسل إلى ابن مسعود فأتاه فعاتبه في ذلك، وقال: أيرضى من مثلك بأن يجيب قوما موتورين بما أجبت علي؟! أي شيء أستتر به! إنما يقال هذا للمريب! فتلاحيا وافترقا على تغاضب، لم يكن بينهما أكثر من ذلك(٢).

وقال محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم: أتي الوليد بساحر، فأرسل إلى ابن مسعود يسأله عن حده، فقال: وما يدريك أنه ساحر؟!

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن الفيض به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٧٤) من طريق سيف به.

٢- [إسناده ضعيف، وله أصلٌ رجاله ثقات]: ذكره سيف بن عمر عن الغصن بن القاسم عن عون به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٧٤- ٢٧٥) من طريق سيف به.

ويشهد له ما أخرجه ابن أبي شيبة (رقم/ ٢٧١٠٠)، وعنه أبو داود (رقم/ ٤٨٩٢) عن أبي معاوية عن الأعمش عن زيد بن وهب قال: أتي ابن مسعود، فقيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمراً، فقال عبد الله: إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا منه شيء نأخذه به.

وهذا إسناد رجاله ثقات.

قال: زعم هؤلاء النفر -لنفر جاؤوا به- أنه ساحر.

قال: وما يدريكم أنه ساحر؟ قال: أساحر أنت؟

قال: نعم.

قال: وتدري ما السحر؟

قال: نعم. وثار إلى حمار، فجعل يركبه من قبل ذنبه، ويريهم أنه يخرج من فمه واسته.

فقال ابن مسعود: فاقتله.

فانطلق الوليد، فنادوا في المسجد: أن رجلاً يلعب بالسحر عند الوليد، فأقبلوا وأقبل جندب واغتنمها، يقول: أين هو؟ أين هو؟ حتى أريه فضربه، فاجتمع عبد الله والوليد على حبسه حتى كتب إلى عثمان، فأجابهم عثمان: أن استحلفوه بالله ما علم برأيكم فيه، وإنه لصادق بقوله فيما ظن من تعطيل حده وعزروه وخلوا سبيله، وتقدم إلى الناس في ألا يعملوا بالظنون، وألا يقيموا الحدود دون السلطان؛ فإنا نقيد المخطئ ونؤدب المصيب.

ففعل ذلك به، وترك لأنه أصاب حداً، وغضب لجندب أصحابه فخرجوا إلى المدينة، فيهم: أبو خشة الغفاري وجثامة بن الصعب بن

جثامة، ومعهم جندب، فاستعفوه من الوليد، فقال لهم عثمان: تعملون بالظنون! وتخطئون في الإسلام! وتخرجون بغير إذن! ارجعوا، فردهم.

فلما رجعوا إلى الكوفة لم يبق موتور في نفسه إلا أتاهم، فاجتمعوا على رأي فأصدروه، ثم تغفلوا الوليد وكان ليس عليه حجاب، فدخل عليه أبو زينب الأزدي وأبو مورع الأسدي فسلا خاتمه، ثم خرجا إلى عثمان، فشهدا عليه ومعهما نفر ممن يعرف من أعوانهم، فبعث إليه عثمان، فلما قدم أمر به سعيد بن العاص.

فقال: يا أمير المؤمنين، أنشدك الله، فوالله إنهما لخصمان موتوران.

فقال: لا يضرك ذلك، إنما نعمل بما ينتهي إلينا، فمن ظَلم فالله ولي انتقامه، ومن ظُلم فالله ولي جزائه(١).

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد وطلحة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٧٥- ٢٧٦)، وابن عساكر (٦٣/ ٢٤٣) من طريق سيف به.

وقد روي في الساحر ما أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٧٧) بإسناد رجاله ثقات عن أبي عثمان النهدي، أنه قال: «إن ساحراً كان يلعب عند الوليد بن عقبة، فكان يأخذ السيف ويذبح نفسه، ويعمل كذا ولا يضره، فقام جندب إلى السيف فأخذه فضرب عنقه، ثم قرأ: ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣].

وأما اتهام أهل الكوفة للوليد بشرب الخمر، فثابت في «صحيح البخاري» (رقم/ ٣٨٧٢)، و«صحيح مسلم» (رقم/ ١٧٠٧).

وقال أبو غسان سكن بن عبد الرحمن: اجتمع نفر من أهل الكوفة، فعملوا في عزل الوليد، فانتدب أبو زينب بن عوف وأبو مورع بن فلان الأسدي للشهادة عليه، فغشوا الوليد وأكبوا عليه، فبينا هم معه يوماً في البيت، وله امرأتان في المخدع بينهما وبين القوم ستر: إحداهما بنت ذي الخمار، والأخرى بنت أبي عقيل.

فنام الوليد وتفرق القوم عنه، وثبت أبو زينب وأبو مورع، فتناول أحدهما خاتمه، ثم خرجا، فاستيقظ الوليد وامرأتاه عند رأسه، فلم ير خاتمه، فسألهما عنه، فلم يجد عندهما منه علماً،

قال: فأي القوم تخلف عنهم؟

قالتا: رجلان لا نعرفهما ما غشياك إلا منذ قريب.

قال: حلياهما.

فقالتا: على أحدهما خميصة، وعلى الآخر مُطَرف، وصاحب المطرف أبعدهما منك.

فقال: الطوال؟

قالتا: نعم، وصاحب الخميصة أقربهما إليك.

فقال: القصير؟

قالتا: نعم، وقد رأينا يده على يدك.

قال: ذاك أبو زينب، والآخر أبو مورع، وقد أرادا داهية، فليت شعري ماذا يريدان! فطلبهما فلم يقدر عليهما، وكان وجههما إلى المدينة، فقدما على عثمان، ومعهما نفر ممن يعرف عثمان ممن قد عزل الوليد عن الأعمال، فقالوا له.

فقال: من يشهد؟

قالوا: أبو زينب وأبو مورع، وكاع الآخران.

فقال: كيف رأيتما؟

قالا: كنا من غاشيته، فدخلنا عليه، وهو يقيء الخمر.

فقال: ما يقيء الخمر إلا شاربها.

فبعث إليه، فلما دخل على عثمان رآهما، فقال متمثلاً:

ما إن خشيت على أمر خلوت به   فلم أخفك على أمثالها حار

فحلف له الوليد وأخبره خبرهم.

فقال: نقيم الحدود، ويبوء شاهد الزور بالنار، فاصبر يا أخي.

فأمر سعيد بن العاص فجلده، فأورث ذلك عداوة بين ولديهما حتى اليوم، وكانت على الوليد خميصة يوم أمر به أن يجلد، فنزعها عنه علي بن أبي طالب عليه السلام[١].

وقال أبو العَريف ويزيد الفقعسي: كان الناس في الوليد فرقتين: العامة معه، والخاصة عليه، فما زال عليهم من ذلك خشوع حتى كانت صفين، فولى معاوية، فجعلوا يقولون: عيب عثمان بالباطل.

فقال لهم علي عليه السلام: إنكم وما تعيرون به عثمان كالطاعن نفسه، ليقتل رِدفه، ما ذنب عثمان في رجل قد ضربه بفعله وعزله عن عمله! وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا[٢]!

وقال نافع بن جبير: قال عثمان رضي الله عنه: إذا جلد الرجل الحد، ثم ظهرت

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن أبي غسان به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٧٦- ٢٧٧)، وابن عساكر (٦٣/ ٢٤٤) من طريق سيف به.

وأخرج نحوه الطبري (٤/ ٢٧٧) بإسناد فيه سيف بن عمر عن أبي عبيدة الإيادي.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن عطية عن أبي العَريف ويزيد به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٧٧)، وابن عساكر (٦٣/ ٢٤٦) من طريق سيف به.

توبته جازت شهادته[١].

وقالت مولاة أبي كِبْران: كان الوليد أدخل على الناس خيراً، حتى جعل يقسم للولائد والعبيد، ولقد تفجع عليه الأحرار والمماليك، كان يسمع الولائد وعليهن الحداد يقلن:

يا ويلتا قد عزل الوليد وجاءنا مجوعاً سعيد

ينقص في الصاع ولا يزيد فجوع الإماء والعبيد[٢].

قال ابن حجر: ذكر الطبري أن الوليد ولي الكوفة خمس سنين. قالوا: وكان جواداً. فولى عثمان بعده سعيد بن العاص، فسار فيهم سيرة عادلة، فكان بعض الموالي يقول:

يا ويلنا قد عزل الوليد وجاءنا مجوعاً سعيد[٣].

وقال الغصن بن القاسم: كان الناس يقولون حين عزل الوليد

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد بن كريب عن نافع به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٧٧) من طريق سيف به.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن أبي كِبْران عن مولاته، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٧٧- ٢٧٨)، وابن عساكر (٦٣/ ٢٤٦) من طريق سيف به.

٣- «فتح الباري» (٧/ ٥٧).

وأمر سعيد:

لا يبعد الملك إذ ولت شمائله ولا الرياسة لما راس كتابـ[1].

وعن محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم بإسنادهما: قدم سعيد بن العاص في سنة سبع من إمارة عثمان، وكان سعيد بن العاص بقية العاص بن أمية، وكان أهله كثيراً تتابعوا، فلما فتح الله الشأم قدمها فأقام مع معاوية، وكان يتيماً نشأ في حجر عثمان، فتذكر عمر قريشاً وسأل عنه فيما يتفقد من أمور الناس، فقيل: يا أمير المؤمنين هو بدمشق عهد العاهد به وهو مأموم بالموت، فأرسل إلى معاوية أن ابعث إلي سعيد بن العاص في مَنْقِل، فبعث به إليه وهو دَنِفٌ، فلما بلغ المدينة حتى أفاق، فقال: يا ابن أخي قد بلغني عنك بلاء وصلاح، فازدد يزدك الله خيراً، وقال: هل لك من زوجة؟

قال: لا.

قال: يا أبا عمرو ما منعك من هذا الغلام أن تكون زوَّجته؟

قال: قد عرضت عليه فأبى.

---

١ - [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن الغصن به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٧٨) من طريق سيف به.

فخرج يسير في البر فانتهى إلى ماء، فلقي عليه أربع نسوة فقمن له، فقال: ما لكن؟ ومن أنتن؟

فقلن: بنات سفيان بن عويف -ومعهن أمهن-، فقالت أمهن: هلك رجالنا، وإذا هلك الرجال ضاع النساء، فضعهن في أكفائهن، فزوج سعيداً إحداهن، وعبد الرحمن بن عوف الأخرى، والوليد بن عقبة الثالثة.

وأتاه بنات مسعود بن نعيم النهشلي، فقلن: قد هلك رجالنا وبقي الصبيان، فضعنا في أكفائنا.

فزوج سعيداً إحداهن، وجبير بن مطعم إحداهن، فشارك سعيد هؤلاء وهؤلاء، وقد كان عمومته ذوي بلاء في الإسلام، وسابقة حسنة وقدمة مع رسول الله ﷺ، فلم يمت عمر حتى كان سعيد من رجال الناس.

فقدم سعيد الكوفة في خلافة عثمان أميراً، وخرج معه من مكة أو المدينة الأشتر وأبو خشة الغفاري وجندب بن عبد الله وأبو مصعب بن جثامة، وكانوا فيمن شخص مع الوليد يعيبونه، فرجعوا مع هذا، فصعد سعيد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: والله لقد بعثت إليكم، وإني لكاره، ولكني لم أجد بداً إذ أمرت أن أئتمر، ألا إن الفتنة قد أطلعت خطمها وعينيها، ووالله لأضربن وجهها حتى أقمعها أو تعييني، وإني لرائد نفسي

اليوم. ونزل، وسأل عن أهل الكوفة، فأقيم على حال أهلها.

فكتب إلى عثمان بالذي انتهى إليه: إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم، وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والقدمة، والغالب على تلك البلاد روادف ردفت وأعراب لحقت، حتى ما ينظر إلى ذي شرف ولا بلاء من نازلتها ولا نابتتها.

فكتب إليه عثمان: أما بعد، ففضل أهل السابقة والقدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد، وليكن من نزلها بسببهم تبعاً لهم، إلا أن يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوا القيام به وقام به هؤلاء، واحفظ لكلٍّ منزلته، وأعطهم جميعاً بقسطهم من الحق؛ فإن المعرفة بالناس بها يصاب العدل.

فأرسل سعيد إلى وجوه ا لناس من أهل الأيام والقادسية، فقال: أنتم وجوه من وراءكم، والوجه ينبئ عن الجسد، فأبلغونا حاجة ذي الحاجة، وخلة ذي الخلة، وأدخل معهم من يحتمل من اللواحق والروادف، وخلص بالقراء والمُتَسَمِّتِين في سَمَره، فكأنما كانت الكوفة يبساً شملته نار، فانقطع إلى ذلك الضرب ضربهم، وفشت القالة والإذاعة.

فكتب سعيد إلى عثمان بذلك، فنادى منادي عثمان: الصلاة جامعة.

فاجتمعوا فأخبرهم بالذي كتب به إلى سعيد، وبالذي كتب به إليه فيهم، وبالذي جاءه من القالة والإذاعة.

فقالوا: أصبتَ، فلا تسعفهم في ذلك، ولا تطعمهم فيما ليسوا له بأهل؛ فإنه إذا نهض في الأمور من ليس لها بأهل لم يحتملها وأفسدها.

فقال عثمان: يا أهل المدينة استعدوا واستمسكوا؛ فقد دبت إليكم الفتن.

ونزل، فأوى إلى منزله، وتمثل مثله، ومثل هذا الضرب الذين شرعوا في الخلاف:

أبني عبيد قد أتى أشياعكم ... عنكم مقالتكم وشعر الشاعر

فإذا أتتكم هذه فتلبسوا ... إن الرماح بصيرة بالحاسر[1].

وقال عبيد الله بن عمر: إن عثمان جمع أهل المدينة، فقال: يا أهل المدينة إن الناس يتمخضون بالفتنة، وإني والله لأتخلصن لكم الذي لكم، حتى أنقله إليكم، إن رأيتم ذلك، فهل ترونه حتى يأتي من شهد مع أهل العراق الفتوح فيه فيقيم معه في بلاده؟

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد وطلحة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٧٨- ٢٨٠)، وابن عساكر (٢١/ ١٢٠) من طريق سيف به.

فقام أولئك، وقالوا: كيف تنقل لنا ما أفاء الله علينا من الأرضين يا أمير المؤمنين؟

فقال: نبيعها ممن شاء بما كان له بالحجاز.

ففرحوا، وفتح الله عليهم به أمراً لم يكن في حسابهم، فافترقوا وقد فرجها الله عنهم به.

وكان طلحة بن عبيد الله قد استجمع له عامة سهمان خيبر إلى ما كان له سوى ذلك، فاشترى طلحة منه من نصيب من شهد القادسية والمدائن من أهل المدينة ممن أقام ولم يهاجر إلى العراق النَّشَاسْتَجَ بما كان له بخيبر وغيرها من تلك الأموال، واشترى منه ببئر أريس شيئاً كان لعثمان بالعراق.

واشترى منه مروان بن الحكم بمال كان له أعطاه إياه عثمان نهر مروان، وهو يومئذ أجمة.

واشترى منه رجال من القبائل بالعراق بأموال كانت لهم في جزيرة العرب من أهل المدينة ومكة والطائف واليمن وحضرموت، فكان مما اشترى منه الأشعث بمال كان له في حضرموت ما كان له بطيزناباذ.

وكتب عثمان إلى أهل الآفاق في ذلك وبعدَّة جُرْبان الفيء والفيء الذي يتداعاه أهل الأمصار، فهو ما كان للملوك نحو كسرى وقيصر ومن تابعهم من أهل بلادهم، فأجلى عنه، فأتاهم شيء عرفوه وأخذ بقدر عدة من شهدها من أهل المدينة وبقدر نصيبهم وضم ذلك إليهم، فباعوه بما يليهم من الأموال بالحجاز ومكة واليمن وحضرموت، يرد على أهلها الذين شهدوا الفتوح من بين أهل المدينة[1].

وقال محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم: صرف حذيفة عن غزو الري إلى غزو الباب؛ مدداً لعبد الرحمن بن ربيعة، وخرج معه سعيد بن العاص، فبلغ معه أذربيجان، وكذلك كانوا يصنعون، يجعلون للناس ردءاً، فأقام حتى قفل حذيفة، ثم رجعا[2].

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن سعيد الجمحي عن عبيد الله به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٨٠- ٢٨١) من طريق سيف به.

وأخرج نحوه الطبري (٤/ ٢٨١) بإسناد فيه سف بن عمر عن محمد وطلحة.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد وطلحة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٨١)، وابن عساكر (٣٩/ ٢٤١) من طريق سيف به.

المبحث الثالث

من أخبار ولاة البصرة

في سنة تسع وعشرين عزل عثمانُ أبا موسى الأشعري عن البصرة، وكان عامله عليها ست سنين، وولاها عبد الله بن عامر بن كُريز، وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة، فقدمها، وقد قيل: إن أبا موسى إنما عمل لعثمان على البصرة ثلاث سنين.

وقال عوف الأعرابي: خرج غيلان بن خرشة الضبي إلى عثمان بن عفان، فقال: أما لكم صغير فتستشبوه فتولوه البصرة! حتى متى يلي هذا الشيخ البصرة! يعني: أبا موسى، وكان وليها بعد موت عمر ست سنين.

قال: فعزله عثمان عنها، وبعث عبد الله بن عامر بن كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وأمه دجاجة ابنة أسماء السلمي، وهو ابن خال عثمان بن عفان.

قال مسلمة: فقدم البصرة وهو ابن خمس وعشرين سنة سنة تسع وعشرين(١).

١- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني عن محارب عن عوف به، وعوف لم يدرك زمن ذلك، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٦٤) معلقاً عن المدائني به.

وكان سبب عزل عثمان أبا موسى عن البصرة كما قال محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم: لما ولي عثمان أقر أبا موسى على البصرة ثلاث سنين وعزله في الرابعة، وأمر على خراسان عمير بن عثمان بن سعد، وعلى سجستان عبد الله بن عمير الليثي، وهو من كنانة، فأثخن فيها إلى كابل، وأثخن عمير في خراسان، حتى بلغ فرغانة، فلم يدع دونها كورة إلا أصلحها.

وبعث إلى مُكْرَان عبيد الله بن معمر التيمي، فأثخن فيها حتى بلغ النهر، وبعث على كرمان عبد الرحمن بن غُبَيس، وبعث إلى فارس والأهواز نفراً، وضم سواد البصرة إلى الحصين بن أبي الحر، ثم عزل عبد الله بن عمير، واستعمل عبد الله بن عامر فأقره عليها سنة، ثم عزله واستعمل عاصم بن عمرو، وعزل عبد الرحمن بن غُبَيس، وأعاد عدي بن سهيل بن عدي.

ولما كان في السنة الثالثة كفر أهل إيذج والأكراد، فنادى أبو موسى في الناس وحضهم وندبهم وذكر من فضل الجهاد في الرُّجلة، حتى حمل نفر على دوابهم، وأجمعوا على أن يخرجوا رجالاً، وقال آخرون: لا والله، لا نعجل بشيء حتى ننظر ما صنيعه، فإن أشبه قوله فعله فعلنا كما فعل أصحابنا.

فلما كان يوم خرج، أخرج ثقله من قصره على أربعين بغلاً، فتعلقوا بعنانه، وقالوا: احملنا على بعض هذه الفضول، وارغب من الرُّجلة فيما رغبتنا فيه. فقنع القوم حتى تركوا دابته ومضى، فأتوا عثمان فاستعفوه منه، وقالوا: ما كل ما نعلم نحب أن نقوله، فأبدلنا به.

فقال: من تحبون؟

فقال غيلان بن خرشة: في كل أحد عوض من هذا العبد الذي قد أكل أرضنا، وأحيا أمر الجاهلية فينا، فلا ننفك من أشعري كان يعظم ملكه عن الأشعرين، ويستصغر ملك البصرة، وإذا أمرت علينا صغيراً كان فيه عوض منه أو مهتراً كان فيه عوض منه، ومن بين ذلك من جميع الناس خير منه.

فدعا عبد الله بن عامر وأمره على البصرة، وصرف عبيد الله بن معمر إلى فارس، واستعمل على عمله عمير بن عثمان بن سعد، فاستعمل على خراسان في سنة أربع أمين بن أحمر اليشكري، واستعمل على سجستان في سنة أربع عمران بن الفصيل البرجمي، وعلى كرمان عاصم بن عمرو، فمات بها.

فجاشت فارس وانتقضت بعبيد الله بن معمر، فاجتمعوا له بإصطخر،

فالتقوا على باب إصطخر، فقتل عبيدالله، وهزم جنده، وبلغ الخبر عبد الله بن عامر، فاستنفر أهل البصرة وخرج معه الناس، وعلى مقدمته عثمان بن أبي العاص فالتقوا هم وهم بإصطخر، وقتل منهم مقتلة عظيمة، لم يزالوا منها في ذل، وكتب بذلك إلى عثمان فكتب إليه بإمرة هرم بن حسان اليشكري، وهرم بن حيان العبدي من عبد القيس، والخريت بن راشد من بني سامة، والمنجاب بن راشد، والترجمان الهجيمي على كورفاس، وفرق خراسان بين نفر ستة الأحنف على المروين، وحبيب بن قرة اليربوعي على بلخ، وكانت مما افتتح أهل الكوفة، وخالد بن عبد الله بن زهير على هراة، وأمين بن أحمد اليشكري على طوس، وقيس بن الهيثم السلمي على نيسابور، وهو أول من خرج وعبد الله بن خازم وهو ابن عمه، ثم إن عثمان جمعها له قبل موته، فمات وقيس على خراسان.

واستعمل أمين بن أحمر على سجستان، ثم جعل عليها عبد الرحمن بن سمرة وهو من آل حبيب بن عبد شمس، فمات عثمان وهو عليها، ومات وعمران على كرمان، وعمير بن عثمان بن سعد على فارس، وابن كُنْدِير القشيري على مُكْرَان[١].

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد وطلحة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٦٤- ٢٦٦) من طريق سيف به. =

وقال غيلان بن خرشة لعثمان بن عفان: أما منكم خسيس فترفعوه! أما منكم فقير فتجيروه يا معشر قريش! حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعري هذه البلاد؟!

فانتبه لها الشيخ فولاها عبد الله بن عامر[١].

وقال الحسن: قال أبو موسى: يأتيكم غلام خراج ولاج، كريم الجدات والخالات والعمات، يجمع له الجندان.

قال الحسن: فقدم ابن عامر، فجمع له جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص الثقفي، وكان عثمان بن أبي العاص فيمن عبر من عمان والبحرين[٢].

= وذكر صاحب «صحيح تاريخ الطبري» (٣/ ٣١٣): أن روايات الطبري في سبب عزل عثمان لأبي موسى كلها ضعيفة، وليس لها شاهد.

١- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني بإسناد فيه إبهام عن غيلان به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٦٦) معلقاً عن المدائني به.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره المدائني عن أبي بكر الهذلي عن الحسن به، وأبو بكر: متروك.
وأخرجه الطبري (٤/ ٢٦٦) معلقاً عن المدائني به.
وأخرجه خليفة بن الخياط في «التاريخ» (ص/ ١٦١) بإسناد آخر ضعيف عن الحسن كذلك.
والحسن لم يسمع من أبي موسى كما في «جامع التحصيل» (ص/ ١٦٣).

وقال محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم: وفد قيسُ بن هيثم عبدَ الله بن خازم إلى عبد الله بن عامر في زمان عثمان، وكان عبد الله بن خازم على عبد الله بن عامر كريماً، فقال له: اكتب لي على خراسان عهداً إن خرج منها قيس بن الهيثم.

ففعل، فرجع إلى خراسان، فلما قتل عثمان وبلغ الناس الخبر، وجاش العدو لذلك، قال قيس: ما ترى يا عبد الله؟

قال: أرى أن تخلفني، ولا تخلف عن المضي حتى تنظر فيما تنظر.

ففعل، واستخلفه، فأخرج عبد الله عهد خلافته وثبت على خراسان إلى أن قام علي رضي الله تعالى عنه، وكانت أم عبد الله عَجْلى، فقال قيس: أنا كنت أحق أن أكون ابن عَجْلى من عبد الله! وغضب مما صنع به الآخر(١).

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد وطلحة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٢٦٦- ٢٧٦) من طريق سيف به.

الفصل التاسع

مقتل عثمان بن عفان

رضي الله عنه

إشارة نبوية بفتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه

عن عبد الله بن حَوَالَة أن رسول الله ﷺ قال: «من نجا من ثلاث فقد نجا -ثلاث مرات-: موتي، والدجال، وقتل خليفة مصطبر بالحق معطيه»[١].

قال ابن لهيعة، والليث بن سعد: هو عثمان[٢].

وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن رحا الإسلام ستزول بخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين، فإن يهلك فكسبيل ما هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاماً».

قال: قال عمر: يا رسول الله أبما مضى أم بما بقي؟

١- [إسناده صحيح]: تقدم تخريجه.

٢- انظر: «معجم الصحابة» لابن قانع (٢/ ٨٩).

وعن سفينة مولى رسول الله ﷺ، قال: لما بنى رسول الله ﷺ المسجد جاء أبو بكر رضي الله عنه بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه، فقال رسول الله ﷺ: «هؤلاء ولاة الأمر من بعدي هذا».

أخرجه الحاكم (٣/ ١٤)، وصححه، لكن أعله البخاري في «الضعفاء الصغير» (ص/ ٩٣)، واستغربه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٢١٧).

قال: «بل بما بقي»(١).

قال الطحاوي: قوله ﷺ: «تدور» أو «تزول رحا الإسلام»، يريد بذلك الأمور التي عليها يدور الإسلام، وشبه ذلك بالرحا فسماه باسمها.

وكان قوله ﷺ: «بعد خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين»، ليس على الشك، ولكن على أن يكون ذلك فيما يشاؤه الله عز وجل من تلك السنين، فشاء عز وجل أن كان في سنة خمس وثلاثين، فتهيأ فيها على المسلمين حصر إمامهم، وقبض يده عما يتولاه عليهم مع جلالة مقداره؛ لأنه من الخلفاء الراشدين المهديين حتى كان ذلك سبباً لسفك دمه رضوان الله عليه، وحتى كان ذلك سبباً لوقوع الاختلاف وتفرق الكلمة، واختلاف الآراء، فكان ذلك مما لو هلكوا عليه لكان سبيل مهلك لعظمه، ولما حل بالإسلام منه، ولكن الله ستر وتلافى، وخلف نبيه في أمته من يحفظ دينهم عليهم، ويبقي ذلك لهم(٢).

وقال الحاكم: فيه البيان الواضح لمقتل عثمان سنة خمس وثلاثين(٣).

١- [صحيح]: أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٩٥)، وأبو داود (رقم/ ٤٢٥٦)، وابن حبان (رقم/ ٦٦٦٤)، والحاكم (٣/ ١٠٨)، وصححه ابن حبان، والحاكم.

٢- «شرح مشكل الآثار» (٤/ ٢٩٣).

٣- «المستدرك» (٣/ ١٠٨).

وقال البيهقي: بلغني أن في هذا إشارة إلى الفتنة التي كان فيها قتل عثمان سنة خمس وثلاثين، ثم إلى الفتن التي كانت في أيام علي.

وأراد بـ«السبعين» -والله أعلم- ملك بني أمية، فإنه بقي ما بين أن استقر لهم الملك إلى أن ظهرت الدعاة بخراسان وضعف أمر بني أمية، ودخل الوهن فيه نحواً من سبعين سنة[1].

وقال الخطيب البغدادي: قوله: «**تدور رحا الإسلام**»، مِثْلُ يريد أن هذه المدة إذا انتهت حدث في الإسلام أمر عظيم يخاف لذلك على أهله الهلاك، يقال للأمر إذا تغير واستحال: قد دارت رحاه، وهذا والله أعلم إشارة إلى انقضاء مدة الخلافة.

وقوله: «**يقم لهم دينهم**»، أي: ملكهم وسلطانهم، والدين: الملك والسلطان، ومنه قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾[2]، وكان بين مبايعة الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان إلى انقضاء ملك بني أمية من المشرق نحواً من سبعين سنة[3].

١- «دلائل النبوة» (٦/ ٣٩٤).

٢- [يوسف: ٧٦].

٣- «الفقيه والمتفقه» (١/ ٢٩٧).

المبحث الأول

أسباب فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كان المسلمون في خلافة أبي بكر وعمر وصدراً من خلافة عثمان في السنة الأولى من ولايته متفقين لا تنازع بينهم، ثم حدث في أواخر خلافة عثمان أمور أوجبت نوعاً من التفرق، وقام قوم من أهل الفتنة والظلم فقتلوا عثمان، فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان[1].

إذن فقد كانت أمور الدولة الإسلامية مستقرة بعد وفاة النبي ﷺ حتى كانت بداية الفتن في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، ومن المفيد أن نتأمل في أسباب تلك الفتنة، ونستطيع إجمالها في الأسباب التالية:

السبب الأول- الرخاء:

لقد خشي النبي ﷺ على أمته بعد أن مكن الله عز وجل لهم أن ينفتحوا على الدنيا ويتنافسوا عليها، فإن ذلك قد يؤدي إلى الهلاك، وقال النبي ﷺ: والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسط

١- «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٢).

الدنيا عليكم، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»[١].

وقد فقه عمر بن الخطاب ﷺ هذا التحذير فكان من سياسته حماية المسلمين من غوائل فتنة المال وزخارف الدنيا، فاجتهد في منع المسلمين من التوسع في بلاد العجم، فلما جاء عهد عثمان ﷺ وتوسعت الفتوحات وامتلأت أيدي الناس بالخيرات والأرزاق، وهذا الرخاء لا شك يؤدي إلى الانشغال بالدنيا والتنافس عليها، وهذا ما خشيه عثمان ﷺ، فقال في إحدى وصاياه: فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن[٢].

أما تكامل النعم فيخبر عنه الحسن البصري: أدركت عثمان على ما نقموا عليه، قل ما يأتي على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيراً، يقال لهم: يا معشر المسلمين اغدوا على أعطياتكم، فيأخذونها وافرة، ثم يقال لهم: اغدوا على أرزاقكم فيأخذونها وافرة، ثم يقال لهم اغدوا على السمن

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٣١٥٨)، ومسلم (رقم/ ٢٩٦١) من حديث عمرو بن عوف.

٢- تقدم تخريجه.

والعسل، الأعطيات جارية، والأرزاق دارة، والعدو متقى، وذات البين حسن، والخير كثير، وما من مؤمن يخاف مؤمناً، ومن لقيه فهو أخوه، قد كان من ألفته ونصيحته ومودته قد عهد إليهم أنها ستكون أثرة، فإذا كانت فاصبروا.

قال الحسن: فلو أنهم صبروا حين رأوها لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق والخير الكثير، بل قالوا: لا والله ما نصابرها!

فوالله ما وردوا وما سلموا، والأخرى: كان السيف مغمداً عن أهل الإسلام فسلوه على أنفسهم، فوالله ما زال مسلولاً إلى يوم الناس، هذا وأيم الله إني لأراه سيفاً مسلولاً إلى يوم القيامة[(١)].

وأما بلوغ أولاد المسلمين من السبايا فيتمثل في ما آل إليه أمر هؤلاء من الدعة والترف، وحدث بين الناس النشو بتناولهم النبيذ، فأرسل عثمان طائفاً يطوف عليهم بالعصا، فمنعهم من ذلك، ثم اشتد ذلك فأفشى الحدود، ونبأ ذلك عثمان، وشكاه إلى الناس، فاجتمعوا على أن يجلدوا في النبيذ، فأخذ نفر منهم فجلدوا[(٢)].

١- [إسناده حسن]: تقدم تخريجه.

٢- انظر: «تاريخ الطبري» (٤/ ٣٩٨).

وقام عثمان في المدينة، فقال: إن الناس يبلغني عنهم هنات وهنات، وإني والله لا أكون أول من فتح بابها، ولا أدار رحاها، ألا وإني زام نفسي بزمام وملجمها بلجام فأقودها بزمامها وأكبعها بلجامها، ومناولكم طرف الحبل فمن اتبعني حملته على الأمر الذي يعرف، ومن لم يتبعني ففي الله خلف منه وعزاء عنه، ألا وإن لكل نفس يوم القيامة سائقاً وشاهداً، سائق يسوقها على أمر الله، وشاهد يشهد عليها بعملها، فمن كان يريد الله بشيء فليبشر، ومن كان إنما يريد الدنيا فقد خسر(١).

وكان ما فعله عثمان ﵁ سبباً في انضمام أولئك المنحرفين إلى صف الناقمين.

وأما قراءة الأعراب والأعاجم للقرآن فيظهر في شكل واضح في تكوين طبقة في المجتمع المسلم تتعلم القرآن لا رغبة في الثواب، وإنما رغبة في الجعل الذي جعله الخليفة تشجيعاً وتأليفاً(٢).

وفي مثل هذه الظروف والخيرات وافرة فاضت الدنيا على المسلمين، وتفرغ الناس بعد أن فتحوا الأقاليم، فأخذوا ينقمون على خليفتهم.

١- انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩/ ٢٤٧).

٢- انظر: «الأموال» لابن زنجويه (٢/ ٥٧٩).

ومن هنا يعلم أثر الرخاء في تحريك الفتنة، وقد قال عثمان ﷺ في آخر خطبة له: إن الدنيا تفنى، والآخرة تبقى، فلا تبطرنكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية، فآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة، وإن المصير إلى الله، اتقوا الله جل وعز، فإن تقواه جُنَّة من بأسه، ووسيلة عنده، واحذروا من الله الغير، والزموا جماعتكم، لا تصيروا أحزاباً(١).

السبب الثاني- التحول الاجتماعي:

تحولت الدولة الإسلامية من دولة محدودة النطاق تقوم في المدينة المنورة وتحكم شبه الجزيرة، إلى دولة عالمية يمتد سلطانها ليشمل إلى ذلك ممالك العراق والشام ومصر وإفريقية وإرمينية وبلاد فارس وبعضاً من جزر البحر الأبيض المتوسط، وقد ظهر نتيجة هذا التحول جيل جديد بعد الجيل الأول كان أقل منه في قوة الإيمان والفهم السليم لجوهر العقيدة الإسلامية والاستعداد التام لإخضاع النفس للقرآن والسنة، وظهرت المطامع الفردية والعصبية للأجناس والأقوام ورواسب الجاهلية.

وقد كان هناك جهد في ميدان التعليم والتربية الإسلامية، لكن حركة التوسع على الأرض في الدولة الإسلامية كانت أسرع، فلم يكن في مقدرة

١- [إسناده صحيح]: أخرجه الطبري (٤/ ٣٨٤).

الطاقة البشرية في ميدان التربية والتعليم استيعاب الأعداد الهائلة من سكان تلك المناطق.

وهذا الجيل الجديد الذي نشأ في الدولة الإسلامية كان له أثر أيضاً في الفتنة.

وكان من نتيجة ذلك التحول ظهور بعض الطوائف التي كانت من أسباب الفتنة، ومنها:

أ ـ **الأعراب**: وقد خرج منهم رجال عرفوا بالقراء، وقد اختلف مفهوم القراء هذا عن منطوقه، فالمنطوق يقصد به جماعة ممن تخصصوا بقراءة القرآن، لكن الواقع أنهم فهموا القرآن بطريقتهم الخاصة، وبالتالي فقد وقعوا في الفتن نتيجة الشدة في نزعة التدين عندهم مع قلة الفقه في الدين، فجرفتهم الأهواء والعواطف باسم الغيرة على الدين، دون نظر في العواقب ولا فقه لقواعد الشرع كدرء المفاسد وجلب المصالح.

ب ـ **من سبقت لهم ردة**: وكانت حياتهم في الإسلام قصيرة، وقد اختلفت سياسة عثمان رضي الله عنه عن أبي بكر وعمر تجاههم، فقد أبى أبو بكر رضي الله عنه الاستعانة بهم في الغزو، وفي عهد عمر تعامل معهم أيضاً بحذر وحيطة، فلما جاء عثمان تجاوز سياسة التقييد التي فرضها الخليفتين قبله،

وقد اجتهد عثمان في استعمال أهل الردة استصلاحاً لهم، فلم يصلحهم ذلك بل زادهم فساداً.

ج - **اليهود والنصارى**: وكان كثير منهم قد خرج من جزيرة العرب، واستقروا في الأمصار الكبيرة، مثل الكوفة والبصرة، وكان اليهود خاصة يمارسون مهنتهم المشهورة وهي السيطرة المالية بوسائلهم المختلفة، والتآمر على قطع اليد التي تمد لهم المساعدة.

وبالنظر في هذا الخليط غير المتجانس في نسيج المجتمع ندرك أنه مهيئ للهزات، ومستعد للاضطراب، وقابل لتلقي الأقاويل والشائعات، وهذا ما يعبر عنه شيخ الإسلام ابن تيمية، فيقول: ولهذا لما كان الناس في زمن أبي بكر وعمر اللذين أمر المسلمون بالاقتداء بهما كما قال ﷺ: «اقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر وعمر»(١)، أقرب عهداً بالرسالة وأعظم إيماناً وصلاحاً؛ وأئمتهم أقوم بالواجب وأثبت في الطمأنينة: لم تقع فتنة؛ إذ كانوا في حكم القسم الوسط.

ولما كان في آخر خلافة عثمان وخلافة علي كثر القسم الثالث؛ فصار

١- [حسن]: أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٨٢)، والترمذي (رقم/ ٣٦٦٢)، وابن ماجه (رقم/ ٩٧)، وابن حبان (رقم/ ٦٩٠٢)، والحاكم (٣/ ٨٠) من حديث حذيفة، وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان، والحاكم.

فيهم شهوة وشبهة مع الإيمان والدين؛ وصار ذلك في بعض الولاة وبعض الرعايا ثم كثر ذلك بعد؛ فنشأت الفتنة التي سببها ما تقدم من عدم تمحيص التقوى والطاعة في الطرفين؛ واختلاطهما بنوع من الهوى والمعصية في الطرفين، وكل منهما متأول أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأنه مع الحق والعدل ومع هذا التأويل نوع من الهوى؛ ففيه نوع من الظن وما تهوى الأنفس؛ وإن كانت إحدى الطائفتين أولى بالحق من الأخرى[١].

السبب الثالث- مجيء عثمان بعد عمر رضي الله عنهما :

قال خالد بن الوليد: إن الفتنة وابن الخطاب حي؟ فلا[٢].

فكان عمر رضي الله عنه قوي الشكيمة، شديد المحاسبة لنفسه ولمن تحت يده، أما عثمان فكان ألين طبعاً وأرق في المعاملة، وهذا ما قاله عثمان بنفسه:

١- «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٤٨- ١٤٩).

٢-[إسناده لا بأس به]: أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٩٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٤٥٣٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤/ ١١٦)، و«المعجم الأوسط» (رقم/ ٨٤٧٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»(٧/ ٣٠٧): «رجاله ثقات، وفي بعضهم ضعف»، وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٤٢٦): «سند حسن في المتابعات و الشواهد».

يرحم الله عمر! ومن يطيق ما كان عمر يطيق[1]!

وقد أحب الناس طريقة عثمان في البداية؛ لأنه لان معهم، وكان عمر شديداً عليهم، لكنهم أنكروا عليه بعد ذلك، فقد ظهر الفرق عند الأحداث بين عهده وعهد سلفه عمر رضي الله عنه، وقد قال عثمان رضي الله عنه لأقوام سجنهم: أتدرون ما جرأكم عليّ؟ ما جرأكم عليّ إلا حلمي[2]!

وحين ظهرت نوايا الخارجين عليه طلب المسلمون قتلهم، لكن عثمان رضي الله عنه أصر على الحلم، وقال: بل نعفو ونقبل ونبصرهم بجهدنا ولا نحاد أحداً، حتى يركب حداً أو يبدي كفراً[3].

هذا عن سياسة عثمان رضي الله عنه مع العامة، كذلك فقد اختلفت سياسة عثمان عن سياسة عمر مع الصحابة، فعمر رضي الله عنه حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان إلا بإذنه وأجل، مخافة أن يتوسعوا في القطاع والضياع، وأن يفتتن الناس بهم.

أما عثمان فقد سمح لهم بالخروج، وكانت النتيجة أن المخاطر التي

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٤٠١).

٢- تقدم تخريجه.

٣- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٣٤٣).

خشيها عمر رضي الله عنه وقعت، ولم تمض سنة من إمارة عثمان حتى اتخذ رجال من قريش أموالاً في الأمصار، وانقطع إليهم الناس، وثبتوا سبع سنين، كل قوم يحبون أن يلي صاحبهم.

ثم إن ابن السوداء أسلم، وتكلم وقد فاضت الدنيا، وطلعت الأحداث على يديه، فاستطالوا عُمْرَ عثمان رضي الله عنه (١).

وجاء في رواية: لما ولي عثمان لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم به عمر، فانساحوا في البلاد، فلما رأوها ورأوا الدنيا، ورآهم الناس، انقطع إليهم من لم يكن له طول ولا مزية في الإسلام، فكان مغموماً في الناس، وصاروا أوزاعاً إليهم وأملوهم، وتقدموا في ذلك، فقالوا: يملكون فنكون قد عرفناهم، وتقدمنا في التقرب والانقطاع إليهم، فكان ذلك أول وهن دخل على الإسلام، وأول فتنة كانت في العامة، ليس إلا ذلك (٢).

السبب الرابع- العصبية الجاهلية:

قال ابن خلدون: لما استكمل الفتح واستكمل للملّة الملك ونزل العرب بالأمصار في حدود ما بينهم وبين الأمم من البصرة والكوفة

١- انظر: «تاريخ الطبري» (٤/ ٣٩٨).

٢- انظر: «تاريخ الطبري» (٤/ ٣٩٧).

والشام ومصر، وكان المختصون بصحابة الرسول ﷺ والاقتداء بهداه وآدابه المهاجرين والأنصار من قريش وأهل الحجاز ومن ظفر بمثل ذلك من غيرهم.

وأما سائر العرب من بني بكر بن وائل وعبد القيس وسائر ربيعة والأزد وكندة وتميم وقضاعة وغيرهم، فلم يكونوا من تلك الصحبة بمكان إلا قليلاً منهم، وكان لهم في الفتوحات قدم، فكانوا يرون ذلك لأنفسهم مع ما يدين به فضلاؤهم من تفضيل أهل السابقة من الصحابة ومعرفة حقهم، وما كانوا فيه من الذهول والدهش لأمر النبوة وتردد الوحي وتنزل الملائكة، فلما انحسر ذلك العباب وتنوسي الحال بعض الشيء وذلَّ العدو واستفحل الملك، كانت عروق الجاهلية تنفض ووجدوا الرئاسة عليهم للمهاجرين والأنصار من قريش وسواهم، فأنفت نفوسهم منه، ووافق أيام عثمان فكانوا يظهرون الطعن في ولاته بالأمصار، والمؤاخذة لهم باللحظات والخطرات، والاستبطاء عليهم في الطاعات والتجني بسؤال الاستبدال منهم والعزل، ويفيضون في النكير على عثمان. وفشت المقالة في ذلك من أتباعهم وتنادوا بالظلم من الأمراء في جهاتهم وانتهت الأخبار بذلك إلى الصحابة بالمدينة، فارتابوا لها وأفاضوا في عزل عثمان

وحمله على عزل أمرائه. وبعث إلى الأمصار من يأتيه بصحيح الخبر [١].

السبب الخامس- السبئية:

خفت صوت اليهود في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بل إن عمر أخرجهم من جزيرة العرب كما أمر النبي ﷺ، لكنهم في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان ظهرت مؤامراتهم واستغلالهم لعوامل الفتنة الموجودة، وكان زعيم تلك الفتنة عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء، وهو يهودي من صنعاء أظهر إسلامه في زمن عثمان، وقد اشتهر أكثر من غيره، وكان له نشاط في الشام والعراق ومصر خاصة، كما ظهر مع الخوارج، وقد عده الإمام الطبري رأس الفتنة وأساس البلاء [٢].

عن يزيد الفقعسي، قال: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين، يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد

١- «تاريخ ابن خلدون» (٢/ ٥٨٦- ٥٨٧).

٢- انظر: «تاريخ الطبري» (٤/ ٣٤٠).

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[1].

فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، قال: فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة، فتكلموا فيها.

ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد.

ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء.

ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله، ووثب على وصي رسول الله، وتناول أمر الأمة!

ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله، فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدءوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر.

فبث دعاته، وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

١- [القصص: ٨٥].

وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم، حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسرون غير ما يبدون، فيقول أهل كل مصر: إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء، إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار، فقالوا: إنا لفي عافية مما فيه الناس [١].

وقد اتفق المشاهير من المؤرخين والعلماء من سلف الأمة وخلفها على أن ابن سبأ ظهر بين المسلمين بعقائد وأفكار وخطط سيئة ليلفت المسلمين عن دينهم وطاعة إمامهم، ويوقع بينهم الفرقة والخلاف، فاجتمع إليه من غوغاء الناس ما تكونت به الطائفة السبئية المعروفة التي كانت عاملاً من عوامل الفتنة كما سيأتي بيانه [٢].

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن عطية عن يزيد به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٤٠- ٣٤١) من طريق سيف به، وسيأتي مطولاً.

٢- أصل هذا المبحث مستفاد من «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» للدكتور محمد أمحزون (ص/ ٢٤٠- ٢٧٠)، و«سيرة عثمان» للدكتور علي الصلابي (ص/ ٣١٢- ٣٤٢).

المبحث الثاني

المآخذ التي انتقدها الخارجون على عثمان بن عفان رضي الله عنه

تقدم التعرض لبعض ما زعم الخارجون على عثمان أنها مآخذ عليه، مثل: غيابه عن بدر، وفراره يوم أحد، وجمع القرآن، وعزل بعض الولاة، وغير ذلك، وقد فصل هذه المآخذ محب الدين الطبري وأحسن، فأكتفي بنقل كلامه في هذا المبحث مع تصرف يسير.

قال رحمه الله:

ذِكر ما نقم على عثمان مفصلاً، والاعتذار عنه بحسب الإمكان، وذلك أمور:

الأول- ما نقموا عليه من عزله جمعاً من الصحابة:

منهم: أبو موسى، عزله عن البصرة، وولاها عبد الله بن عامر.

ومنهم: عمرو بن العاص، عزله عن مصر، وولاها عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وكان ارتد في حياة النبي ﷺ، ولحق بالمشركين فأهدر النبي ﷺ دمه بعد الفتح إلى أن أخذ له عثمان الأمان ثم أسلم.

ومنهم: عمار بن ياسر، عزله عن الكوفة.

ومنهم: المغيرة بن شعبة، عزله عن الكوفة أيضاً.

ومنهم: عبد الله بن مسعود، عزله عن الكوفة أيضاً، وأشخصه إلى المدينة.

الثاني- ما ادعوا عليه في الإسراف في بيت المال، وذلك بأمور:

منها: أن الحكم بن العاص لما رده من الطائف إلى المدينة، وقد كان طرده النبي ﷺ، وصله من بيت المال بمائة ألف درهم، وجعل لابنه الحارث سوق المدينة يأخذ منها عشور ما يباع فيها.

ومنها: أنه وهب لمروان خمس أفريقية.

ومنها: أن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية قدم عليه فوصله بثلاثمائة ألف درهم.

ومنها: ما رواه أبو موسى، قال: كنت إذا أتيت عمر بالمال والحلية من الذهب والفضة لم يلبث أن يقسمه بين المسلمين حتى لا يبقى منه شيء، فلما ولي عثمان أتيت به فكان يبعث به إلى نسائه وبناته، فلما رأيت ذلك

أرسلت دمعي وبكيت، فقال لي: ما يبكيك؟

فذكرت له صنيعه وصنيع عمر.

فقال: رحم الله عمر! كان حسنة، وأنا حسنة، ولكل ما اكتسب.

قال أبو موسى: إن عمر كان ينزع الدرهم الفرد من الصبي من أولاده فيرده في مال الله، ويقسمه بين المسلمين، فأراك قد أعطيت إحدى بناتك مجمراً من ذهب مكللاً باللؤلؤ والياقوت، وأعطيت الأخرى درتين، لا يعرف كم قيمتهما.

فقال: إنَّ عمر عمل برأيه ولا يألو عن الخير، وأنا أعمل برأيي ولا آلو عن الخير، وقد أوصاني الله تعالى بذوي قرباي، وأنا مستوص بهم، أبرهم.

ومنها: ما قالوا: إنه أنفق أكثر بيت المال في ضياعه ودوره التي اتخذها لنفسه ولأولاده، وكان عبد الله بن الأرقم ومعيقيب على بيت المال في زمان عمر، فلما رأيا ذلك استعفيا، فعزلهما وولاه زيد بن ثابت، وجعل المفاتيح بيده؛ فقال له يوماً، وقد فضل في بيت المال فضلة، فقال: خذها فهي لك، فأخذها زيد فكانت أكثر من مائة ألف درهم.

الثالث : أنهم قالوا: حبس عن عبد الله بن مسعود وأُبي عطاءهما، وأخرج ابن مسعود إلى الربذة فكان بها إلى أن مات، وأوصى إلى الزبير وأوصاه أن يصلي عليه، ولا يستأذن عثمان لئلا يصلي عليه، فلما دفن وصل عثمان ورثته بعطاء أبيهم خمس سنين.

الرابع : ما روي أنه حمى بقيع المدينة ومنع الناس منه، وزاد في الحمى أضعاف البقيع.

الخامس : قالوا: إنه حمى سوق المدينة في بعض ما يباع ويشترى، فقالوا: لا يشتري منه أحد النوى حتى يشتري وكيله من شراء ما يحتج إليه عثمان لعلف إبله.

السادس : زعموا أنه حمى البحر من أن تخرج فيه سفينة إلا في تجارته.

السابع : أنه أقطع أصحابه إقطاعات كثيرة من بلاد الإسلام، مما لم يكن له فعله.

الثامن- أنه نفى جماعة من أعلام الصحابة عن أوطانهم :

منهم: أبو ذر الغفاري؛ وقصته فيما نقلوه: أنه كان بالشام، فلما بلغه ما أحدث عثمان ذكر عيوبه للناس، فكتب إليه عثمان أن أشخصه إلي على

مركب وعر وسائق عنيف؛ فأشخصه معاوية على تلك الصورة، فلما وصل إلى عثمان، قال له: لم تفسد علي؟

أشهد لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دغلاً، ثم يريح الله العباد منهم**».

فقال عثمان لمن بحضرته من المسلمين: أسمعتم هذا من رسول الله ﷺ؟

قالوا: لا.

فدعا عثمان علياً، فسأله عن الحديث، فقال: لم أسمعه من رسول الله ﷺ، ولكن قال رسول الله ﷺ: «**ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر**»(١).

فاغتاظ عثمان، وقال لأبي ذر: اخرج من هذه البلدة، فخرج منها إلى الربذة فكان بها إلى أن مات.

١- [رجاله ثقات]: أخرجه الحاكم (٤/ ٥٢٦) بلفظه، وصححه.

وأخرج الترمذي (رقم/ ٣٨٠٢) آخره من حديث أبي ذر، وحسنه.

وأخرج أبو يعلى (رقم/ ٦٥٢٣) أوله من حديث أبي هريرة، وصححه البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٨/ ٨٤)، وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٣٩٩): «غريب، ورواته ثقات».

التاسع: قالوا: إن عبادة بن الصامت كان بالشام في جند، فمر عليه قطار جِمال تحمل خمراً، وقيل: إنها خمر تباع لمعاوية، فأخذ شفرة وقام إليها فما ترك منها راوية إلا شقها، ثم ذكر لأهل الشام سوء سيرة عثمان ومعاوية، فكتب معاوية إلى عثمان يشكوه، وسأل إشخاصه إلى المدينة فبعث إليه واستدعاه، فلما دخل عليه، قال: ما لنا وما لك يا عبادة، تنكر علينا وتخرج عن طاعتنا؟!

فقال عبادة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا طاعة لمن عصى الله تعالى**»[1].

العاشر- هجره لعبد الله بن مسعود:

وذلك أنه لما عزله عن الكوفة، وأشخصه إلى المدينة هجره أربع سنين إلى أن مات مهجوراً.

وسبب ذلك فيما زعموا أن ابن مسعود لما عزله عثمان من الكوفة وولى الوليد بن عقبة ورأى ضنيع الوليد في جوره وظلمه، فعاب ذلك، وجمع

١- [المرفوع: صحيح بمجموع طرقه]: أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٢٩)، والحاكم (٣/ ٤٠١)، وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم/ ٥٩٠) بمجموع طرقه.

الناس بمسجد الكوفة، وذكر لهم أحداث عثمان، ثم قال: أيها الناس لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم.

وبلغه خبر نفي أبي ذر إلى الربذة، فقال في خطبته بمحفل من أهل الكوفة: هل سمعتم قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ ﴾[1]؟

وعرض بذلك لعثمان.

فكتب الوليد بذلك إلى عثمان فأشخصه من الكوفة، فلما دخل مسجد النبي ﷺ، أمر عثمان غلاماً له أسود فدفع ابن مسعود، وأخرجه من المسجد ورمى به الأرض، وأمر بإحراق مصحفه، وجعل منزله حبسه وحبس عطاءه أربع سنين إلى أن مات، وأوصى الزبير بأن لا يترك عثمان يصلي عليه.

وزعموا أيضاً أن عثمان دخل على ابن مسعود يعوده، وقال له: استغفر الله لي، فقال: اللهم إنك عظيم العفو كثير التجاوز، فلا تتجاوز عن عثمان حتى تقيد لي منه.

١- [البقرة: ٨٥].

الحادي عشر: نقلوا أنه قال لعبد الرحمن بن عوف: إنه منافق، وذلك أن الصحابة لما نقموا على عثمان ما أحدثه وعاتبوا عبد الرحمن في توليته إياه في اختياره، فندم على ذلك، وقال: إني لا أعلم ما يكون، والآن الأمر إليكم، فبلغ قوله عثمان، فقال: إن عبد الرحمن منافق، وإنه لا يبالي ما قال؛ فحلف ابن عوف لا يكلمه ما عاش ومات على هجرته.

وقالوا: فإن كان ابن عوف منافقاً كما قال فما صحت بيعته ولا اختياره له، وإن لم يكن منافقاً فقد فسق بهذا القول، وخرج عن أهلية الإمامة.

الثاني عشر: ما رووا أنه ضرب عمار بن ياسر، وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ اجتمع منهم خمسون رجلاً من المهاجرين والأنصار فكتبوا أحداث عثمان وما نقموا عليه في كتاب، وقالوا لعمار: أوصل هذا الكتاب إلى عثمان ليقرأه؛ فلعله يرجع عن هذا الذي ينكر، وخوفوه فيه بأنه إن لم يرجع خلعوه واستبدلوا غيره.

قالوا: فلما قرأ عثمان الكتاب طرحه، فقال له عمار: لا ترم بالكتاب وانظر فيه، فإنه كتاب أصحاب رسول الله ﷺ، وأنا والله ناصح لك وخائف عليك!

فقال: كذبت يا ابن سمية، وأمر غلمانه فضربوه حتى وقع لجنبه وأغمي عليه.

وزعموا أنه قام بنفسه فوطئ بطنه ومذاكيره حتى أصابه الفتق وأغمي عليه أربع صلوات، فقضاها بعد الإفاقة واتخذ لنفسه تباناً تحت ثيابه، وهو أول من لبس التبان لأجل الفتق، فغضب لذلك بنو مخزوم، وقالوا: والله لئن مات عمار من هذا لنقتلن من بني أمية شيخاً عظيماً -يعنون عثمان- ثم إن عماراً لزم بيته إلى أن كان من أمر الفتنة ما كان.

الثالث عشر: قالوا: إنه انتهك حرمة كعب بن عبدة البهري، وذلك أن جماعة من أهل الكوفة اجتمعوا وكتبوا إلى عثمان كتاباً يذكرون فيه أحداثه، ويقولون: إن أنت أقلعت عنها فإنا سامعون مطيعون، وإلا فإنا هنا بذاك ولا طاعة لك علينا، وقد أعذر من أنذر، ودفعوا الكتاب إلى رجل من عنزة ليحمله إلى عثمان.

وكتب إليه كعب بن عبدة كتاباً أغلظ منه مع كتابهم، فغضب عثمان، وكتب إلى سعيد بن العاص أن يسرع إلى كعب بن عبدة، ويبعث به من الكوفة إلى بعض الجبال، فدخل عليه وجرده من ثيابه وضربه عشرين سوطاً، ونفاه إلى بعض الجبال.

الرابع عشر- أنه انتهك حرمة الأشتر النخعي :

وذلك: أن سعيد بن العاص لما ولي الكوفة من قبل عثمان دخل المسجد، فاجتمع إليه أشراف الكوفة فذكروا الكوفة وسوادها، فقال عبد الرحمن بن حنين صاحب شرطة سعيد: وددت أن السواد كله للأمير.

فقال الأشتر النخعي: لا يكون للأمير ما أفاء الله علينا بأسيافنا.

فقال عبد الرحمن: اسكت يا أشتر، فوالله لو أراد الأمير لكان السواد كله له.

فقال الأشتر: كذبت يا عبد الرحمن، لو رام ذلك لما قدر عليه.

وقامت العامة على ابن حنين فضربوه حتى وقع لجنبه، وكتب سعيد إلى عثمان ليأمره بإخراج الأشتر من الكوفة إلى الشام مع أتباعه الذين أعانوه فأجابه إلى ذلك، فأشخصه مع عشرين نفراً من صلحاء الكوفة إلى الشام، فلم يزالوا محبوسين بها إلى أن كانت فتنة عثمان، ثم إن سعيداً لحق بالمدينة، واضطربت الكوفة على عمال عثمان.

وكتب أشراف الكوفة إلى الأشتر: أما بعد، فقد اجتمع الملأ من إخوانك فتذاكروا أحداث عثمان وما أتاه إليك، ورأوا ألا طاعة عليهم

في معصية الله، وقد خرج سعيد عنا، وقد أعطينا عهودنا ألا يدخل علينا سعيد بعد هذا والياً؛ فالحق بنا إن كنت تريد أن تشهد معنا أمرنا.

فسار إليهم واجتمع معهم، وأخرجوا ثابت بن قيس صاحب شرطة سعيد بن العاص، وعزم عسكر الأشتر، وأهل الكوفة على منع عمال عثمان على الكوفة، واتصل الخبر بعثمان فأرسل إليهم سعيد بن العاص؛ فلما بلغ العذيب استقبله جند الكوفة، وقالوا له: ارجع يا عدو الله؛ فإنك لا تذوق فيها بعد صنيعك ماء الفرات، وقاتلوه وهزموه، فرجع إلى عثمان خائباً.

وكتب عثمان إلى الأشتر كتاباً توعده فيه على مخالفة الإمام.

فكتب إليه الأشتر كتاباً عنوانه: من مالك بن الحويرث إلى الخليفة الخارج عن سنة نبيه، النابذ حكم القرآن وراء ظهره: أما بعد، فإن الطعن على الخليفة إنما يكون وبالاً إذا كان الخليفة عادلاً، وبالحق قاضياً، وإذا لم يكن كذلك ففراقه قربة إلى الله تعالى ووسيلة إليه، وأنفذ الكتاب مع كميل بن زياد، فلما وصل إلى عثمان سلم ولم يسمه بأمير المؤمنين، فقيل له: لم لا تسلم بالخلافة على أمير المؤمنين؟

فقال: إن تاب عن فعاله، وأعطانا ما نريد فهو أميرنا، وإلا فلا.

فقال عثمان: إني أعطيكم الرضا، من تريدون أن أوليه عليكم؟

فاقترحوا عليه أبا موسى الأشعري، فولاه عليهم.

الخامس عشر: قالوا: إن عثمان أحرق مصحف ابن مسعود، ومصحف أُبي، وجمع الناس على مصحف زيد بن ثابت، ولما بلغ ابن مسعود أنه أحرق مصحفه وكان به نسخة عند أصحاب له بالكوفة أمرهم بحفظها، وقال لهم: قرأت سبعين سورة، وإن زيد بن ثابت لصبي من الصبيان.

السادس عشر: قالوا: إن عثمان ترك إقامة حدود الله تعالى في عبيد الله بن عمر لما قتل الهرمزان، وقتل جُفينة وبنتاً صغيرة لأبي لؤلؤة القاتل عمر، فاجتمعت الصحابة عند عثمان وأمروه بقتل عبيد الله بن عمر قصاصاً بمن قتل، وأشار علي بذلك فلم يقبله؛ ولذلك سار عبيد الله بعد قتل عثمان إلى معاوية خوفاً من علي أن يقتله بالهرمزان.

السابع عشر: قالوا: إن عثمان خالف الجماعة بإتمام الصلاة بمنى مع علمه بأن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر قصروا الصلاة بها.

الثامن عشر: انفرد بأقوال شاذة خالف فيها جميع الأمة، في الفرائض وغيرها.

التاسع عشر: قالوا: إنه كان غادراً مخلفاً لوعده؛ لأن أهل مصر شكوا إليه عامله عبد الله بن سعد بن أبي السرح فوعدهم أن يولي عليهم من يرتضونه، فاختاروا محمد بن أبي بكر فولاه عليهم وتوجهوا به معهم إلى مصر، ثم كتب إلى عامله ابن أبي السرح بمصر يأمره أن يأخذ محمد بن أبي بكر فيقطع يديه ورجليه، وهذا كان سبب رجوع أهل مصر المدينة وحصارهم عثمان وقتله.

والجواب

أما القضية الأولى- وهي عزل من عزله من الصحابة:

أما أبو موسى: فكان عذره في عزله أوضح من أن يذكر، فإنه لو لم يعزله اضطربت البصرة والكوفة وأعمالها، للاختلاف الواقع بين جند البلدين، وقصته: أنه كتب إلى عمر في أيامه يسأله المدد فأمده بجند الكوفة، فأمرهم أبو موسى قبل قدومهم عليه برامهرمز فذهبوا إليها وفتحوها وسبوا نساءها وذراريها فحمدهم على ذلك، وكره نسبة الفتح إلى جند الكوفة دون جند البصرة، فقال لهم: إني كنت قد أعطيتهم الأمان وأجلتهم ستة أشهر، فرعوا عليهم، فوقع الخلاف في ذلك بين الجندين، وكتبوا إلى عمر، فكتب عمر إلى صلحاء جند أبي موسى، مثل: البراء وحذيفة وعمران بن

حصين وأنس بن مالك وسعيد بن عمرو الأنصاري، وأمثالهم، وأمرهم أن يستحلفوا أبا موسى، فإن حلف أنه أعطاهم الأمان وأجلهم ردوا عليهم، فاستحلفوه فحلف ورد السبي عليهم، وانتظر لهم أجلهم.

وبقيت قلوب الجند حنقة على أبي موسى، ثم رفع على أبي موسى إلى عمر، وقيل له: لو أعطاهم الأمان لعُلِمَ ذلك، فأشخصه عمر، وسأل عن يمينه.

فقال: ما حلفت إلا على حق.

قال: فلمَ أمرت الجند إليهم حتى فعلوا ما فعلوا؟ وقد وكلنا أمرك في يمينك إلى الله تعالى، فارجع إلى عملك فليس نجد الآن من يقوم مقامك، ولعلنا إن وجدنا من يكفينا عملك وليناه.

فلما مضى عمر لسبيله، وولي عثمان شكا جند البصرة شح أبي موسى، وشكا جند الكوفة ما نقموا عليه، فخشي عثمان ممالأة الفريقين على أبي موسى فعزله عن البصرة، وولاها أكرم الفتيان عبد الله بن عامر بن كريز، وكان من سادات قريش، وهو الذي سقاه رسول الله ﷺ ريقه حين حمل إليه طفلاً في مهده[1].

١- انظر: «المستدرك» للحاكم (٣/ ٧٤١).

وأما عمرو بن العاص: فإنما عزله؛ لأن أهل مصر أكثروا شكايته، وكان عمر قبل ذلك عزله لشيء بلغه عنه، ثم لما أظهر توبته رده، كذلك عزله عثمان لشكاية رعيته، كيف والغلاة يزعمون أن عمراً كان منافقاً في الإسلام، فقد أصاب عثمان في عزله فكيف يعترض على عثمان بما هو مصيب فيه عندهم؟

وأما توليته عبد الله: فمن حسن النظر عنده؛ لأنه تاب وأصلح عمله، وكانت له فيما ولاه آثار محمودة، فإنه فتح من تلك النواحي طائفة كبيرة، حتى انتهى في إغارته إلى الجزائر التي في بحر بلاد الغرب، وحصل في فتوحه ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار، سوى ما غنمه من صنوف الأموال؛ وبعث بالخمس منها إلى عثمان، وفرق الباقي في جنده، وكان في جنده جماعة من الصحابة، ومن أولادهم: كعقبة بن عامر الجهني، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، قاتلوا تحت رايته، وأدوا طاعته، ووجدوه أقوم بسياسة الأمر من عمرو بن العاص.

ثم أبان عن حسن رأي في نفسه عند وقوع الفتنة فحين قتل عثمان اعتزل الفريقين، ولم يشهد مشهداً، ولم يقاتل أحداً بعد قتال المشركين.

وأما عمار بن ياسر: فأخطئوا في ظن عزله، فإنه لم يعزله وإنما عزله عمر،

كان أهل الكوفة قد شكوه، فقال عمر: من يعذرني من أهل الكوفة إن استعملت عليهم تقياً استضعفوه، وإن استعملت عليهم قوياً فجروه.

ثم عزله، وولى المغيره بن شعبة، فلما ولي عثمان شكوا المغيرة إليه، وذكروا أنه ارتشى في بعض أموره، فلما رأى ما وقر عندهم منه، استصوب عزله عنهم؛ ولو كانوا مفترين عليه.

والعجب من هؤلاء الغلاة كيف ينقمون على عثمان عزل المغيرة، وهم يكفرون المغيرة؟!

على أنا نقول: ما زال ولاة الأمر قبله وبعده يعزلون من عمالهم من رأوا عزله، ويولون من رأوا توليته بحسب ما تقتضيه أنظارهم، عزل عمر خالد بن الوليد عن الشام وولى أبا عبيدة، وعزل عماراً عن الكوفة وولاها المغيرة بن شعبة، وعزل قيس بن سعد عن مصر وولاها الأشتر النخعي.

ألا ترى إلى معاوية -وكان ممن ولاه عمر- لما ضبط الجزيرة وفتح البلاد إلى حدود الروم وفتح جزيرة قبرص، وغنم منها مائة ألف رأس سوى ما غنم من البياض وأصناف المال وحمدت سيرته وسراياه، أقره على ولايته؟!

وأما ابن مسعود: فسيأتي الاعتذار عنه فيما بعد.

وأما القضية الثانية : وهو ما ادعوه من إسرافه في بيت المال، فأكثر ما نقلوه عنه مفترى عليه ومختلق؛ وما صح منه فعذره فيه واضح.

وأما رده الحَكم إلى المدينة : فقد ذكر ﵁ أنه كان استأذن النبي ﷺ في رده إلى المدينة فوعده بذلك، فلما ولي أبو بكر سأله عثمان ذلك، فقال: كيف أرده إليها وقد نفاه رسول الله ﷺ؟!

فقال له عثمان ذلك، فقال له: إني لم أسمعه يقول له ذلك؛ ولم تكن مع عثمان بينة على ذلك.

فلما ولي عمر سأله ذلك، فأبى ولم يريا الحُكم بقول الواحد.

فلما ولي قضي بعلمه، وهو قول أكثر الفقهاء، وهو مذهب عثمان، وهذا بعد أن تاب وأصلح عما كان طرد لأجله، وإعادة التائب مما تحمد.

وأما صلته من بيت المال بمائة ألف : فلم تصح، وإنما الذي صح أنه زوج ابنه من ابنة الحارث بن الحكم، وبذل لها من مال نفسه مائة ألف درهم، وكان ﵁ ذا ثروة في الجاهلية والإسلام، وكذلك زوج ابنته أم أبان من ابن مروان بن الحكم، وجهزها من خاص ماله بمائة ألف، لا

من بيت المال، وهذه صلة رحم يحمد عليها.

وأما طعنهم على عثمان أنه وهب خمس أفريقية مروان بن الحكم : فهو غلط منهم؛ وإنما المشهور في القضية أن عثمان كان جهز ابن أبي السرح أميراً على آلاف من الجند، وحضر القتال بأفريقية، فلما غنم المسلمون أخرج ابن أبي السرح الخمس من الذهب وهو خمسمائة ألف دينار فأنفذها إلى عثمان، وبقي من الخمس أصناف من الأثاث والمواشي مما يشق حمله إلى المدينة فاشتراها مروان منه بمائة ألف درهم نقد أكثرها وبقيت منها بقية، ووصل إلى عثمان مبشراً بفتح أفريقية، وكانت قلوب المسلمين مشغولة خائفة أن يصيب المسلمين من أمر أفريقية نكبة؛ فوهب له عثمان ما بقي عليه جزاء ببشارته؛ وللإمام أن يصل المبشرين من بيت المال بما رأى على قدر مراتب البشارة.

وأما ما ذكروا من صلته عبد الله بن خالد بن أسيد بثلاثمائة ألف درهم : فإن أهل مصر عاتبوه على ذلك لما حاصروه فأجابهم بأنه استقرض له ذلك من بيت المال، وكان يحتسب لبيت المال ذلك من نفسه حتى وفاه.

وأما دعواهم أنه جعل للحارث بن الحكم سوق المدينة

يأخذ عشور ما يباع فيه: فغير صحيح؛ وإنما جعل إليه سوق المدينة ليراعي أمر المثاقيل والموازين، فتسلط يومين أو ثلاثة على باعة النوى واشتراه لنفسه، فلما رفع ذلك إلى عثمان أنكر عليه وعزله، وقال لأهل المدينة: فإني لم آمره بذلك، ولا عتب على السلطان في جور بعض العمال إذا استدرك بعد علمه.

وقد روي أنه جعله على سوق المدينة، وجعل له كل يوم درهمين، وقال لأهل المدينة: إذا رأيتموه سرق شيئاً فخذوه منه، وهذا غاية الإنصاف.

وأما قصة أبي موسى: فلا يصح شيء منها، فإنه رواه ابن إسحاق عمن حدثه عن أبي موسى؛ ولا يصح الاستدلال برواية المجهول، وكيف يصح ذلك وأبو موسى ما ولي لعثمان عملاً إلا في آخر السنة التي قتل فيها؟!

ولم يرجع إليه؛ فإنه لما عزله عن البصرة بعبد الله بن عامر لم يتول شيئاً من أعماله إلى إرسال أهل الكوفة -في السنة التي قتل فيها- أن يوليه الكوفة فولاه إياها، ولم يرجع إليه؛ ثم يقال للطاعنين: إنكم تكفرون أبا موسى وعثمان، فلا حجة في دعوى بعضهم على بعض.

وأما عزله ابن الأرقم ومعيقيباً عن ولاية بيت المال: فإنهما أسنا وضعفا عن القيام بحفظ بيت المال.

وقد روي أن عثمان لما عزله خطب الناس، وقال: ألا إن عبد الله بن الأرقم لم يزل على جرايتكم زمن أبي بكر وعمر إلى اليوم، وإنه كبر وضعف وقد ولينا عمله زيد بن ثابت.

وما نسبوه إليه من صرف مال بيت المال في عمارة دوره وضياعه المختصة: فبهتان افتروه عليه؛ وكيف وهو من أكثر الصحابة مالاً؟!

وكيف يمكنه ذلك بين أظهر الصحابة مع أنه الموصوف بكثرة الحياء، وأن الملائكة تستحي منه لفرط حيائه؟!

أعاذنا الله من فرطات الجهل وموبقات الهوى، آمين آمين.

وقولهم: إنه دفع إليه ما فضل من بيت المال: افتراء واختلاق، بل الصحيح أنه أمر بتفرقة المال على أصحابه، ففضل في بيت المال ألف درهم فأمره بإنفاقها فيما يراه أصلح للمسلمين، فأنفقها زيد على عمارة مسجد رسول الله ﷺ بعد ما زاد عثمان في المسجد زيادة، وكل واحد منهما

مشكور محمود على فعله.

وأما القضية الثالثة : وهو ما ادعوه من حبس عطاء ابن مسعود، فكان ذلك في مقابلة ما بلغه عنه، ولم تزل الأئمة على مثل ذلك، وكل منهما مجتهد، فإما مصيبان أو مخطئ ومصيب، ولم يكن قصد عثمان حرمانه البتة، وإنما التأخير إلى غاية اقتضى نظره التأخير إليها أدباً، فلما قضى عليه إما مع بلوغ حصول تلك الغاية أو دونها وصل به ورثته[1]، ولعله كان أنفع لهم.

وأما القضية الرابعة : وهي الحمى، فهذا مما كان اعترض به أهل مصر عليه، فأجابهم بأنه حمى لإبل الصدقة كما حمى رسول الله ﷺ لها.

فقالوا: إنك زدت!

فقال: لأن إبل الصدقة زادت.

وليس هذا مما ينقم على الإمام.

وأما الخامسة : وهو أنه حمى سوق المدينة إلى آخر ما قرر، فهذا مما تقول عليه واختلق ولا أصل له، ولم يصح إلا ما تقدم من حديث الحارث بن الحكم. ولعله لما فعل ذلك نسبوه إلى عثمان، وعلى تقدير صحة ذلك

١- انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ١٦٠)، و«الأموال» لأبي عبيد (رقم/ ٦٤١).

يحمل على أنه فعله لإبل الصدقة، وألحقه بحمى المرعى لها؛ لأنه في معناه.

وأما السادسة : وهي حمى البحر، فعلى تقدير صحة النقل فيها يحمل على أنها كانت ملكاً له؛ لأنه كان منبسطاً في التجارات، متسع المال في الجاهلية والإسلام، فما حمى البحر، وإنما حمى سفنه أن يحمل فيها متاع غير متاعه.

وأما السابعة : وهي إقطاعه كثيراً من الصحابة كثيراً من بلاد الإسلام، فعنه جوابان:

الأول: أن ذلك كان منه إذناً في إحياء كل ما قدر عليه من أموات أرض العراق، ومن أحيا أرضاً ميتة فهي له.

الثاني: أن أصحاب السير ذكروا أن الأشراف من أهل اليمن قدموا المدينة وهجروا بلادهم وأموالهم مثلها، فأعطى طلحة موضعاً، وأخذ منه ما له بكندة، وهكذا كل من أعطى شيئاً فإنما هو شيء صار للمسلمين، وفعل ذلك لما رأى من المصلحة، إما إجارة إن قلنا: أراضي السواد وقف، وإما تمليكاً إن قلنا: ملك.

وأما القضية الثامنة- وهو ما ادعوه في نفيه جماعة من الصحابة :

أما أبو ذر: فروي أنه كان يتجاسر عليه، ويجبهه بالكلام الخشن، ويفسد عليه ويثير الفتنة، وكان يؤدي ذلك التجاسر عليه إلى إذهاب هيبته، وتقليل حرمته، ففعل ما فعل به صيانة لمنصب الشريعة وإقالة لحرمة الدين.

وكان عذر أبي ذر فيما كان يفعله أنه كان يدعوه إلى ما كان عليه صاحباه من التجرد عن الدنيا والزهد فيها، فيخالفه في أمور مباحة من اقتنائه الأموال، وجمعه الغلمان الذين يستعان بهم على الحروب، وكل منهما كان على هدى من الله تعالى.

ولم يزل أبو ذر ملازماً طاعة عثمان بعد خروجه إلى الربذة حتى توفي.

ولما قدم إليها كان لعثمان غلام يصلي بالناس، فقدم أبا ذر للصلاة، فقال له: أنت الوالي، والوالي أحق، وهذا كله على تقدير صحة ما نُقِل في قصة أبي ذر مع عثمان؛ وإلا فقد روى محمد بن سيرين خلاف ذلك، فقال: لما قدم أبو ذر الشام استأذن عثمان في لحوقه بالربذة، فقال عثمان: أقم عندي تغدو عليك اللقاح وتروح، فقال: لا حاجة لي في الدنيا، فأذن له في الخروج إلى الربذة.

وروى قتادة أن النبي ﷺ قال لأبي ذر: «**إذا رأيت المدينة بلغ بناؤها سلعاً، فاخرج منها**»[١]، وأشار إلى الشام.

فلما كان في ولاية عثمان بلغ بناؤها سلعاً، فخرج إلى الشام، وأنكر على معاوية أشياء فشكاه إلى عثمان، فكتب عثمان إلى أبي ذر: أقبل إلينا فنحن أرعى لحقك وأحسن جواراً من معاوية.

فقال أبو ذر: سمعاً وطاعة.

فقدم على عثمان، ثم استأذن في الخروج إلى الربذة، فأذن له، فمات.

ورواية هذين الإمامين العالمين من التابعين وأهل السنة هذه القصة أشبه بأبي ذر وعثمان من رواية غيرهما من أهل البدعة.

وأما القضية التاسعة- وهي قضية عبادة بن الصامت:

فهي دعوى باطلة وكذب مختلق؛ وما شكا معاوية عُبادة ولا أشخصه

١- [ضعيف]: أخرجه الحاكم (٣/ ٣٨٧)، وعنه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٤٠١)، وصححه الحاكم، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (رقم/ ٥٧١٩)، وهو أشبه.
وفيه: قالت أم ذر: «والله ما سير عثمان أبا ذر».
وأخرج ابن شبة (٣/ ١٠٣٧) بإسناد حسن عن غالب القطان، أنه قال للحسن: عثمان أخرج أبا ذر؟
قال: لا، معاذ الله.

عثمان، والأمر على خلاف ذلك فيما رواه الثقات الأثبات من اتفاقهم ورجوع بعضهم إلى بعض في الحق.

ويشهد لذلك ما روي أن معاوية لما غزا جزيرة قبرص كان معه عبادة بن الصامت، فلما فتحوا الجزيرة وأخذوا غنائمها أخرج معاوية خمسها وبعثه إلى عثمان، وجلس يقسم الباقي بين جنده، وجلس جماعة من أصحاب النبي ﷺ ناحية، منهم: عبادة بن الصامت وأبو الدرداء وشداد بن أوس وواثلة بن الأسقع وأبو أمامة الباهلي وعبد الله بن بشر المازني، فمر بهم رجلان يسوقان حمارين، فقال لهما عبادة بن الصامت: ما هذان الحماران؟

فقالا: إن معاوية أعطاناهما من المغنم، وإنا نرجو أن نحج عليهما.

فقال لهما عبادة: لا يحل لكما ذلك، ولا لمعاوية أن يعطيكما.

فرد الرجلان الحمارين على معاوية، وسأل معاوية عبادة بن الصامت عن ذلك، فقال عبادة: شهدت رسول الله ﷺ في غزوة حنين والناس يكلمونه في الغنائم، فأخذ وبرة من بعير، وقال: «**ما لي مما أفاء الله عليكم من هذه الغنائم إلا الخمس، والخمس مردود**

عليكم»[١]، فاتق الله يا معاوية واقسم الغنائم على وجهها، ولا تعط منها أحداً أكثر من حقه.

فقال له معاوية: قد وليتك قسمة الغنائم ليس أحد بالشام أفضل منك ولا أعلم، فاقسمها بين أهلها واتق الله فيها.

فقسمها عبادة بين أهلها، وأعانه أبو الدرداء وأبو أمامة، وما زالوا على ذلك إلى آخر زمن عثمان.

فهذه قصة عبادة في التزامه طاعة عثمان وطاعة عامله بالشام، بضد ما رووه، قاتلهم الله.

وأما القضية العاشرة: ما رووه مما جرى على عبد الله بن مسعود من عثمان وأمره غلامه بضربه إلى آخر ما قرروه، فكله بهتان واختلاق، لا يصح منه شيء، وهؤلاء الجهلة لا يتحامون الكذب فيما يرونه موافقاً لأغراضهم، إذ لا ديانة تردهم عن ذلك.

ثم نقول: على تقدير صحة صدور ذلك من الغلام، فيكون قد فعله

١- [صحيح]: أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣١٩)، والنسائي (٧/ ١٣١)، وابن حبان (رقم/ ٤٨٥٥)، والحاكم (٣/ ٥١)، والضياء في «المختارة» (٨/ ٢٩٥)، وصححه ابن حبان والضياء.

من نفسه غضباً لمولاه؛ فإن ابن مسعود كان يجبه عثمان بالكلام ويلقاه بما يكرهه، ولو صح ذلك عنه لكان محمولاً على الأدب، فإن منصب الخلافة لا يحتمل ذلك، ويصنع ذلك منه بين العامة، وليس هذا بأعظم مِن ضربِ عمر سعد بن أبي وقاص بالدرة على رأسه حين لم يقم له، وقال له: إنك لم تهب الخلافة فأردت أن تعرف أن الخلافة لا تهابك، ولم يغير ذلك سعداً ولا رآه عيباً.

وكذلك ضربه لأُبي بن كعب حين رآه يمشي وخلفه قوم، فعلاه بالدرة، وقال: إن هذه مذلة للتابع وفتنة للمتبوع، ولم يطعن أُبي بذلك على عمر، بل رآه أدباً منه نفعه الله به.

ولم يزل دأب الخلفاء والأمراء تأديب من رأوا منه الخلاف، على أنه قد روي أن عثمان اعتذر لابن مسعود وأختاه في منزله، حين بلغه مرضه وسأله أن يستغفر له، وقال: يا أبا عبد الرحمن هذا عطاؤك فخذه.

فقال له ابن مسعود: وما أتيتني به إذ كان ينفعني، وجئتني به عند الموت لا أقبله.

فمضى عثمان إلى أم حبيبة، وسألها أن تطلب إلى ابن مسعود ليرضى عنه، فكلمته أم حبيبة، ثم أتاه عثمان، فقال له: يا أبا عبد الله، ألا تقول كما قال

يوسف لإخوته: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[1]؟

فلم يكلمه ابن مسعود.

وإذا ثبت هذا، فقد فعل عثمان ما هو الممكن في حقه واللائق بمنصبه أولاً وآخراً، ولو فرض خطؤه فقد أظهر التوبة والتمس الاستغفار، واعتذر بالذنب لمن لم يقبله حينئذ، فإن الله أخبر أنه: ﴿ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾[2]، وفي ذلك حثهم على الاقتداء به، على أنه قد نقل أن ابن مسعود رضي عنه واستغفر له.

قال سلمة بن سعيد: دخلت على ابن مسعود في مرضه الذي توفي فيه، وعنده قوم يذكرون عثمان، فقال لهم: مهلاً؛ فإنكم إن قتلتموه لا تصيبون مثله.

وأما عزله عن الكوفة وإشخاصه إلى المدينة، وهجره له وجفاؤه إياه، فلم تزل هذه شيمة الخلفاء قبله وبعده على ما تقدم تقريره، وليس هجره إياه بأعظم من هجر علي أخاه عَقيل بن أبي طالب وأبا أيوب الأنصاري حين فارقاه بعد انصرافه من صفين وذهبا إلى معاوية، ولم يوجب ذلك

١- [يوسف: ٩٢].

٢- [التوبة: ١٠٤].

طعناً عليه ولا عيباً فيه.

وقد روي أن أعرابياً من همدان دخل المسجد فرأى ابن مسعود وحذيفة وأبا موسى الأشعري يذكرون عثمان طاعنين عليه، فقال لهم: أنشدكم الله، لو أن عثمان ردكم إلى أعمالكم، ورد إليكم عطاياكم أكنتم ترضون؟

قالوا: اللهم نعم.

فقال الهمداني: اتقوا الله يا أصحاب محمد، ولا تطعنوا على أئمتكم.

وفي هذا بيان أن من طعن على عثمان، إنما كان لعزله إياه، وتوليته غيره، وقطع عطائه، وذلك سائغ للإمام إذا أدى اجتهاده إليه.

وأما الحادية عشرة- وهي قولهم : إن عبد الرحمن ندم على تولية عثمان :

فكذبٌ صريحٌ، ولو كان كذلك لصرح بخلعه إذ لا مانع له، فإن أعيان الصحابة على زعمهم منكرون عليه ناقمون أحداثه، والناس تبع لهم، فلا مانع لهم من خلعه، وكيف يصح ما وصفوا به كل واحد منهما في حق الآخر، وقد آخى رسول الله ﷺ بينهما؟

فثبت لكل واحد منهما على الآخر حق الإخوة والاشتراك في صحبة

النبوة، وشهادة النبي ﷺ لكل واحد منهما بالجنة، وترك التنزيل مخبراً بالرضا عنهم، وتوفي ﷺ وهو عليهما راض.

ويبعد مع كل هذا صدور ما ذكروه عن كل واحد منهما، وإنما الذي صح في قصته أن عثمان استوحش منه، فإن عبد الرحمن كان يبسط عليه في القول لا يبالي بما يقول له.

وروي أنه قال له: إني أخاف يا ابن عوف أن تبسط من دمي.

وأما الثانية عشرة- وهي ضرب عمار:

فسياق هذه القصة لا يصح على النحو الذي رووه[1]، بل الصحيح منها أن غلمانه ضربوا عماراً، وقد حلف أنه لم يكن على أمره؛ لأنهم عاتبوه في ذلك فاعتذر إليهم بأن قال: جاء هو وسعد إلى المسجد، وأرسلا إلي أن ائتنا؛ فإنا نريد أن نذاكرك أشياء فعلناها.

فأرسلت إليهما أني عنكما اليوم مشغول، فانصرفا وموعدكما يوم كذا وكذا.

فانصرف سعد وأبى هو أن ينصرف، فأعدت إليه الرسول فأبى، ثم

---

١ - قال أبو نعيم الأصبهاني في «الإمامة» (ص/ ٣١٥): «إذا طعن وقال، ضرب عماراً.
قيل له: هذا غير ثابت عنه، ولو ثبت ذلك فللأئمة أن يؤدبوا رعيتهم إذا رأى واجباً لهم».

أعدته إليه فأبى، فتناوله رسولي بغير أمري، والله ما أمرته ولا رضيت بضربه؛ وهذه يدي لعمار فليقتص مني إن شاء، وهذا من أبلغ ما يكون من الإنصاف.

ومما يؤيد ذلك، ويُوِّهي ما رووه: ما روى أبو الزناد عن أبي هريرة أن عثمان لما حوصر ومنع الماء، قال لهم عمار: سبحان الله! قد اشترى بئر رومة وتمنعوه ماءها! خلوا سبيل الماء، ثم جاء إلى علي وسأله إنفاذ الماء إليه، فأمر براوية ماء، وهذا يدل على رضائه عنه.

وقد روي أنه رضي الله عنه لما أنصفه بحسن الاعتذار، فما بال أهل البدعة لا يرضون! وما مثله فيه إلا كما يقال: رضي الخصمان، ولم يرض القاضي.

وأما الثالثة عشرة- وهي قولهم: إنه انتهك حرمة كعب:

فيقال لهم: ما أنصفتم إذ ذكرتم بعض القصة وتركتم تمامها!

وذلك أن عثمان استدرك ذلك بما أرضاه فكتب إلى سعيد بن العاص أن ابعثه إلي مكرماً؛ فبعث إليه فلما دخل عليه، قال له: يا كعب، إنك كتبت إلي كتاباً غليظاً، ولو كتبت ببعض اللين لقبلت مشورتك، ولكنك حددتني وأغضبتني حتى نلت منك ما نلت.

ثم نزع قميصه، ودعا بسوط، فدفعه إليه، ثم قال: قم فاقتص مني ما ضربته.

فقال كعب: أما إذا فعلتَ ذلك فأنا أدعه لله تعالى، ولا أكون أول من اقتص من الأئمة؛ ثم صار بعد ذلك من خاصة عثمان، وعذره في مبادرته الأمر بضربه ونفيه، وذلك سبيل أولي الأمر في تأديب من رأوا خروجه على إمامه.

وأما الرابعة عشرة- وهي قضية الأشتر النخعي:

فنقول: ظُلمة البدعة والحمية الناشئة عن محض العصبية دون رؤية الحق، وهل آثار الفتنة في هذه إلا فعل الأشتر بالكوفة من هتك حرمة السلطان، وتسليط العامة على ضرب عامله، فلا يعتذر عن عثمان في الأمر بنفيه؟!

بل ذلك أقل ما يستوجبه، ثم لم يمنعه ذلك حتى سار من الشام إلى الكوفة، وأضرم نار الفتنة على ما تقدم تقريره، ثم لم يتمكن عثمان معهم من شيء إلا سلوك سبيل السياسة وإجابتهم إلى ما أرادوا، فولى عليهم أبا موسى وبعث حذيفة بن اليمان على خراجهم.

ثم لم يلبث ذلك حتى خرج إليه الأشتر مع رعاع الكوفة فانضم إليه غاغة أهل مصر وساروا إلى عثمان فقتلوه، وباشر الأشتر قتله على ما تقدم في بعض الروايات، وصار قتله سبباً للفتنة إلى أن تقوم الساعة، فعميت أبصارهم وبصائرهم عن ذم الأشتر وأنصاره وتعرضوا لذم من شهد لسان النبوة أنه على الحق، وأمر بالكون معه، وأخبر بأنه يقتل مظلوماً[1]؛ يشهد لذلك الحديث الصحيح على ما تقدم في أول فصل مقتله، وسنعيد طرفا منه إن شاء الله تعالى.

الخامسة عشرة- وهي إحراق مصحف ابن مسعود:

فليس ذلك إلا دواء لفتنة كبيرة في الدين؛ لكثرة ما فيه من الشذوذ المنكر عند أهل العلم بالقرآن، وبحذفه المعوذتين من مصحفه مع الشهرة عند الصحابة أنهما في القرآن.

وقال عثمان لما عوتب في ذلك: خشيت الفتنة في القرآن.

وكان الاختلاف بينهم واقعاً، حتى كان الرجل يقول لصاحبه: قرآني

١- أخرج الإمام أحمد (٢/ ١١٥)، والترمذي (رقم/ ٣٧٠٨) عن ابن عمر قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فمر رجل، فقال: «يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوماً»، قال: فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه. وحسنه الترمذي، وصححه ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ٣٨).

خير من قرآنك!

فقال له حذيفة: أدرك الناس، فجمع الناس على مصحف عثمان.

ثم يقال لأهل البدع والأهواء: إن لم يكن مصحف عثمان حقاً فلم رضي علي وأهل الشام بالتحكيم إليه حين رفع أهل الشام المصاحف؛ فكانت مكتوبة على نسخة مصحف عثمان؟!

وأما السادسة عشرة- وهي ترك إقامة حدود الله تعالى في عبيد الله بن عمر:

فنقول: أما ابنة أبي لؤلؤة فلا قود فيها؛ لأنها ابنة مجوسي صغيرة تابعة له؛ وكذلك جفينة؛ فإنه نصراني من أهل الحيرة.

وأما الهرمزان فعنه جوابان:

الأول: أنه شارك أبا لؤلؤة في ذلك ومالأه، وإن كان المباشر أبو لؤلؤة وحده، ولكن المعين على قتل الإمام العادل يباح قتله عند جماعة من الأئمة، وقد أوجب كثير من الفقهاء القود على الآمر والمأمور.

وبهذا اعتذر عبيد الله بن عمر، وقال: إن عبد الرحمن بن أبي بكر أخبره أنه رأى أبا لؤلؤة والهرمزان وجُفينة يدخلون في مكان يتشاورون، وبينهم

خنجر له رأسان مقبضه في وسطه، فقتل عمر في صبيحة تلك الليلة، فاستدعى عثمان عبد الرحمن، فسأله عن ذلك، فقال: انظروا إلى السكين، فإن كانت ذات طرفين فلا أرى القوم إلا وقد اجتمعوا على قتله.

فنظروا إليها فوجدوها كما وصف عبد الرحمن؛ فلذلك ترك عثمان قتل عبيد الله بن عمر، لرؤيته عدم وجوب القود لذلك أو لتردده فيه، فلم ير الوجوب بالشك.

والجواب الثاني: أن عثمان خاف من قتله ثوران فتنة عظيمة؛ لأنه كان بنو تميم وبنو عدي مانعين من قتله ودافعين عنه، وكان بنو أمية أيضاً جانحين إليه، حتى قال له عمرو بن العاص: قتل أمير المؤمنين عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم؟! لا والله لا يكون هذا أبداً، ومال في بني جمح.

فلما رأى عثمان ذلك اغتنم تسكين الفتنة، وقال: أمره إلي وسأرضي أهل الهرمزان عنه.

وأما السابعة عشرة- وهي إتمام الصلاة بمنى:

فعذره في ذلك ظاهر، فإنه ممن لم يوجب القصر في السفر، وإنما كان يتجه كما رآه فقهاء المدينة ومالك والشافعي وغيرهما، وإنما أوجبه فقهاء

الكوفة، ثم إنها مسألة اجتهادية؛ ولذلك اختلف فيها العلماء، فقوله فيها لا يوجب تكفيراً ولا تفسيقاً.

وأما الثامنة عشرة- وهي انفراده بالأقوال الشاذة :

فلم يزل أصحاب رسول الله ﷺ على نحو من ذلك، ينفرد الواحد منهم بالقول ويخالفه فيه الباقون؛ وهذا علي بن أبي طالب في مسألة بيع أم الولد على مثل ذلك.

وفي الفرائض عدة مسائل على هذا النحو لكثير من الصحابة.

وأما التاسعة عشرة- وهي قولهم : إنه كان غادراً إلى آخر ما قرروه :

فنقول: أما الكتاب الذي كان إلى عامله بمصر فلم يكن من عنده، وقد حلف على ذلك لهم، وقد تقدم ذكر ذلك في فصل مقتله مستوفياً، وذكرنا من المتهم بالتزوير عليه؛ وقد تحققوا ذلك، وإنما غلب الهوى -أعاذنا الله منه- على العقول حتى ضلت في قتله رضي الله عنه[1].

١- انظر مزيداً من كلام أهل العلم عن تزوير هذا الكتاب: «تاريخ الطبري» (٤/ ٣٥١)، و«منهاج السنة» (٥/ ٢٤٤- ٢٤٥)، وحاشية «العواصم من القواصم» (ص/ ١٢٦- ١٢٧).

فهذا تمام القول في الاعتذار عن تلك القضايا التي نقموها على عثمان، وأحسن ما يقال في الجواب عن جميع ما ذكر دعاة أهل البدع: إن النبي ﷺ قد أخبر عن وقوع فتنة عثمان، وأخبر أنه على الحق على ما تضمنه حديث كعب بن عجرة في فصل فضائله في ذكر شهادة النبي ﷺ أنه على الحق.

وفي رواية: أنه على الهدى.

خرجه أحمد[١]، والترمذي[٢]، وقال: حسن صحيح.

وأخبر أنه يقتل ظلماً على ما تضمنه حديث ابن عمر في فصل مقتله من حديث الترمذي[٣]، والبغوي.

وأمر ﷺ باتباعه عند ثوران الفتنة على ما تضمنه حديث مرة بن كعب من حديث أبي حاتم، وأحمد؛ وتقدم في ذكره في فصل فضائله، ومن شهد له النبي ﷺ أنه على الحق، وأنه يقتل ظلماً، وأمر باتباعه كيف يتطرق إلى الوهم أنه على باطل؟!

١- (٤/ ٢٣٦).

٢- (رقم/ ٣٧٠٤).

٣- (رقم/ ٣٧٠٨)، وحسنه.

ثم ورد في الحديث الصحيح[1] أن النبي ﷺ أخبره أن الله يقمصه بقميص وأن المنافقين يريدونه على خلعه؛ وأمره أن لا يخلعه، وأكد عليه الأمر بأن لا يخلعه، وفي بعض الطرق أنه توعده على خلعه وأمره بالصبر -على ما تقدم تقريره في خصائصه- فامتثل أمره وصبر على ما ابتلي به.

وهذا من أدل دليل على أنه كان على الحق؛ وماذا بعد الحق إلا الضلال؟!

فمن خالفه يكون على الباطل.

كيف لا؟! وقد وصف ﷺ الذين أرادوا خلعه بالنفاق، فعلم بالضرورة أن كل ما ورد عنه مما يوجب الطعن عليه دائر بين مفتر عليه ومختلق، وبين محمول على تقدير صحته على أحسن التأويلات ليكون معه على الحق تصديقاً لخبر النبوة المقطوع بصدقه.

هذا ما علم من سابقته، وكثرة إنفاقه في سبيل الله، وشرف منزله

١- أخرج الترمذي (رقم/ ٣٧٠٥) عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «يا عثمان إنه لعل الله يقمصك قميصاً، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم».

وقال: وفي الحديث قصة طويلة، هذا حديث حسن غريب.

وأخرجه الإمام أحمد (٦/ ٨٦) مطولاً بالقصة المقصودة.

بالصهارة الثابتة له في ابنتي رسول الله ﷺ، وعظم مكانته في الدين، والصفات الجميلة، والمآثر الحميدة على ما تضمنه فصل مناقبه.

فكيف يتوهم فيه شيء مما ادعاه أهل الأهواء والبدع؟!

وأما كلفه بأقاربه وصلته إياهم وحبه الخير لهم فتلك صفة جبلة لم يودعها الله عز وجل إلا في خيار خلقه، وقد كان ﷺ على مثل ذلك في بني هاشم على ما سنبينه في مناقب بني هاشم وقريش إن شاء الله تعالى، وذلك محمود فيما لم يؤد إلى معصية، ولم يتحقق في شيء مما أتاه عثمان معصية، بل له من المحامل الجلية الطاهرة ما يمنع من اعتقاد الحرمة بل الكراهة.

غاية ما في الباب أنه ترك الأولى وما هو الأفضل اللائق به مما كان عليه الشيخان، ولعله اعتقد أنه ما لا يشبه الأفضل في زمانه وعصره فلكل عصر حكم.

وعلى الجملة فالذي يجب اعتقاده، ولا يحل خلافه أن شيئاً مما يسنه عثمان لم يخرج فيه عن الحق، ولا عن الهدى تصديقاً لشهادة المصطفى ﷺ، وإن كان في شيء من ذلك له هوى فهو هوى بهدى من الله عز وجل، وقد وسع الله تعالى في ذلك، فشهده قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ

﴿بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾[1]، فدل على أن ثم هوى بهدى من الله، وهوى عثمان منه بدليل شهادة النبي ﷺ بأنه على الهدى، وأنه على الحق، وأنه مظلوم، وأمر باتباعه على ما قررناه، والله أعلم[2].

كذلك مما انتقده الخارجون على عثمان : غيابه عن بدر، وفراره في أحد، وغيابه عن بيعة الرضوان.

وقد رد على ذلك عبد الله بن عمر رضي الله عنه، فعن عثمان بن موهب، قال: جاء رجل من أهل مصر حج البيت، فرأى قوماً جلوساً، فقال: من هؤلاء القوم؟

فقالوا: هؤلاء قريش.

قال: فمن الشيخ فيهم؟

قالوا: عبد الله بن عمر.

قال: يا ابن عمر، إني سائلك عن شيء فحدثني، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟

١- [القصص: ٥٠].

٢- «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣/ ٨٢- ١٠٣).

قال: نعم.

قال: تعلم أنه تغيب عن بدر، ولم يشهد؟

قال: نعم.

قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان، فلم يشهدها؟

قال: نعم.

قال: الله أكبر!

قال ابن عمر: تعال أبين لك، أما فراره يوم أحد: فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له.

وأما تغيبه عن بدر: فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ، وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: «**إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً، وسهمه**».

وأما تغيبه عن بيعة الرضوان: فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «**هذه يد عثمان**»، فضرب بها على يده، فقال: «**هذه لعثمان**»، فقال له ابن عمر اذهب بها

الآن معك[١].

وبهذا يظهر أن هذه الأمور لا تعاب أبداً على عثمان ﷺ، فأما غيابه عن بدر فقد كان له في ذلك عذر، وهو مرض زوجته بنت رسول الله ﷺ، وإن شئنا أن نتحدث عن غيابه عن بدر فالأولى أن نعدها في مناقبه، فإن النبي ﷺ جعل له مثل ما لمن حضر بدراً، ولهذا عده الزهري وعروة بن الزبير وموسى بن عقبة وابن إسحاق وغيرهم فيمن شهد بدراً[٢].

ثم إن الغياب عن غزوة بدر لا يعاب على أحد من الصحابة، لا عثمان ولا غيره، لأن النفير في غزوة بدر - كما هو معلوم - لم يكن عاماً، وإنما لمن كان ظهره حاضراً لشدة استعجال النبي.

والتخلف عن غزوات النبي ﷺ بشكل عام لعذر لا يوقع حرجاً على صاحبه، كما قال سبحانه: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ

١- تقدم تخريجه.

٢- انظر: «تاريخ دمشق» (٣٩/ ١٣، ٣٣- ٣٥).

﴿تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾[1].

قال أبو نعيم: وإن طعن عليه بتغيبه عن بدر، وعن بيعة الرضوان.

قيل له: الغيبة التي يستحق بها العيب هو أن يقصد مخالفة الرسول ﷺ؛ لأن الفضل الذي حازه أهل بدر في شهود بدر طاعة الرسول ﷺ ومتابعته، ولولا طاعة الرسول ومتابعته لكان كل من شهد بدراً من الكفار كان لهم الفضل والشرف، وإنما الطاعة التي بلغت بهم الفضيلة، وهو كان رضي الله عنه خرج فيمن خرج معه فرده الرسول ﷺ للقيام على ابنته، فكان في أجل فرض لطاعته لرسول الله ﷺ وتخليفه، وقد ضرب له بسهمه وأجره، فشاركهم في الغنيمة والفضل، والأجر لطاعته الله ورسوله، وانقياده لهما[2].

وأما فرار عثمان يوم أحد: فقد ذكر الله عز وجل خبر هؤلاء الذين فروا، وقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[3].

١- [التوبة: ٩١- ٩٢].

٢- «الإمامة لأبي نعيم» (ص/ ٣٠١- ٣٠٢).

٣- [آل عمران: ١٥٥].

فكيف لقوم عفا الله عنهم وغفر لهم أن نعيب نحن عليهم، ثم إن فراره يوم أحد لا يحل قتله، ولو استحق ذلك لما ترك رسول الله ﷺ معاقبته، ولما بايعه الصحابة جميعاً بالخلافة.

وأما غيابه عن بيعة الرضوان: فقد كان بأمر من النبي ﷺ الذي أرسله إلى أهل مكة ليفاوضهم، ونظراً لاحتمال عدم صدق الخبر بايع النبي ﷺ بيده على اليد الأخرى عن عثمان رضي الله عنه.

فليس في غياب عثمان عن بيعة الرضوان منقصة له، بل فيه عدة مناقب، فالنبي ﷺ اختاره لأداء تلك المهمة، وهو مع ذلك من أهل بيعة الرضوان؛ لأن النبي بايع له، وقد امتاز عن باقي أصحاب الشجرة ببيعة النبي له بيده، إنما عقدت البيعة في الأساس من أجل عثمان.

قال أبو نعيم: وأما بيعة الرضوان: فلأجل عثمان رضي الله عنه وقعت هذه المبايعة وذلك أن النبي ﷺ بعثه رسولاً إلى أهل مكة لما اختص به من السؤدد والدين ووفور العشيرة وأخبر الرسول ﷺ بقتله، فبايع رسول الله ﷺ، والمسلمون له على الموت ليوافوا أهل مكة[1].

هذا مجمل ما انتقده الخارجون على عثمان والرد عليه، وسيأتي كذلك في أحداث الفتنة: رد عثمان على شبهات المتمردين.

---

١ - «الإمامة لأبي نعيم» (ص/ ٣٠٤).

المبحث الثالث

أحداث مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه

بداية الفتنة من الكوفة، ونفي المرجفين إلى الشام

في سنة اثنتين وثلاثين كانت بداية الفتنة من الكوفة.

قال محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم: كان سعيد بن العاص لا يغشاه إلا نازلة أهل الكوفة ووجوه أهل الأيام وأهل القادسية وقراء أهل البصرة والمُتَسَمِّتون، وكان هؤلاء دخلته إذا خلا، فأما إذا جلس الناس فإنه يدخل عليه كل أحد، فجلس الناس يوماً، فدخلوا عليه، فبينا هم جلوس يتحدثون، قال خُنيس بن فلان: ما أجود طلحة بن عبيد الله!

فقال سعيد بن العاص: إن من له مثل النَّشَاسْتَج لحقيق أن يكون جواداً، والله لو أن لي مثله لأعاشكم الله عيشاً رغداً.

فقال عبد الرحمن بن خُنيس -وهو حدث-: والله لوددت أن هذا الملطاط لك -يعني: ما كان لآل كسرى على جانب الفرات الذي يلي الكوفة-.

قالوا: فض الله فاك! والله لقد هممنا بك.

فقال خنيس: غلام فلا تجازوه.

فقالوا: يتمنى له من سوادنا.

قال: ويتمنى لكم أضعافه.

قالوا: لا يتمنى لنا، ولا له.

قال: ما هذا بكم؟

قالوا: أنت والله أمرته بها.

فثار إليه الأشتر وابن ذي الحبكة وجندب وصعصعة وابن الكواء وكميل بن زياد وعمير بن ضابئ، فأخذوه، فذهب أبوه ليمنع منه، فضربوهما حتى غشي عليهما، وجعل سعيد يناشدهم ويأبون، حتى قضوا منهما وطراً.

فسمعت بذلك بنو أسد، فجاؤوا فيهم طليحة، فأحاطوا بالقصر وركبت القبائل، فعاذوا بسعيد، وقالوا: أفلتنا وخلصنا.

فخرج سعيد إلى الناس، فقال: أيها الناس قوم تنازعوا وتهاووا، وقد رزق الله العافية، ثم قعدوا وعادوا في حديثهم وتراجعوا فساءهم وردهم وأفاق الرجلان، فقال: أبكما حياة؟

قالا: قتلتنا غاشيتك.

قال: لا يغشوني والله أبداً، فاحفظا علي ألسنتكما، ولا تجرئا علي الناس، ففعلا ولما انقطع رجاء أولئك النفر من ذلك قعدوا في بيوتهم وأقبلوا على الإذاعة حتى لامه أهل الكوفة في أمرهم، فقال: هذا أميركم، وقد نهاني أن أحرك شيئاً، فمن أراد منكم أن يحرك شيئاً فليحركه.

فكتب أشراف أهل الكوفة وصلحاؤهم إلى عثمان في إخراجهم، فكتب: إذا اجتمع ملؤكم على ذلك فألحقوهم بمعاوية، فأخرجوهم فذلوا وانقادوا، حتى أتوه وهم بضعة عشر.

فكتبوا بذلك إلى عثمان، وكتب عثمان إلى معاوية: إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرا خلقوا للفتنة، فرعهم وقم عليهم، فإن آنست منهم رشداً فاقبل منهم، وإن أعيوك فارددهم عليهم.

فلما قدموا على معاوية رحب بهم، وأنزلهم كنيسة تسمى مريم، وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يجري عليهم بالعراق، وجعل لا يزال يتغذى ويتعشى معهم، فقال لهم يوماً: إنكم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة، وقد أدركتم بالإسلام شرفاً، وغلبتم الأمم وحويتم مراتبهم ومواريثهم، وقد بلغني أنكم نقمتم قريشاً، وإن قريشاً لو لم تكن، عدتم أذلة كما كنتم،

إن أئمتكم لكم إلى اليوم جُنَّة، فلا تشذوا عن جُنَّتكم، وإن أئمتكم اليوم يصبرون لكم على الجور ويحتملون منكم المؤونة، والله لتنتهن أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم، ثم لا يحمدكم على الصبر، ثم تكونون شركاء لهم فيما جررتم على الرعية في حياتكم وبعد موتكم.

فقال رجل من القوم: أما ما ذكرت من قريش، فإنها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا، وأما ما ذكرت من الجُنَّة، فإن الجُنَّة إذا اخترقت خلص إلينا.

فقال معاوية: عرفتكم الآن، علمت أن الذي أغراكم على هذا قلة العقول، وأنت خطيب القوم، ولا أرى لك عقلاً، أُعظم عليك أمر الإسلام، وأذكرك به، وتذكرني الجاهلية، وقد وعظتك، وتزعم لما يجنك أنه يخترق، ولا ينسب ما يخترق إلى الجنة، أخزى الله أقواماً أعظموا أمركم، ورفعوا إلى خليفتكم! افقهوا -ولا أظنكم تفقهون- أن قريشاً لم تعز في جاهلية ولا إسلام إلا بالله عز و جل، لم تكن بأكثر العرب ولا أشدهم، ولكنهم كانوا أكرمهم أحساباً وأمحضهم أنساباً وأعظمهم أخطاراً وأكملهم مروءة، ولم يمتنعوا في الجاهلية، والناس يأكل بعضهم بعضاً إلا بالله، الذي لا يستذل من أعز، ولا يوضع من رفع، فبوأهم حرماً آمنا

يتخطف الناس من حولهم!

هل تعرفون عرباً أو عجماً أو سوداً أو حمراً إلا قد أصابه الدهر في بلده وحرمته بدولة إلا ما كان من قريش؟ فإنه لم يردهم أحد من الناس بكيد إلا جعل الله خده الأسفل حتى أراد الله أن يتنقذ من أكرم، واتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة فارتضى لذلك خير خلقه، ثم ارتضى له أصحاباً، فكان خيارهم قريشاً، ثم بنى هذا الملك عليهم، وجعل هذه الخلافة عليهم، ولا يصلح ذلك إلا عليهم، فكان الله يحوطهم في الجاهلية، وهم على كفرهم بالله، أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه وقد حاطهم في الجاهلية من الملوك الذين كانوا يدينونكم! أف لك ولأصحابك! ولو أن متكلماً غيرك تكلم، ولكنك ابتدأت.

فأما أنت يا صعصعة فإن قريتك شر قرى عربية، أنتنها نبتاً وأعمقها وادياً، وأعرفها بالشر وألأمها جيراناً، لم يسكنها شريف قط، ولا وضيع إلا سب بها، وكانت عليه هجنة، ثم كانوا أقبح العرب ألقاباً، وألأمه أصهاراً، نزاع الأمم، وأنتم جيران الخط، وفعلة فارس، حتى أصابتكم دعوة النبي ﷺ، ونكبتك دعوته، وأنت نزيع شطير في عمان، لم تسكن البحرين، فتشركهم في دعوة النبي ﷺ، فأنت شر قومك، حتى إذا أبرزك الإسلام، وخلطك بالناس وحملك على الأمم التي كانت عليك، أقبلت

تبغي دين الله عوجاً، وتنزع إلى اللآمة والذلة، ولا يضع ذلك قريشاً، ولن يضرهم ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم؛ إن الشيطان عنكم غير غافل، قد عرفكم بالشر من بين أمتكم، فأغرى بكم الناس، وهو صارعكم، لقد علم أنه لا يستطيع أن يرد بكم قضاء قضاه الله، ولا أمراً أراده الله، ولا تدركون بالشر أمراً أبداً، إلا فتح الله عليكم شراً منه وأخزى.

ثم قام وتركهم فتذامروا، فتقاصرت إليهم أنفسهم، فلما كان بعد ذلك أتاهم، فقال: إني قد أذنت لكم، فاذهبوا حيث شئتم، لا والله لا ينفع بكم أحداً ولا يضره، ولا أنتم برجال منفعة ولا مضرة، ولكنكم رجال نكير. وبعد، فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم، وليسعكم ما وسع الدهماء، ولا يبطرنكم الإنعام؛ فإن البطر لا يعتري الخيار، اذهبوا حيث شئتم، فإني كاتب إلى أمير المؤمنين فيكم.

فلما خرجوا دعاهم، فقال: إني معيد عليكم، إن رسول الله ﷺ كان معصوماً فولاني وأدخلني في أمره، ثم استخلف أبو بكر رضي الله عنه فولاني، ثم استخلف عمر فولاني، ثم استخلف عثمان فولاني، فلم أل لأحد منهم، ولم يولني إلا وهو راض عني، وإنما طلب رسول الله ﷺ للأعمال أهل الجزاء عن المسلمين والغناء، ولم يطلب لها أهل الاجتهاد والجهل بها والضعف عنها، وإن الله ذو سطوات ونقمات، يمكر بمن مكر به، فلا تعرضوا لأمر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون؛ فإن الله غير تارككم حتى

يختبركم، ويبدي للناس سرائركم، وقد قال عز وجل: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[١].

وكتب معاوية إلى عثمان: إنه قدم علي أقوام ليست لهم عقول، ولا أديان، أثقلهم الإسلام، وأضجرهم العدل، لا يريدون الله بشيء، ولا يتكلمون بحجة، إنما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة، والله مبتليهم ومختبرهم، ثم فاضحهم ومخزيهم، وليسوا بالذين ينكون أحداً إلا مع غيرهم؛ فانهَ سعيداً ومن قبله عنهم؛ فإنهم ليسوا الأكثر من شغب أو نكير.

وخرج القوم من دمشق، فقالوا: لا ترجعوا إلى الكوفة؛ فإنهم يشمتون بكم، وميلوا بنا إلى الجزيرة، ودعوا العراق والشام، فأووا إلى الجزيرة، وسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد -وكان معاوية قد ولاه حمص وولى عامل الجزيرة حران والرقة- فدعا بهم، فقال: يا آلة الشيطان، لا مرحباً بكم، ولا أهلاً، قد رجع الشيطان محسوراً، وأنتم بعد نشاط، خسر الله عبد الرحمن إن لم يؤدبكم حتى يحسركم، يا معشر من لا أدري أعرب أم عجم، لكي لا تقولوا لي ما يبلغني أنكم تقولون لمعاوية، أنا ابن خالد بن الوليد، أنا ابن من قد عجمته العاجمات، أنا ابن فاقئ الردة، والله لئن بلغني يا صعصعة ابن ذل أن أحداً ممن معي دق أنفك ثم أمصك لأطيرن بك طيرة بعيدة المهوى، فأقامهم أشهراً، كلما ركب أمشاهم، فإذا مر به

١- [العنكبوت: ١- ٢].

صعصعة، قال: يا ابن الحُطَيئة أعلمتَ أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر! مالك لا تقول كما كان يبلغني أنك تقول لسعيد ومعاوية!

فيقول ويقولون: نتوب إلى الله، أَقِلْنَا، أقالك الله.

فما زالوا به، حتى قال: تاب الله عليكم، وسرح الأشتر إلى عثمان، وقال لهم: ما شئتم، إن شئتم فاخرجوا، وإن شئتم فأقيموا، وخرج الأشتر فأتى عثمان بالتوبة والندم والنزوع عنه وعن أصحابه، فقال: سلمكم الله.

وقدم سعيد بن العاص، فقال عثمان للأشتر: احلل حيث شئت.

فقال: مع عبد الرحمن بن خالد، وذكر من فضله.

فقال: ذاك إليكم، فرجع إلى عبد الرحمن[١].

قال ابن سعد: كان الذي صنع أهل الكوفة بسعيد بن العاص أول وهن دخل على عثمان حين اجترئ عليه[٢].

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد وطلحة، وأخرجه الطبري (٤/ ٣١٧- ٣٢٢) من طريق سيف به.

وقال صاحب «صحيح تاريخ الطبري» (٣/ ٣٢٣): «لم نجد رواية مسندة تؤيد رواية الطبري»، وأقر ما استنتجه الدكتور خالد الغيث صاحب كتاب «استشهاد عثمان وموقعة الجمل» من إجماع المصادر على هذه الرواية.

٢- «الطبقات الكبرى» (٥/ ٣٤).

اجتماع المنحرفين على عزل عثمان بن عفان رضي الله عنه

في سنة أربع وثلاثين تكاتب المنحرفون عن عثمان بن عفان للاجتماع لمناظرته فيما كانوا يذكرون أنهم نقموا عليه.

قال العلاء بن عبد الله بن زيد العنبري: اجتمع ناس من المسلمين، فتذاكروا أعمال عثمان وما صنع، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا إليه رجلاً يكلمه، ويخبره بأحداثه، فأرسلوا إليه عامر بن عبد الله التميمي ثم العنبري -وهو الذي يدعى عامر بن عبد قيس- فأتاه، فدخل عليه، فقال له: إن ناساً من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك، فوجدوك قد ركبت أموراً عظاماً، فاتق الله عز وجل وتب إليه، وانزع عنها.

قال له عثمان: انظر إلى هذا، فإن الناس يزعمون أنه قارئ، ثم هو يجيء فيكلمني في المحقرات، فو الله ما يدري أين الله!

قال عامر: أنا لا أدري أين الله!

قال: نعم، والله ما تدرى أين الله.

قال عامر: بلى والله إني لأدري أن الله بالمرصاد لك.

فأرسل عثمان إلى معاوية بن أبي سفيان، وإلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وإلى سعيد بن العاص، وإلى عمرو بن العاص بن وائل السهمي، وإلى عبد الله بن عامر، فجمعهم ليشاورهم في أمره وما طلب إليه، وما بلغه عنهم، فلما اجتمعوا عنده، قال لهم: إن لكل امرئ وزراء ونصحاء، وإنكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي، وقد صنع الناس ما قد رأيتم، وطلبوا إلي أن أعزل عمالي، وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبون، فاجتهدوا رأيكم، وأشيروا علي.

فقال له عبد الله بن عامر: رأيي لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك، وأن تجمرهم في المغازي حتى يذلوا لك فلا يكون همة أحدهم إلا نفسه، وما هو فيه من دبرة دابته، وقمل فروه.

ثم أقبل عثمان على سعيد بن العاص، فقال له: ما رأيك؟

قال: يا أمير المؤمنين، إن كنت ترى رأينا فاحسم عنك الداء، واقطع عنك الذي تخاف، واعمل برأيي تصب.

قال: وما هو؟

قال: إن لكل قوم قادة متى تهلك يتفرقوا، ولا يجتمع لهم أمر.

فقال عثمان: إن هذا الرأي لو لا ما فيه.

ثم أقبل معاوية، فقال: ما رأيك؟

قال: أرى لك يا أمير المؤمنين أن ترد عمالك على الكفاية لما قبلهم، وأنا ضامن لك قبلي.

ثم أقبل على عبد الله بن سعد، فقال: ما رأيك؟

قال: أرى يا أمير المؤمنين أن الناس أهل طمع، فأعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم.

ثم أقبل على عمرو بن العاص، فقال له: ما رأيك؟

قال: أرى أنك قد ركبت الناس بما يكرهون، فاعتزم أن تعتدل، فإن أبيت فاعتزم أن تعتزل، فإن أبيت فاعتزم عزماً، وامض قدماً.

فقال عثمان: ما لك قَمِلَ فَرْوُكَ؟ أهذا الجَدُّ منك!

فأسكت عنه دهراً، حتى إذا تفرق القوم، قال عمرو: لا والله يا أمير المؤمنين، لأنت أعز علي من ذلك، ولكن قد علمت أن سيبلغ الناس قول كل رجل منا، فأردت أن يبلغهم قولي فيثقوا بي، فأقود إليك خيراً، أو

أدفع عنك شراً[١].

وقال أبو يحيى عمير بن سعد النخعي: كأني أنظر إلى الأشتر مالك بن الحارث النخعي على وجهه الغبار، وهو متقلد السيف، وهو يقول: والله لا يدخلها علينا ما حملنا سيوفنا -يعني سعيداً، وذلك يوم الجَرَعة، والجَرَعة مكان مشرف قرب القادسية- وهناك تلقاه أهل الكوفة[٢].

وعن أبي البَخْتري الطائي عن أبي ثور الحَدَائي- وحَدَاء حي من مراد- أنه قال: دفعت إلى حذيفة بن اليمان وأبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري وهما في مسجد الكوفة يوم الجرعة، حيث صنع الناس بسعيد بن العاص ما صنعوا، وأبو مسعود يعظم ذلك، ويقول: ما أرى أن ترد على عقبيها حتى يكون فيها دماء.

فقال حذيفة: والله لتردن على عقبيها، ولا يكون فيها محجمة من دم، وما أعلم منها اليوم شيئاً إلا وقد علمته ومحمد ﷺ حي، وإن الرجل

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٣٣٣- ٣٣٤) بإسناد ضعيف؛ لجهالة شيخه جعفر بن عبد الله المحمدي، وأخرج نحوه (٤/ ٣٤، ٣٣٥) عن نفس شيخه بإسناده عن عبد الملك بن عمير الزهري.

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٣٣٥) بإسناد ضعيف؛ لجهالة شيخه جعفر بن عبد الله المحمدي.

ليصبح على الإسلام ثم يمسي وما معه منه شيء، ثم يقاتل أهل القبلة ويقتله الله غداً، فينكص قلبه، فتعلوه استه.

فقلت لأبي ثور: فلعله قد كان؟

قال: لا والله ما كان، فلما رجع سعيد بن العاص إلى عثمان مطروداً، أرسل أبا موسى أميراً على الكوفة، فأقروه عليها[1].

وعن جندب قال: جئت يوم الجرعة، فإذا رجل جالس، فقلت: ليهراقن اليوم هاهنا دماء!

فقال ذاك الرجل: كلا، والله.

قلت: بلى، والله.

قال: كلا، والله.

قلت: بلى، والله.

قال: كلا، والله إنه لحديث رسول الله ﷺ حدثنيه.

قلت: بئس الجليس لي أنت منذ اليوم، تسمعني أخالفك وقد سمعته

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٣٣٥- ٣٣٦) بإسناد ضعيف؛ لجهالة شيخه جعفر بن عبد الله المحمدي.

من رسول الله ﷺ فلا تنهاني، ثم قلت: ما هذا الغضب؟ فأقبلت عليه وأسأله، فإذا الرجل حذيفة[١].

وقال محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم: لما استعوى يزيد بن قيس الناس على سعيد بن العاص، خرج منه ذكر لعثمان، فأقبل إليه القعقاع بن عمرو حتى أخذه، فقال: ما تريد؟ ألك علينا في أن نستعفي سبيل؟

قال: لا، فهل إلا ذلك؟

قال: لا.

قال: فاستعف.

واستجلب يزيد أصحابه من حيث كانوا، فردوا سعيداً، وطلبوا أبا موسى، فكتب إليهم عثمان:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فقد أَمَّرتُ عليكم من اخترتم، وأعفيتكم من سعيد، والله لأفرشنكم عرضي، ولأبذلن لكم صبري، ولأستصلحنكم بجهدي، فلا

١- أخرجه مسلم (رقم/ ٢٨٩٣).

تدعوا شيئاً أحببتموه لا يعصى الله فيه إلا سألتموه، ولا شيئاً كرهتموه لا يعصى الله فيه إلا استعفيتم منه، أنزل فيه عند ما أحببتم، حتى لا يكون لكم علي حجة.

وكتب بمثل ذلك في الأمصار، فقدمت إمارة أبي موسى، وغزو حذيفة، وتأمر أبو موسى، ورجع العمال إلى أعمالهم، ومضى حذيفة إلى الباب[1].

وقال عبد الله بن محمد عن أبيه: لما كانت سنة أربع وثلاثين كتب أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلى بعض: أن أقدموا، فإن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد.

وكثر الناس على عثمان، ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد، وأصحاب رسول الله ﷺ يرون ويسمعون، ليس فيهم أحد ينهى ولا يذب إلا نفير، منهم: زيد بن ثابت، وأبو أُسيد الساعدي، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت فاجتمع الناس، وكلموا علي بن أبي طالب.

فدخل على عثمان، فقال: الناس ورائي، وقد كلموني فيك، والله ما أدري ما أقول لك، وما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه،

---

١ - [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد وطلحة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٣٦) من طريق سيف به.

إنك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغكه، وما خصصنا بأمر دونك، وقد رأيتَ وسمعتَ، وصحبتَ رسول الله ﷺ، ونلتَ صهره، وما ابن أبي قحافة بأولى بعمل الحق منك، ولا ابن الخطاب بأولى شيء من الخير منك، وإنك أقرب إلى رسول الله ﷺ رحماً، ولقد نلتَ من صهر رسول الله ﷺ ما لم ينالا، ولا سبقاك إلى شيء.

فالله الله في نفسك، فإنك والله ما تبصر من عمى، ولا تعلم من جهل، وإن الطريق لواضح بين، وإن أعلام الدين لقائمة تعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل، هُدِي وهَدَى، فأقام سُنة معلومة، وأمات بدعة متروكة، فوالله إن كلاً لبين، وإن السنن لقائمة لها أعلام، وإن البدع لقائمة لها أعلام، وإن شر الناس عند الله إمام جائر، ضَلَّ وضُلَّ به، فأمات سنة معلومة، وأحيى بدعة متروكة.

وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر، وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقى في جهنم، فيدور في جهنم كما تدور الرحا، ثم يرتطم في غمرة جهنم»**(١).

وإني أحذرك الله، وأحذرك سطوته ونقماته، فإن عذابه شديد أليم،

١- لم أقف عليه مسنداً.

وأحذرك أن تكون إمام هذه الأمة المقتول، فإنه يقال: يقتل في هذه الأمة إمام، فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، وتلبس أمورها عليها، ويتركهم شيعاً، فلا يبصرون الحق لعلو الباطل، يموجون فيها موجاً، ويمرجون فيها مرجاً.

فقال عثمان: قد والله علمت، ليقولن الذي قلتَ، أما والله لو كنتَ مكاني ما عنفتك، ولا أسلمتك، ولا عبتُ عليك، ولا جئتُ منكراً إن وصلتُ رحماً، وسددتُ خلة، وآويتُ ضائعاً، ووليتُ شبيهاً بمن كان عمر يولي.

أنشدك الله يا علي، هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك!

قال: نعم.

قال: فتعلم أن عمر ولاه؟

قال: نعم.

قال: فلمَ تلومني أن وليتُ ابن عامر في رحمه وقرابته؟

قال علي: سأخبرك، إن عمر بن الخطاب كان كل من ولي، فإنما يطأ على صماخه، إن بلغه عنه حرف جلبه، ثم بلغ به أقصى الغاية، وأنت لا تفعل،

ضعفت ورفقت على أقربائك.

قال عثمان: هم أقرباؤك أيضاً.

فقال علي: لعمري إن رحمهم مني لقريبة، ولكن الفضل في غيرهم.

قال عثمان: هل تعلم أن عمر ولى معاوية خلافته كلها؟ فقد وليته.

فقال علي: أنشدك الله هل تعلم أن معاوية كان أخوف من عمر من يرفأ غلام عمر منه؟

قال: نعم.

قال علي: فإن معاوية يقتطع الأمور دونك وأنت تعلمها، فيقول للناس: هذا أمر عثمان، فيبلغك ولا تغير على معاوية.

ثم خرج علي من عنده، وخرج عثمان على أثره، فجلس على المنبر، فقال: أما بعد، فإن لكل شيء آفة، ولكل أمر عاهة، وإن آفة هذه الأمة، وعاهة هذه النعمة، عيابون طعانون، يرونكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون، يقولون لكم وتقولون، أمثال النعام يتبعون أول ناعق، أحب مواردها إليها البعيد، لا يشربون إلا نغصاً ولا يردون إلا عكراً، لا يقوم لهم رائد، وقد أعيتهم الأمور، وتعذرت عليهم المكاسب، ألا فقد والله عبتم علي

بما أقررتم لابن الخطاب بمثله، ولكنه وطئكم برجله، وضربكم بيده، وقمعكم بلسانه، فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم، ولنتُ لكم، وأوطأتُ لكم كتفي، وكففتُ يدي ولساني عنكم، فاجترأتم علي!

أما والله لأنا أعز نفراً، وأقرب ناصراً، وأكثر عدداً، وأقمن إن قلت هلم أتي إلي، ولقد أعددت لكم أقرانكم، وأفضلت عليكم فضولاً، وكشرت لكم عن نابي، وأخرجتم مني خلقاً لم أكن أحسنه، ومنطقاً لم أنطق به، فكفوا عليكم ألسنتكم، وطعنكم وعيبكم على ولاتكم، فإني قد كففت عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا، ألا فما تفقدون من حقكم؟

والله ما قصرتُ في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي، ومن لم تكونوا تختلفون عليه. فَضَل فَضْلٌ من مال، فما لي لا أصنع في الفضل ما أريد! فلم كنتُ إماماً!

فقام مروان بن الحكم، فقال: إن شئتم حكمنا والله بيننا وبينكم السيف، نحن والله وأنتم كما قال الشاعر:

فرشنا لكم أعراضنا فنبت بكم   معارسكم تبنون في دمن الثرى

فقال عثمان: اسكت، لا سكتَّ، دعني وأصحابي، ما منطقك في هذا! ألم أتقدم إليك ألا تنطق!

فسكت مروان، ونزل عثمان[١].

مسير أهل مصر إلى المدينة

كان ذلك في سنة خمس وثلاثين.

قال الليث بن سعد: لا أرى رسول الله ﷺ قال لأبي ذر: «إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً؛ فإن لهم ذمة ورحماً، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة فاخرج منها»، إلا للذي كان من أهل مصر في عثمان بن عفان[٢].

وقال يزيد الفقعسي: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين، يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن عبد الله بن محمد به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٣٦- ٣٣٩) معلقاً عن الواقدي به.

٢- [إسناده حسن]: أخرجه ابن شبة (٣/ ١١١٧)، وأخرج مسلم (رقم/ ٢٥٤٣) المرفوع منه.

أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[1]، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى.

قال: فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة، فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد.

ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء.

ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ، ووثب على وصي رسول الله ﷺ، وتناول أمر الأمة!

ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ﷺ، فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدءوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر.

فبث دعاته، وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

١- [القصص: ٨٥].

وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم، حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسرون غير ما يبدون، فيقول أهل كل مصر: إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء، إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار، فقالوا: إنا لفي عافية مما فيه الناس.

قالوا: فأتوا عثمان، فقالوا: يا أمير المؤمنين، أيأتيك عن الناس الذي يأتينا؟

قال: لا والله، ما جاءني إلا السلامة.

قالوا: فإنا قد أتانا وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم.

قال: فأنتم شركائي وشهود المؤمنين، فأشيروا علي.

قالوا: نشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم.

فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أسامة بن زيد إلى

البصرة، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام، وفَرَّق رجالاً سواهم، فرجعوا جميعاً قبل عمار، فقالوا: أيها الناس، ما أنكرنا شيئاً، ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم.

وقالوا جميعاً: الأمر أمر المسلمين، إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم، ويقومون عليهم واستبطأ الناس عماراً حتى ظنوا أنه قد اغتيل، فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم أن عماراً قد استماله قوم بمصر، وقد انقطعوا إليه، منهم عبد الله بن السوداء، وخالد بن ملجم، وسودان بن حمران، وكنانة بن بشر(١).

قال ابن كثير: فافتتن به بشر كثير من أهل مصر، وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة، فتمالأوا على ذلك، وتكاتبوا فيه، وتواعدوا أن يجتمعوا في الإنكار على عثمان، وأرسلوا إليه من يناظره، ويذكر له ما ينقمون عليه من توليته أقرباءه وذوي رحمه وعزله كبار الصحابة.

فدخل هذا في قلوب كثير من الناس، فجمع عثمان بن عفان نوابه من الأمصار فاستشارهم فأشاروا عليه بما تقدم ذكرنا له، فالله أعلم(٢).

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن عطية عن يزيد به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٤٠- ٣٤١)، وابن عساكر (٢٩/ ٣) من طريق سيف به، وتقدم مختصراً.

٢- «البداية والنهاية» (٧/ ١٨٨).

مشورة عثمان بن عفان رضي الله عنه لولاة الأمصار

قال محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم وعطية بن الحارث: كتب عثمان إلى أهل الأمصار: أما بعد، فإني آخذ العمال بموافاتي في كل موسم، وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يرفع علي شيء، ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته، وليس لي ولعيالي حق قبل الرعية إلا متروك لهم، وقد رفع إلي أهل المدينة أن أقواماً يشتمون، وآخرون يضربون، فيا من ضُرب سراً، وشُتم سراً، من ادعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم فليأخذ بحقه حيث كان، مني أو من عمالي، أو تصدقوا فإن الله يجزى المتصدقين.

فلما قرئ في الأمصار أبكى الناس، ودعوا لعثمان، وقالوا: إن الأمة لتمخض بشر.

وبعث إلى عمال الأمصار، فقدموا عليه: عبد الله بن عامر، ومعاوية، وعبد الله بن سعد، وأدخل معهم في المشورة سعيداً وعمراً، فقال: ويحكم! ما هذه الشكاية؟ وما هذه الإذاعة؟ إني والله لخائف أن تكونوا مصدوقاً عليكم، وما يعصب هذا إلا بي.

فقالوا له: ألم تبعث! ألم نرجع إليك الخبر عن القوم! ألم يرجعوا ولم يشافههم أحد بشيء! لا والله ما صدقوا ولا بروا، ولا نعلم لهذا الأمر أصلاً، وما كنتَ لتأخذ به أحداً فيقيمك على شيء، وما هي إلا إذاعة لا يحل الأخذ بها، ولا الانتهاء إليها.

قال: فأشيروا علي.

فقال سعيد بن العاص: هذا أمر مصنوع، يصنع في السر، فيلقى به غير ذي المعرفة، فيخبر به، فيتحدث به في مجالسهم.

قال: فما دواء ذلك؟

قال: طلب هؤلاء القوم، ثم قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم.

وقال عبد الله بن سعد: خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم، فإنه خير من أن تدعهم.

قال معاوية: قد وليتني فوليت قوماً لا يأتيك عنهم إلا الخير، والرجلان أعلم بناحيتيهما.

قال: فما الرأي؟

قال: حسن الأدب.

قال: فما ترى يا عمرو؟

قال: أرى أنك قد لنتَ لهم، وتراخيتَ عنهم، وزدتهم على ما كان يصنع عمر، فأرى أن تلزم طريقة صاحبيك، فتشتد في موضع الشدة، وتلين في موضع اللين؛ إن الشدة تنبغي لمن لا يألو الناس شراً، واللين لمن يخلف الناس بالنصح، وقد فرشتهما جميعاً اللين.

وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه، وقال: كل ما أشرتم به علي قد سمعت، ولكل أمر باب يؤتى منه، إن هذا الأمر الذي يخاف على هذه الأمة كائن، وإن بابه الذي يغلق عليه فيكفكف به اللين والمؤاتاة والمتابعة، إلا في حدود الله تعالى ذكره، التي لا يستطيع أحد أن يبادي بعيب أحدها، فإن سده شيء فرفق، فذاك والله ليفتحن، وليست لأحد علي حجة حق، وقد علم الله أني لم آل الناس خيراً، ولا نفسي، والله إن رحا الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها، كفكفوا الناس، وهبوا لهم حقوقهم، واغتفروا لهم، وإذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها.

فلما نفر عثمان أشخص معاوية وعبد الله بن سعد إلى المدينة، ورجع ابن عامر وسعيد معه، ولما استقل عثمان رجز الحادي:

قد علمت ضوامر المطي وضامرات عوج القسي

أن الأمير بعده عــلي وفي الزبير خلف رضي

وطلحة الحامي لها ولي

فقال كعب وهو يسير خلف عثمان: الأمير والله بعده صاحب البغلة -وأشار إلى معاوية-[١].

رد عثمان بن عفان رضي الله عنه على شبهات المتمردين

قال سيف بن عمر عن شيوخه: قال معاوية لعثمان غداة ودعه وخرج: يا أمير المؤمنين، انطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قبل لك به، فإن أهل الشام على الأمر لم يزالوا.

فقال: أنا لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء، وإن كان فيه قطع خيط عنقي.

قال: فأبعث إليك جنداً منهم يقيم بين ظهراني أهل المدينة لنائبة إن نابت المدينة أو إياك؟

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد وطلحة وعطية به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٤٢- ٣٤٣)، وابن عساكر (٢٩/ ٣٠٥) من طريق سيف به.

قال: أنا أقتر على جيران رسول الله ﷺ الأرزاق بجند تساكنهم، وأضيق على أهل دار الهجرة والنصرة!

قال: والله يا أمير المؤمنين، لتغتالن أو لتغزين.

قال: حسبي الله ونعم الوكيل.

وقال معاوية: يا أيسار الجزور، وأين أيسار الجزور!

ثم خرج حتى وقف على النفر، ثم مضى وقد كان أهل مصر كاتبوا أشياعهم من أهل الكوفة وأهل البصرة وجميع من أجابهم أن يثوروا خلاف أمرائهم، واتعدوا يوماً حيث شخص أمراؤهم، فلم يستقم ذلك لأحد منهم، ولم ينهض إلا أهل الكوفة، فإن يزيد بن قيس الأرحبي ثار فيها، واجتمع إليه أصحابه، وعلى الحرب يومئذ القعقاع بن عمرو، فأتاه فأحاط الناس بهم وناشدوهم، فقال يزيد للقعقاع: ما سبيلك علي وعلى هؤلاء! فوالله إني لسامع مطيع، وإني للازم لجماعتي إلا أني أستعفي ومن ترى من إمارة سعيد.

فقال: استعفى الخاصة من أمر قد رضيته العامة؟

قال: فذاك إلى أمير المؤمنين فتركهم والاستعفاء، ولم يستطيعوا أن

يظهروا غير ذلك، فاستقبلوا سعيداً، فردوه من الجرعة، واجتمع الناس على أبي موسى، وأقره عثمان رضي الله تعالى عنه.

ولما رجع الأمراء لم يكن للسبئية سبيل إلى الخروج إلى الأمصار، وكاتبوا أشياعهم من أهل الأمصار أن يتوافوا بالمدينة لينظروا فيما يريدون، وأظهروا أنهم يأمرون بالمعروف، ويسألون عثمان عن أشياء لتطير في الناس، ولتحقق عليه، فتوافوا بالمدينة.

وأرسل عثمان رجلين: مخزومياً وزهرياً، فقال: انظرا ما يريدون، واعلما علمهم -وكانا ممن قد ناله من عثمان أدب، فاصطبرا للحق، ولم يضطغنا- فلما رأوهما باثوهما وأخبروهما بما يريدون.

فقالا: من معكم على هذا من أهل المدينة؟

قالوا: ثلاثة نفر.

فقالا: هل إلا؟

قالوا: لا.

قالا: فكيف تريدون أن تصنعوا؟

قالوا: نريد أن نذكر له أشياء قد زرعناها في قلوب الناس، ثم نرجع إليهم فنزعم لهم أنا قررناه بها، فلم يخرج منها ولم يتب، ثم نخرج كأنا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنخلعه، فإن أبى قتلناه وكانت إياها.

فرجعا إلى عثمان بالخبر، فضحك وقال: اللهم سلم هؤلاء، فإنك إن لم تسلمهم شقوا.

أما عمار فحمل على عباس بن عتبة بن أبي لهب وعركه.

وأما محمد بن أبي بكر فإنه أعجب حتى رأى أن الحقوق لا تلزمه.

وأما ابن سهلة فإنه يتعرض للبلاء.

فأرسل إلى الكوفيين والبصريين، ونادى: الصلاة جامعة! وهم عنده في أصل المنبر، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى أحاطوا بهم، فحمد الله وأثنى عليه، وأخبرهم خبر القوم، وقام الرجلان، فقالوا جميعاً: اقتلهم، فإن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا إلى نفسه أو إلى أحد وعلى الناس إمام فعليه لعنة الله فاقتلوه**»(١).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا أحل لكم إلا ما قتلتموه، وأنا شريككم.

---

١ - [لم أقف على إسناده]: أخرجه الديلمي في «مسنده» [كما في «الفردوس بمأثور الخطاب» (رقم/ ٥٤٩٣)] من حديث أبي بكر.

فقال عثمان: بل نعفو ونقبل ونبصرهم بجهدنا، ولا نحاد أحداً حتى يركب حداً، أو يبدي كفراً، إن هؤلاء ذكروا أموراً قد علموا منها مثل الذي علمتم، إلا أنهم زعموا أنهم يذاكرونيها ليوجبوها علي عند من لا يعلم.

وقالوا: أتم الصلاة في السفر، وكانت لا تتم، ألا وإني قدمت بلداً فيه أهلي، فأتممت لهذين الأمرين، أو كذلك؟

قالوا: اللهم نعم.

وقالوا: وحميت حمى، وإني والله ما حميت، حمي قبلي، والله ما حموا شيئاً لأحد ما حموا إلا غلب عليه أهل المدينة، ثم لم يمنعوا من رعية أحداً، واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع، ثم ما منعوا ولا نحواً منها أحداً إلا من ساق درهماً، وما لي من بعير غير راحلتين، وما لي ثاغية ولا راغية، وإني قد وليت، وإني أكثر العرب بعيراً وشاءً، فما لي اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجي، أكذلك؟

قالوا: اللهم نعم.

وقالوا: كان القرآن كتباً، فتركتها إلا واحداً، ألا وإن القرآن واحدٌ،

جاء من عند واحدٍ، وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء، أكذلك؟

قالوا: نعم، وسألوه أن يقيلهم.

وقالوا: إني رددت الحكم وقد سيره رسول الله ﷺ.

والحكم مكي، سيره رسول الله ﷺ من مكة إلى الطائف، ثم رده رسول الله ﷺ، فرسول الله ﷺ سيره، ورسول الله ﷺ رده، أكذلك؟

قالوا: اللهم نعم.

وقالوا: استعملت الأحداث! ولم أستعمل إلا مجتمعاً محتملاً مرضياً، وهؤلاء أهل عملهم، فسلوهم عنه، وهؤلاء أهل بلده، ولقد ولي من قبلي أحدث منهم، وقيل في ذلك لرسول الله ﷺ أشد مما قيل لي في استعماله أسامة، أكذلك؟

قالوا: اللهم نعم، يعيبون للناس ما لا يفسرون.

وقالوا: إني أعطيت ابن أبي سرح ما أفاء الله عليه وإني إنما نفلته خمس ما أفاء الله عليه من الخمس، فكان مائة ألف، وقد أنفذ مثل ذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك، فرددته عليهم وليس ذاك لهم، أكذاك؟

قالوا: نعم.

وقالوا: إني أحب أهل بيتي وأعطيهم، فأما حبي فإنه لم يمل معهم على جور، بل أحمل الحقوق عليهم، وأما إعطاؤهم فإني ما أعطيهم من مالي، ولا أستحل أموال المسلمين لنفسي، ولا لأحد من الناس، ولقد كنت أعطي العطية الكبيرة الرغيبة من صلب مالي أزمان رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنا يومئذ شحيح حريص، أفحين أتيت على أسنان أهل بيتي، وفني عمري، وودعت الذي لي في أهلي، قال الملحدون ما قالوا! وإني والله ما حملت على مصر من الأمصار فضلاً فيجوز ذلك لمن قاله، ولقد رددته عليهم، وما قدم علي إلا الأخماس، ولا يحل لي منها شيء، فولي المسلمون وضعها في أهلها دوني، ولا يتلفت من مال الله بفلس فما فوقه، وما أتبلغ منه ما آكل إلا مالي.

وقالوا: أعطيت الأرض رجالاً، وإن هذه الأرضين شاركهم فيها المهاجرون والأنصار أيام افتتحت، فمن أقام بمكان من هذه الفتوح فهو أسوة أهله، ومن رجع إلى أهله لم يذهب ذلك ما حوى الله له، فنظرت في الذي يصيبهم مما أفاء الله عليهم فبعته لهم بأمرهم من رجال أهل عقار ببلاد العرب فنقلت إليهم نصيبهم، فهو في أيديهم دوني.

وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه في بني أمية، وجعل ولده كبعض

من يعطى، فبدأ ببني أبي العاص، فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف، عشرة آلاف، فأخذوا مائة ألف، وأعطى بني عثمان مثل ذلك، وقسم في بني العاص وفي بني العيص وفي بني حرب.

ولانت حاشية عثمان لأولئك الطوائف، وأبى المسلمون إلا قتلهم، وأبى إلا تركهم، فذهبوا ورجعوا إلى بلادهم على أن يغزوه مع الحجاج كالحجاج، فتكاتبوا، وقالوا: موعدكم ضواحي المدينة في شوال، حتى إذا دخل شوال من سنة اثنتي عشرة، ضربوا كالحجاج، فنزلوا قرب المدينة[1].

قدوم أهل الفتنة من الأمصار

عن ربعي بن حراش، قال: انطلقت إلى حذيفة بالمدائن ليالي سار الناس إلى عثمان، فقال: يا ربعي ما فعل قومك؟

قال: قلت: عن أي بالهم تسأل؟

قال: من خرج منهم إلى هذا الرجل.

فسميت رجالاً فيمن خرج إليه.

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٣٤٣- ٣٤٨)، وابن عساكر (٢٩/ ٣٠٧) من طريق سيف به.

فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من فارق الجماعة، واستذل الإمارة لقي الله عز و جل ولا وجه له عنده»[١].

وعن زياد بن علاقة، قال: أراد الناس أن يخرجوا إلى عثمان رضي الله عنه حين أنكروه، فجاءت بنو عبس إلى حذيفة.

فقال: لا تفعلوا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول عصابة تسير إلى سلطان لتذله لا يكون لهم يوم القيامة وزن»[٢].

وقال محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم وأبو حارثة محرز العبشمي وأبو عثمان يزيد بن أُسيد: لما كان في شوال سنة خمس وثلاثين خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء -المقلل يقول: ستمائة، والمكثر يقول: ألف على الرفاق-: عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر التجيبي، وعروه بن شييم الليثي، وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وسواد بن رومان الأصبحي، وزرع بن يشكر اليافعي، وسودان بن حمران السكوني، وقتيرة بن فلان السكوني، وعلى القوم جميعاً الغافقي

١- [إسناده صحيح]: أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٨٧)، والحاكم (١/ ٢٠٦)، وصححه الحاكم، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٢٢): «رجاله ثقات».

٢- [رجاله ثقات]: أخرجه ابن شبة (٣/ ١١٤٤)، وأخرج نحوه كذلك عن زيد بن يثيع.

بن حرب العكي، ولم يجترئوا أن يعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب، وإنما أخرجوا كالحجاج، ومعهم ابن السوداء.

وخرج أهل الكوفة في أربع رفاق، وعلى الرفاق زيد بن صوحان العبدي، والأشتر النخعي، وزياد بن النضر الحارثي، وعبد الله بن الأصم أحد بني عامر بن صعصعة، وعددهم كعدد أهل مصر، وعليهم جميعاً سبعاً عمرو بن الأصم.

وخرج أهل البصرة في أربع رفاق، وعلى الرفاق حكيم بن جبلة العبدي، وذريح بن عباد العبدي، وبشر بن شريح الحطم بن ضبيعه القيسي، وابن المحرش بن عبد بن عمرو الحنفي، وعددهم كعدد أهل مصر، وأميرهم جميعاً حرقوص بن زهير السعدي، سوى من تلاحق بهم من الناس.

فأما أهل مصر فإنهم كانوا يشتهون علياً، وأما أهل البصرة فإنهم كانوا يشتهون طلحة، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير.

فخرجوا وهم على الخروج جميع وفي الناس شتى، لا تشك كل فرقة إلا أن الفلج معها، وأن أمرها سيتم دون الأخريين، فخرجوا حتى إذا

كانوا من المدينة على ثلاث تقدم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خُشُب[١]، وناس من أهل الكوفة فنزلوا الأَعْوَص[٢]، وجاءهم ناس من أهل مصر، وتركوا عامتهم بذي المروة.

ومشى فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زياد بن النضر وعبد الله بن الأصم، وقالا: لا تعجلوا ولا تعجلونا حتى ندخل لكم المدينة ونرتاد، فإنه بلغنا أنهم قد عسكروا لنا، فو الله إن كان أهل المدينة قد خافونا واستحلوا قتالنا ولم يعلموا علمنا فهم إذا علموا علمنا أشد، وإن أمرنا هذا لباطل، وإن لم يستحلوا قتالنا ووجدنا الذي بلغنا باطلاً لنرجعن إليكم بالخبر.

قالوا: اذهبا.

فدخل الرجلان فلقيا أزواج النبي ﷺ وعلياً وطلحة والزبير، وقالا: إنما نأتم هذا البيت، ونستعفي هذا الوالي من بعض عمالنا، ما جئنا إلا لذلك، واستأذناهم للناس بالدخول، فكُلهم أبى ونهى، وقال: بيض ما يفرخن.

١- قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٢/ ٣٧٢): «خُشُبٌ: بضم أوله وثانيه، وآخره باء موحدة: واد على مسيرة ليلة من المدينة».

٢- قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (١/ ٢٢٣): «أَعْوَصُ: بفتح الواو، والصاد المهملة: موضع قرب المدينة».

فرجعا إليهم فاجتمع من أهل مصر نفر فأتوا علياً، ومن أهل البصرة نفر فأتوا طلحة، ومن أهل الكوفة نفر فأتوا الزبير، وقال كل فريق منهم: إن بايعوا صاحبنا وإلا كدناهم وفرقنا جماعتهم، ثم كررنا حتى نبغتهم.

فأتى المصريون علياً وهو في عسكر عند أحجار الزيت، عليه حلة أفواف، معتم بشقيقة حمراء يمانية، متقلد السيف، ليس عليه قميص، وقد سرح الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه، فالحسن جالس عند عثمان، وعلي عند أحجار الزيت، فسلم عليه المصريون وعرضوا له، فصاح بهم واطردهم، وقال: لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذي خُشُب ملعونون على لسان محمد ﷺ، فارجعوا لا صحبكم الله!

قالوا: نعم.

فانصرفوا من عنده على ذلك.

وأتى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى إلى جنب علي، وقد أرسل ابنيه إلى عثمان، فسلم البصريون عليه وعرضوا له، فصاح بهم واطردهم، وقال: لقد علم المؤمنون أن جيش ذي المروة وذي خُشُب والأَعْوَص ملعونون على لسان محمد ﷺ.

وأتى الكوفيون الزبير وهو في جماعة أخرى، وقد سرح ابنه عبد الله إلى عثمان، فسلموا عليه وعرضوا له، فصاح بهم واطردهم، وقال: لقد علم المسلمون أن جيش ذي المروة وذي خُشُب والأَعْوَص ملعونون على لسان محمد ﷺ.

فخرج القوم وأروهم أنهم يرجعون، فانفشوا عن ذي خُشُب والأَعْوَص، حتى انتهوا إلى عساكرهم، وهي ثلاث مراحل، كي يفترق أهل المدينة، ثم يكروا راجعين فافترق أهل المدينة لخروجهم.

فلما بلغ القوم عساكرهم كروا بهم، فبغتوهم، فلم يفجأ أهل المدينة إلا والتكبير في نواحي المدينة، فنزلوا في مواضع عساكرهم، وأحاطوا بعثمان، وقالوا: من كف يده فهو آمن.

وصلى عثمان بالناس أياماً، ولزم الناس بيوتهم، ولم يمنعوا أحداً من كلام، فأتاهم الناس فكلموهم، وفيهم علي، فقال: ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟

قالوا: أخذنا مع بريد كتاباً بقتلنا!

وأتاهم طلحة، فقال البصريون مثل ذلك.

وأتاهم الزبير، فقال الكوفيون مثل ذلك.

وقال الكوفيون والبصريون: فنحن ننصر إخواننا ونمنعهم جميعاً، كأنما كانوا على ميعاد.

فقال لهم علي: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتم مراحل، ثم طويتم نحونا؟ هذا والله أمر أبرم بالمدينة!

قالوا: فضعوه على ما شئتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزلنا وهو في ذلك يصلي بهم، وهم يصلون خلفه، ويغشى من شاء عثمان وهم في عينه أدق من التراب، وكانوا لا يمنعون أحداً من الكلام، وكانوا زمراً بالمدينة، يمنعون الناس من الاجتماع.

وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فإن الله عز وجل بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً، فبلغ عن الله ما أمره به، ثم مضى وقد قضى الذي عليه، وخلف فينا كتابه، فيه حلاله وحرامه، وبيان الأمور التي قدر، فأمضاها على ما أحب العباد وكرهوا، فكان الخليفة أبو بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه، ثم أدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة عن ملأ من الأمة، ثم أجمع أهل الشورى عن ملأ منهم،

ومن الناس علي، على غير طلب مني ولا محبة، فعملت فيهم ما يعرفون ولا ينكرون، تابعاً غير مستتبع، متبعاً غير مبتدع، مقتدياً غير متكلف.

فلما انتهت الأمور، وانتكث الشر بأهله، بدت ضغائن وأهواء على غير إجرام ولا تِرَةٍ فيما مضى إلا إمضاء الكتاب، فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغير حجة ولا عذر، فعابوا علي أشياء مما كانوا يرضون، وأشياء عن ملأ من أهل المدينة لا يصلح غيرها، فصبرت لهم نفسي وكففتها عنهم منذ سنين وأنا أرى وأسمع، فازدادوا على الله عز وجل جرأة، حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله ﷺ وحرمه وأرض الهجرة، وثابت إليهم الأعراب، فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا بأحد إلا ما يظهرون، فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق.

فأتى الكتاب أهل الأمصار، فخرجوا على الصعبة والذلول، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري، وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن حديج السكوني، وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو.

وكان المحضضين بالكوفة على إعانة أهل المدينة: عقبة بن عمرو، وعبد الله بن أبي أوفى، وحنظلة بن الربيع التميمي، في أمثالهم من أصحاب النبي ﷺ.

وكان المحضضين بالكوفة من التابعين: أصحاب عبد الله مسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد، وشريح بن الحارث، وعبد الله بن عكيم، في أمثالهم، يسيرون فيها، ويطوفون على مجالسها، يقولون: يا أيها الناس، إن الكلام اليوم وليس به غداً، وإن النظر يحسن اليوم ويقبح غداً، وإن القتال يحل اليوم ويحرم غداً، انهضوا إلى خليفتكم، وعصمة أمركم.

وقام بالبصرة: عمران بن حصين، وأنس بن مالك، وهشام بن عامر في أمثالهم من أصحاب النبي ﷺ يقولون مثل ذلك.

ومن التابعين: كعب بن سور، وهرم بن حيان العبدي، وأشباه لهما يقولون ذلك.

وقام بالشام: عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وأبو أمامة، في أمثالهم من أصحاب النبي ﷺ يقولون مثل ذلك.

ومن التابعين: شريك بن خباشة النميري، وأبو مسلم الخولاني، وعبد الرحمن بن غَنْم بمثل ذلك.

وقام بمصر خارجة في أشباه له.

وقد كان بعض المحضضين قد شهد قدومهم، فلما رأوا حالهم انصرفوا

إلى أمصارهم بذلك وقاموا فيهم.

ولما جاءت الجمعة التي على أثر نزول المصريين مسجد رسول الله ﷺ، خرج عثمان فصلى بالناس، ثم قام على المنبر، فقال: يا هؤلاء العدى، الله الله! فوالله، إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ، فامحوا الخطايا بالصواب، فإن الله عز وجل لا يمحو السيئ إلا بالحسن.

فقام محمد بن مسلمة، فقال: أنا أشهد بذلك، فأخذه حكيم بن جبلة فأقعده.

فقام زيد بن ثابت، فقال: ابغني الكتاب، فثار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبي قتيرة فأقعده، وقال فأفظع.

وثار القوم بأجمعهم، فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشياً عليه، فاحتمل فأدخل داره، وكان المصريون لا يطمعون في أحد من أهل المدينة أن يساعدهم إلا في ثلاثة نفر، فإنهم كانوا يراسلونهم: محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، وعمار بن ياسر.

وشمر أناس من الناس فاستقتلوا، منهم: سعد بن مالك، وأبو هريرة،

وزيد بن ثابت، والحسن بن علي، فبعث إليهم عثمان بعزمه لما انصرفوا فانصرفوا، وأقبل علي عليه السلام حتى دخل على عثمان، وأقبل طلحة حتى دخل عليه، وأقبل الزبير حتى دخل عليه، يعودونه من صرعته، ويشكون بثهم، ثم رجعوا إلى منازلهم(١).

حصار عثمان بن عفان رضي الله عنه والمفاوضات بينه وبين المتمردين

عن أبي عمرو عن الحسن، قال: قلت له: هل شهدت حصر عثمان؟

قال: نعم، وأنا يومئذ غلام في أتراب لي في المسجد، فإذا كثر اللغط جثوت على ركبتي أو قمت، فأقبل القوم حين أقبلوا حتى نزلوا المسجد وما حوله، فاجتمع إليهم أناس من أهل المدينة، يعظمون ما صنعوا وأقبلوا على أهل المدينة يتوعدونهم، فبينا هم كذلك في لغطهم حول الباب، فطلع عثمان، فكأنما كانت نار طفئت، فعمد إلى المنبر فصعده فحمد الله وأثنى عليه.

فثار رجل، فأقعده رجل.

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٤٨- ٣٥٣)، وابن عساكر (٣٩/ ٣١٥) من طريق سيف به.

وقام آخر فأقعده آخر، ثم ثار القوم فحصبوا عثمان حتى صرع، فاحتمل فأدخل، فصلى بهم عشرين يوماً، ثم منعوه من الصلاة[١].

والمنع من الصلاة ثابت، فقد أخرج البخاري[٢] عن عبيد الله بن عدي بن خيار أنه دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو محصور، فقال: إنك إمام عامة، ونزل بك ما نرى، ويصلي لنا إمام فتنة ونتحرج.

فقال: الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم.

وقال محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم وأبو حارثة محرز العبشمي وأبو عثمان يزيد بن أُسيد: صلى عثمان بالناس بعد ما نزلوا به في المسجد ثلاثين يوماً، ثم إنهم منعوه الصلاة، فصلى بالناس أميرهم الغافقي، دان له المصريون والكوفيون والبصريون، وتفرق أهل المدينة في حيطانهم، ولزموا بيوتهم، لا يخرج أحد ولا يجلس إلا وعليه سيفه يمتنع به من رهق القوم وكان الحصار أربعين يوماً، وفيهن كان القتل، ومن

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن أبي عمرو به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٥٣)، وابن عساكر (٣٩/ ٣٣٠) من طريق سيف به.

٢- (رقم/ ٦٩٥).

تعرض لهم وضعوا فيه السلاح، وكانوا قبل ذلك ثلاثين يوماً يكفون[1].

وعن أبي نضرة عن أبي سعيد مولى أُبي أسيد الأنصاري، قال: سمع عثمان أن وفد أهل مصر قد أقبلوا، قال: فاستقبلهم، وكان في قرية له خارجة من المدينة -أو كما قال- فلما سمعوا به، أقبلوا نحوه إلى المكان الذي هو فيه -قال: وكره أن يقدموا عليه المدينة أو نحوا من ذلك- قال: فأتوه.

فقالوا له: ادع بالمصحف.

قال: فدعا بالمصحف.

قال: فقالوا له: افتح التاسعة -قال: وكانوا يسمون سورة يونس التاسعة-.

قال: فقرأها حتى أتى على هذه الآية: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾[2].

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٥٣- ٣٥٤)، وابن عساكر (٣٩/ ٤٣٠) من طريق سيف به.

٢- [يونس: ٥٩].

قال: قالوا له: قف.

فقالوا له: أرأيت ما حميت من الحمى؟ آلله أذن لك أم على الله تفتري!

قال: فقال: امضه، نزلت في كذا وكذا.

قال: وأما الحمى: فإن عمر حمى الحمى قبلي لإبل الصدقة، فلما وليت زادت إبل الصدقة، فزدت في الحمى لما زاد في إبل الصدقة، امضه.

قال: فجعلوا يأخذونه بالآية، فيقول: امضه، نزلت في كذا وكذا.

قال: والذي يتولى كلام عثمان يومئذ في سنك، قال: يقول أبو نضرة، يقول ذاك لي أبو سعيد، قال أبو نضرة: وأنا في سنك يومئذ، قال: ولم يخرج وجهي يومئذ، لا أدري، ولعله قد قال مرة أخرى: وأنا يومئذ ابن ثلاثين سنة.

ثم أخذوه بأشياء لم يكن عنده منها مخرج، قال: فعرفها، فقال: أستغفر الله وأتوب إليه، قال: فقال لهم: ما تريدون؟

قال: فأخذوا ميثاقه -قال: وأحسبه قال: وكتبوا عليه شرطاً-.

قال: وأخذ عليهم ألا يشقوا عصاً، ولا يفارقوا جماعة ما قام لهم

بشرطهم -أو كما أخذوا عليه-.

قال: فقال لهم: ما تريدون؟

قالوا: نريد ألا يأخذ أهل المدينة عطاء، فإنما هذا المال لمن قاتل عليه ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله ﷺ.

قال: فرضوا بذلك، وأقبلوا معه إلى المدينة راضين.

قال: فقام فخطب، فقال: إني ما رأيت والله وفداً في الأرض هم خير لحوباتي من هذا الوفد الذين قدموا علي، وقد قال مرة أخرى: خشيت من هذا الوفد من أهل مصر، ألا من كان له زرع فليلحق بزرعه، ومن كان له ضرع فليحتلب، إلا إنه لا مال لكم عندنا، إنما هذا المال لمن قاتل عليه، ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله ﷺ.

قال: فغضب الناس، وقالوا: هذا مكر بني أمية.

قال: ثم رجع الوفد المصريون راضين، فبينا هم في الطريق إذا هم براكب يتعرض لهم، ثم يفارقهم، ثم يرجع إليهم، ثم يفارقهم، ويتبينهم.

قال: قالوا له: ما لك؟ إن لك لأمراً! ما شأنك؟

قال: فقال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه، فإذا

هم بالكتاب على لسان عثمان، عليه خاتمه إلى عامله بمصر أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خِلاف.

قال: فأقبلوا حتى قدموا المدينة، قال: فأتوا علياً، فقالوا: ألم تر إلى عدو الله! إنه كتب فينا بكذا وكذا، وإن الله قد أحل دمه، قم معنا إليه، قال: والله لا أقوم معكم، إلى أن قالوا: فلم كتبتَ إلينا؟

فقال: والله ما كتبت إليكم كتابا قط!

قال: فنظر بعضهم إلى بعض، ثم قال بعضهم لبعض: ألهذا تقاتلون، أو لهذا تغضبون!

قال: فانطلق علي، فخرج من المدينة إلى قرية.

قال: فانطلقوا حتى دخلوا على عثمان، فقالوا: كتبت فينا بكذا وكذا!

قال: فقال: إنما هما اثنتان: أن تقيموا علي رجلين من المسلمين، أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمللت ولا علمت، قال: وقد تعلمون أن الكتاب يكتب على لسان الرجل، وقد ينقش الخاتم على الخاتم.

قال: فقالوا: فقد والله أحل الله دمك، ونقضت العهد والميثاق.

قال: فحاصروه[١].

وقال أبو عون مولى المسور: كان عمرو بن العاص على مصر عاملاً لعثمان، فعزله عن الخراج، واستعمله على الصلاة، واستعمل عبد الله بن سعد على الخراج، ثم جمعهما لعبد الله بن سعد، فلما قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يطعن على عثمان، فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به، فقال: يا ابن النابغة، ما أسرع ما قَمِلَ جربان جبتك! إنما عهدك بالعمل عاما أول.

أتطعن علي وتأتيني بوجه، وتذهب عني بآخر! والله لولا أكلة ما فعلت ذلك.

قال: فقال عمرو: إن كثيراً مما يقول الناس وينقلون إلى ولاتهم باطل، فاتق الله يا أمير المؤمنين في رعيتك!

فقال عثمان: والله لقد استعملتك على ظلعك، وكثرة القالة فيك.

١- [إسناده صحيح]: أخرجه الطبري (٤/ ٣٥٤- ٣٥٦)، وابن حبان (رقم/ ٦٩١٩)، والحاكم (٢/ ٣٦٩)، والبزار (رقم/ ٣٨٩).

وأخرجه البيهقي (٦/ ١٤٧) عن الحاكم به.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢٩): «رجاله رجال الصحيح غير أبي سعيد مولى أبي أُسيد، وهو ثقة».

وقال ابن حجر في «المطالب العالية» (١٨/ ٤٧): «رجاله ثقات، سمع بعضهم من بعض».

فقال عمرو: قد كنت عاملاً لعمر بن الخطاب، ففارقني وهو عني راض.

قال: فقال عثمان: وأنا والله لو آخذتك بما آخذك به عمر لاستقمت، ولكني لنت عليك فاجترأت علي، أما والله لأنا أعز منك نفراً في الجاهلية، وقبل أن ألي هذا السلطان.

فقال عمرو: دع عنك هذا، فالحمد لله الذي أكرمنا بمحمد ﷺ وهدانا به، قد رأيت العاصي بن وائل ورأيت أباك عفان، فوالله للعاص كان أشرف من أبيك.

قال: فانكسر عثمان، وقال: ما لنا ولذكر الجاهلية!

قال: وخرج عمرو ودخل مروان، فقال: يا أمير المؤمنين، وقد بلغت مبلغاً يذكر عمرو بن العاص أباك!

فقال عثمان: دع هذا عنك، مَن ذَكر آباء الرجال ذكروا أباه!

قال: فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقد عليه، يأتي علياً مرة فيؤلبه على عثمان، ويأتي الزبير مرة فيؤلبه على عثمان، ويأتي طلحة مرة فيؤلبه على عثمان، ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان، فلما كان حصر

عثمان الأول، خرج من المدينة، حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها السبع، فنزل في قصر له يقال له العجلان، وهو يقول: العجب ما يأتينا عن ابن عفان!

قال: فبينا هو جالس في قصره ذلك، ومعه ابناه محمد وعبد الله، وسلامة بن روح الجُذَامي، إذ مر بهم راكب، فناداه عمرو: من أين قدم الرجل؟

فقال: من المدينة.

قال: ما فعل الرجل -يعني: عثمان-؟

قال: تركته محصوراً شديد الحصار.

قال عمرو: أنا أبو عبد الله، قد يضرط العير والمكواة في النار فلم يبرح مجلسه ذلك حتى مر به راكب آخر، فناداه عمرو: ما فعل الرجل -يعني: عثمان-؟

قال: قُتل.

قال: أنا أبو عبد الله، إذا حككت قرحة نكأتها، إن كنت لأحرض عليه، حتى إني لأحرض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل.

فقال له سلامة بن روح: يا معشر قريش، إنه كان بينكم وبين العرب باب وثيق فكسرتموه، فما حملكم على ذلك؟

فقال: أردنا أن نخرج الحق من حافرة الباطل، وأن يكون الناس في الحق شرعاً سواء.

وكانت عند عمرو أخت عثمان لأمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، ففارقها حين عزله[1].

وقال عبد الله بن محمد عن أبيه: كان محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة بمصر يحرضان على عثمان، فقدم محمد بن أبي بكر، وأقام محمد بن أبي حذيفة بمصر.

فلما خرج المصريون خرج عبد الرحمن بن عديس البلوي في خمسمائة، وأظهروا أنهم يريدون العمرة، وخرجوا في رجب، وبعث عبد الله بن سعد رسولاً سار إحدى عشرة ليلة يخبر عثمان أن ابن عديس وأصحابه قد وجهوا نحوه، وأن محمد بن أبي حذيفة شيعهم إلى عجرود، ثم رجع وأظهر محمد إن قال: خرج القوم عماراً، وقال في السر: خرج القوم إلى

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن أبي عون به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٥٦- ٣٥٧) معلقاً عن الواقدي به.

إمامهم فإن نزع وإلا قتلوه، وسار القوم المنازل لم يعدوها حتى نزلوا ذا خُشُب.

وقال عثمان قبل قدومهم حين جاءه رسول عبد الله بن سعد: هؤلاء قوم من أهل مصر يريدون -بزعمهم- العمرة، والله ما أراهم يريدونها، ولكن الناس قد دخل بهم، وأسرعوا إلى الفتنة، وطال عليهم عمري، أما والله لئن فارقتهم ليتمنون أن عمري كان طال عليهم مكان كل يوم بسنة مما يرون من الدماء المسفوكة، والإحن والأثرة الظاهرة، والأحكام المغيرة!

قال: فلما نزل القوم ذا خُشُب جاء الخبر أن القوم يريدون قتل عثمان إن لم ينزع، وأتى رسولهم إلى علي ليلاً، وإلى طلحة، وإلى عمار بن ياسر.

وكتب محمد بن أبي حذيفة معهم إلى علي كتاباً، فجاءوا بالكتاب إلى علي، فلم يظهر على ما فيه، فلما رأى عثمان ما رأى جاء علياً فدخل عليه بيته، فقال: يا ابن عم، إنه ليس لي مترك، وإن قرابتي قريبة، ولي حق عظيم عليك، وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم، وهم مصبحي، وأنا أعلم أن لك عند الناس قدراً، وأنهم يسمعون منك، فأنا أحب أن تركب إليهم فتردهم عني، فإني لا أحب أن يدخلوا علي، فإن ذلك جرأة منهم علي،

وليسمع بذلك غيرهم.

فقال علي: علام أردهم؟

قال: على أن أصير إلى ما أشرت به علي ورأيته لي، ولست أخرج من يديك.

فقال علي: إني قد كنت كلمتك مرة بعد مرة، فكل ذلك نخرج فتكلم، ونقول وتقول، وذلك كله فعل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وابن عامر ومعاوية، أطعتهم وعصيتني!

قال عثمان: فإني أعصيهم وأطيعك.

قال: فأمر الناس، فركبوا معه المهاجرون والأنصار.

قال: وأرسل عثمان إلى عمار بن ياسر، يكلمه أن يركب مع علي فأبى، فأرسل عثمان إلى سعد بن أبي وقاص، فكلمه أن يأتي عماراً فيكلمه أن يركب مع علي.

قال: فخرج سعد حتى دخل على عمار، فقال: يا أبا اليقظان، ألا تخرج فيمن يخرج! وهذا علي يخرج فاخرج معه، واردد هؤلاء القوم عن إمامك، فإني لأحسب أنك لم تركب مركباً هو خير لك منه.

قال: وأرسل عثمان إلى كثير بن الصلت الكندي -وكان من أعوان عثمان- فقال: انطلق في إثر سعد فاسمع ما يقول سعد لعمار، وما يرد عمار على سعد، ثم ائتني سريعاً.

قال: فخرج كثير حتى يجد سعداً عند عمار مخلياً به، فألقم عينه جحر الباب، فقام إليه عمار ولا يعرفه، وفي يده قضيب، فأدخل القضيب الجحر الذي ألقمه كثير عينه، فأخرج كثير عينه من الجحر، وولى مدبراً متقنعاً، فخرج عمار فعرف أثره، ونادى: يا قليل! ابن أم قليل! أعلي تطلع وتستمع حديثي! والله لو دريت أنك هو لفقأت عينك بالقضيب، فإن رسول الله ﷺ قد أحل ذلك[١]، ثم رجع عمار إلى سعد، فكلمه سعد وجعل يفتله بكل وجه، فكان آخر ذلك أن قال عمار: والله لا أردهم عنه أبداً.

فرجع سعد إلى عثمان، فأخبره بقول عمار، فاتهم عثمان سعداً أن يكون لم يناصحه، فأقسم له سعد بالله، لقد حُرِّض فقبل منه عثمان.

قال: وركب علي عليه السلام إلى أهل مصر، فردهم عنه، فانصرفوا راجعين[٢].

١- أخرج البخاري (رقم/ ٦٨٨٨)، ومسلم (رقم/ ٢١٥٨) عن أبي هريرة مرفوعاً: «لو اطلع في بيتك أحد، ولم تأذن له، خذفته بحصاة، ففقأت عينه ما كان عليك من جناح».

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن عبد الله بن محمد به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٥٧- ٣٥٩) معلقاً عن الواقدي به.

وقال محمود بن لَبيد: لما نزلوا ذا خُشُب، كلم عثمان علياً وأصحاب رسول الله ﷺ أن يردوهم عنه، فركب علي وركب معه نفر من المهاجرين، فيهم: سعيد بن زيد، وأبو جهم العدوي، وجبير بن مطعم، وحكيم بن حزام، ومروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، وخرج من الأنصار أبو أُسيد الساعدي، وأبو حميد الساعدي، وزيد بن ثابت، وحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومعهم من العرب نيار بن مكرم وغيرهم ثلاثون رجلاً، وكلمهم علي ومحمد بن مسلمة -وهما اللذان قدما- فسمعوا مقالتهما، ورجعوا.

قال محمود: فأخبرني محمد بن مسلمة، قال: ما برحنا من ذي خُشُب حتى رحلوا راجعين إلى مصر، وجعلوا يسلمون علي، فما أنسى قول عبد الرحمن بن عديس: أتوصينا يا أبا عبد الرحمن بحاجة؟

قال: قلت: تتقي الله وحده لا شريك له، وترد من قبلك عن إمامه، فإنه قد وعدنا أن يرجع وينزع.

قال ابن عديس: أفعل إن شاء الله.

قال: فرجع القوم إلى المدينة[١].

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي بإسناده عن محمود به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٥٩-٣٦٠) معلقاً عن الواقدي به.

وقال عبد الله بن محمد عن أبيه: لما رجع علي عليه السلام إلى عثمان رضي الله عنه، أخبره أنهم قد رجعوا، وكلمه علي كلاماً في نفسه، قال له: اعلم أني قائل فيك أكثر مما قلت.

قال: ثم خرج إلى بيته، قال: فمكث عثمان ذلك اليوم، حتى إذا كان الغد جاءه مروان، فقال له: تكلم وأعلم الناس أن أهل مصر قد رجعوا، وأن ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً، فإن خطبتك تسير في البلاد قبل أن يتحلب الناس عليك من أمصارهم، فيأتيك من لا تستطيع دفعه.

قال: فأبى عثمان أن يخرج.

قال: فلم يزل به مروان حتى خرج فجلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر، فلما تيقنوا أنه باطل ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم.

قال: فناداه عمرو بن العاص من ناحية المسجد: اتق الله يا عثمان، فإنك قد ركبت نهابير وركبناها معك، فتب إلى الله نتب.

قال: فناداه عثمان، وإنك هناك يا ابن النابغة! قَمِلَتْ والله جبتك منذ تركتك من العمل.

قال: فنودي من ناحية أخرى: تب إلى الله وأظهر التوبة يكف الناس عنك.

قال: فرفع عثمان يديه مداً واستقبل القبلة، فقال: اللهم إني أول تائب تاب إليك.

ورجع إلى منزله، وخرج عمرو بن العاص حتى نزل منزله بفلسطين، فكان يقول: والله إني كنت لألقى الراعي فأحرضه عليه(١).

وقال علي بن عمر عن أبيه: ثم إن علياً جاء عثمان بعد انصراف المصريين، فقال له: تكلم كلاماً يسمعه الناس منك ويشهدون عليه، ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والإنابة، فإن البلاد قد تمخضت عليك، فلا آمن ركباً آخرين يقدمون من الكوفة، فتقول: يا علي، اركب إليهم، ولا أقدر أن أركب إليهم، ولا أسمع عذراً، ويقدم ركب آخرون من البصرة، فتقول: يا علي اركب إليهم، فإن لم أفعل رأيتني قد قطعت رحمك، واستخففت بحقك.

قال: فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها، وأعطى الناس من نفسه التوبة، فقام فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله، وما جئت شيئاً إلا وأنا أعرفه، ولكني منتني نفسي وكذبتني، وضل عني رشدي، ولقد

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن عبد الله بن محمد به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٦٠) معلقاً عن الواقدي به.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زل فليتب، ومن أخطأ فليتب، ولا يتماد في الهلكة، إنَّ من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق»[١]، فأنا أول من اتعظ، أستغفر الله مما فعلت وأتوب إليه، فمثلي نزع وتاب، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم، فو الله لئن ردني الحق عبداً لأستن بسنة العبد، ولأذلن ذل العبد، ولأكونن كالمرقوق، إن ملك صبر، وإن عتق شكر، وما عن الله مذهب إلا إليه، فلا يعجزن عنكم خياركم أن يدنوا إلي، لئن أبت يميني لتتابعني شمالي.

قال: فرق الناس له يومئذ، وبكى من بكى منهم، وقام إليه سعيد بن زيد، فقال: يا أمير المؤمنين، ليس بواصل لك من ليس معك، الله الله في نفسك! فأتمم على ما قلت.

فلما نزل عثمان وجد في منزله مروان وسعيداً ونفراً من بني أمية، ولم يكونوا شهدوا الخطبة، فلما جلس، قال مروان: يا أمير المؤمنين، أتكلم أم أصمت؟

فقالت نائلة ابنة الفرافصة، امرأة عثمان الكلبية: لا، بل اصمت، فإنهم والله قاتلوه ومؤثموه، إنه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها.

١- لم أقف عليه مسنداً.

فأقبل عليها مروان، فقال: ما أنتِ وذاك! فوالله لقد مات أبوك وما يحسن يتوضأ.

فقالت له: مهلاً يا مروان عن ذكر الآباء، تخبر عن أبي وهو غائب تكذب عليه! وإن أباك لا يستطيع أن يدفع عنه، أما والله لولا أنه عمه، وأنه يناله غمه، أخبرتك عنه ما لن أكذب عليه.

قال: فأعرض عنها مروان، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أتكلم أم أصمت؟

قال: بل تكلم.

فقال مروان: بأبي أنت وأمي! والله لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع منيع، فكنت أول من رضي بها، وأعان عليها، ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزامُ الطُّبْيَيْنِ[1]، وخلف السيل الزبى، وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل، والله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوف عليها، وإنك إن شئت تقربت بالتوبة ولم تقرر بالخطيئة، وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس.

١- الحزام ما يشد به وسط الدابة؛ والطُّبي حلمة ضرعها. يجب أن لا يتجاوز الحزام ناقة ذات لبن لكي يقدر الإنسان أن يحلبها وإلا ضاع نفعها عند الحاجة، وهذا كناية عن المبالغة في تجاوز حد الشر والأذى، لأن الحزام إذا انتهى إلى الطُّبْيَيْن فقد انتهى إلى أبعد غاياته، فكيف إذا جاوزه؛ انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ١١٥).

فقال عثمان: فاخرج إليهم فكلمهم، فإني أستحي أن أكلمهم.

قال: فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً، فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهب! شاهت الوجوه! كل إنسان آخذ بإذن صاحبه ألا من أريد! جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا! اخرجوا عنا، أما والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم، ولا تحمدوا غب رأيكم، ارجعوا إلى منازلكم، فإنا والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا.

قال: فرجع الناس، وخرج بعضهم حتى أتى علياً فأخبره الخبر، فجاء علي عليه السلام مغضباً، حتى دخل على عثمان، فقال: أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بتحرفك عن دينك وعن عقلك، مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار به، والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه، وايم الله إني لأراه سيوردك ثم لا يصدرك، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك، وغلبت على أمرك.

فلما خرج علي، دخلت عليه نائلة ابنة الفرافصة امرأته، فقالت: أتكلم أو أسكت؟

فقال: تكلمي.

فقالت: قد سمعت قول علي لك، وإنه ليس يعاودك، وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء!

قال: فما أصنع؟

قالت: تتقي الله وحده لا شريك له، وتتبع سنة صاحبيك من قبلك، فإنك متى أطعت مروان قتلك، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة، وإنما تركك الناس لمكان مروان، فأرسل إلى علي فاستصلحه، فإن له قرابة منك، وهو لا يعصى.

قال: فأرسل عثمان إلى علي، فأبى أن يأتيه، وقال: قد أعلمته أني لست بعائد.

قال: فبلغ مروان مقالة نائلة فيه.

قال: فجاء إلى عثمان فجلس بين يديه، فقال: أتكلم أو أسكت؟

فقال: تكلم.

فقال: إن بنت الفرافصة!

فقال عثمان: لا تذكرنها بحرف فأسوي لك وجهك، فهي والله أنصح لي منك.

قال: فكف مروان[١].

وقال شرحبيل بن أبي عون عن أبيه: سمعت عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث يذكر مروان بن الحكم، قال: قبح الله مروان! خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرضا، وبكى على المنبر وبكى الناس حتى نظرت إلى لحية عثمان مخضلة من الدموع، وهو يقول: اللهم إني أتوب إليك، اللهم إني أتوب إليك، اللهم إني أتوب إليك! والله لئن ردني الحق إلى أن أكون عبداً قناً لأرضين به، إذا دخلت منزلي فادخلوا علي، فو الله لا أحتجب منكم، ولأعطينكم الرضا، ولأزيدنكم على الرضا، ولأنحين مروان وذويه.

قال: فلما دخل، أمر بالباب ففتح، ودخل بيته، ودخل عليه مروان، فلم يزل يفتله في الذروة والغارب حتى فتله عن رأيه، وأزاله عما كان يريد، فلقد مكث عثمان ثلاثة أيام ما خرج استحياء من الناس.

وخرج مروان إلى الناس، فقال: شاهت الوجوه! ألا من أريد! ارجعوا إلى منازلكم، فإن يكن لأمير المؤمنين حاجة بأحد منكم يرسل إليه، وإلا قر في بيته.

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن علي بن عمر به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٦٠-٣٦٣) معلقاً عن الواقدي به.

قال عبد الرحمن: فجئت إلى علي فأجده بين القبر والمنبر، وأجد عنده عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر، وهما يقولان: صنع مروان بالناس وصنع!

قال: فأقبل عليَّ عليٌّ، فقال: أحضرت خطبة عثمان؟

قلت: نعم.

قال: أفحضرت مقالة مروان للناس؟

قلت: نعم.

قال علي: عياذ الله، يا للمسلمين! إني إن قعدت في بيتي، قال لي: تركتني وقرابتي وحقي، وإني إن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان، فصار سيقة له يسوقه حيث شاء بعد كبر السن وصحبة رسول الله ﷺ.

قال عبد الرحمن بن الأسود: فلم يزل حتى جاء رسول عثمان: ائتني، فقال علي بصوت مرتفع عال مغضب: قل له: ما أنا بداخل عليك ولا عائد.

قال: فانصرف الرسول.

قال: فلقيت عثمان بعد ذلك بليلتين خائباً، فسألت ناتلاً غلامه: من أين جاء أمير المؤمنين؟

فقال: كان عند علي.

فقال عبد الرحمن بن الأسود: فغدوت فجلست مع علي، فقال لي: جاءني عثمان البارحة، فجعل يقول: إني غير عائد، وإني فاعل.

قال: فقلت له: بعد ما تكلمت به على منبر رسول الله ﷺ، وأعطيت من نفسك، ثم دخلت بيتك، وخرج مروان إلى الناس فشتمهم على بابك ويؤذيهم!

قال: فرجع وهو يقول: قطعت رحمي وخذلتني، وجرأت الناس علي.

فقلت: والله إني لأذب الناس عنك، ولكنى كلا جئتك بهنة أظنها لك رضا جاء بأخرى، فسمعت قول مروان علي، واستدخلت مروان.

قال: ثم انصرف إلى بيته.

قال عبد الرحمن بن الأسود: فلم أزل أرى علياً منكباً عنه لا يفعل ما كان يفعل، إلا أني أعلم أنه قد كلم طلحة حين حصر في أن يدخل عليه الروايا، وغضب في ذلك غضباً شديداً، حتى دخلت الروايا على عثمان[1].

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن شرحبيل به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٦٣-٣٦٤) معلقاً عن الواقدي به.

ووصله البلاذري في «أنساب الأشراف» (٥/ ٥٥٤) عن محمد بن سعد عن الواقدي به.

وقال إسماعيل بن محمد: إن عثمان صعد يوم الجمعة المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، فقام رجل، فقال: أقم كتاب الله.

فقال عثمان: اجلس، فجلس حتى قام ثلاثاً، فأمر به عثمان فجلس، فتحاثوا بالحصباء حتى ما ترى السماء، وسقط عن المنبر، وحمل فأدخل داره مغشياً عليه.

فخرج رجل من حجاب عثمان، ومعه مصحف في يده، وهو ينادي: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾(١).

ودخل علي بن أبي طالب على عثمان رضي الله عنهما، وهو مغشي عليه، وبنو أمية حوله، فقال: مالك يا أمير المؤمنين؟

فأقبلت بنو أمية بمنطق واحد، فقالوا: يا علي أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع بأمير المؤمنين! أما والله لئن بلغت الذي تريد لتمرن عليك الدنيا فقام علي مغضباً(٢).

١- [الأنعام: ١٥٩].

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن إسماعيل به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٦٣- ٣٦٤) معلقاً عن الواقدي به.

كلام عثمان بن عفان ﵁ واحتجاجه وهو محصور

عن ثمامة بن حزن القشيري، قال: شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان، فقال: ائتوني بصاحبيكم اللذين ألباكم علي.

قال: فجيء بهما، فكأنهما جملان أو كأنهما حماران.

قال: فأشرف عليهم عثمان، فقال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال رسول الله ﷺ: «**من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة**»؟ فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها حتى أشرب من ماء البحر!

قالوا: اللهم نعم.

فقال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله، فقال رسول الله ﷺ: «**من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة**»؟ فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم بالله وبالإسلام، هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي؟

قالوا: اللهم نعم.

ثم قال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا، فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض، قال: فركضه برجله، وقال: «اسكن ثبير فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: الله أكبر! شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد -ثلاثاً-(١).

وعن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: لما حصر عثمان، أشرف عليهم فوق داره، ثم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن حراء حين انتفض قال رسول الله ﷺ: «اثبت حراء فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»؟

قالوا: نعم.

١- [حسن]: أخرجه الإمام أحمد (١/ ٧٤)، والترمذي (رقم/ ٣٧٠٣)، والنسائي (٦/ ٢٣٥)، وحسنه الترمذي، وصححه ابن خزيمة (رقم/ ٢٤٩٢)، والضياء في «المختارة» (١/ ٤٤٧).

قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال في جيش العسرة: «من ينفق نفقة متقبلة»، والناس مجهدون معسرون فجهزت ذلك الجيش؟

قالوا: نعم.

ثم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بثمن فابتعتها فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل؟

قالوا: اللهم نعم. وأشياء عددها[1].

وذكر أبو سلمة بن عبد الرحمن مثل ذلك، وزاد: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان إذ بعثني إلى المشركين، إلى أهل مكة، قال: «هذه يدي، وهذه يد عثمان»، فبايع لي؟

فانتشد له رجال[2].

وعن أبي أمامة بن سهل، قال: كنا مع عثمان وهو محصور في الدار،

١- [صحيح]: أخرجه البخاري (٤/ ١٣) معلقاً، ووصله الترمذي (رقم/ ٣٦٩٩)، والنسائي (٦/ ٢٣٦)، وصححه الترمذي، وابن خزيمة (رقم/ ٢٤٩١)، وابن حبان (رقم/ ٦٩١٦)، والحاكم (١/ ٥٨٠).

٢- [صحيح لغيره]: أخرجه الإمام أحمد (١/ ٥٩)، والنسائي (٦/ ٢٣٦)، وصححه الضياء في «المختارة» (١/ ٥٢٨)، وانظر: «فتح الباري» لابن رجب (٢/ ٤٨٥).

فدخل مدخلاً كان إذا دخله يسمع كلامه من على البلاط، قال: فدخل ذلك المدخل وخرج إلينا، فقال: إنهم يتوعدونني بالقتل آنفا.

قال: قلنا: يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين.

قال: وبم يقتلونني؟! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً فيقتل بها»، فوالله ما أحببت أن لي بديني بدلاً منذ هداني الله، ولا زنيت في جاهلية ولا في إسلام قط، ولا قتلت نفساً، فبم يقتلونني؟![1].

وذكر عبد الله بن عمر[2]، وميمون بن مهران[3] نحو ذلك.

وعن أبي ليلى الكندي، قال: رأيت عثمان رضي الله عنه أشرف على الناس وهو محصور، فقال: يا أيها الناس لا تقتلوني واستعتبوني، فوالله لئن قتلتموني لا

١- [صحيح]: أخرجه الإمام أحمد (١/ ٦١)، وأبو داود (رقم/ ٤٥٠٤)، والترمذي (رقم/ ٢١٥٨)، والنسائي (٧/ ٩١)، وابن ماجه (رقم/ ٢٥٣٣)، وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم (٤/ ٣٩٠)، والضياء في «المختارة» (١/ ٤٤٣).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه الإمام أحمد (١/ ٦٣)، وصححه الضياء في «المختارة» (١/ ٤٩٧).

٣- [رجاله ثقات]: أخرجه البلاذري في «أنساب الأشراف» (٥/ ٥٦٦).

تصلون جميعاً أبداً، ولتختلفن حتى تصيروا هكذا -وشبك بين أصابعه- ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾[١].

قال: وأرسل إلى عبد الله بن سلام رضي الله عنه فسأله، فقال: الكف الكف، فهو أبلغ لك في الحجة.

قال: فدخلوا عليه فقتلوه وهو صائم[٢].

كراهية عثمان بن عفان رضي الله عنه القتال ونهيه لأصحابه عنه

جاء زيد بن ثابت إلى عثمان يوم الدار، فقال: هذه الأنصار بالباب، قالوا: إن شئت أن نكون أنصار الله مرتين.

فقال: أما القتال فلا[٣].

وقال حارثة بن النعمان لعثمان وهو محصور: إن شئت أن نقاتل دونك[٤].

١- [هود: ٨٩].

٢- [إسناده حسن]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٨٢٣٥)، وابن شبة (٤/ ١١٨٩).

٣- [رجاله ثقات]: أخرجه ابن سعد (٣/ ٧٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٨٢٣٧)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (رقم/ ٤٥٦).

٤- [إسناده صحيح]: أخرجه البخاري في «التاريخ الأوسط» (١/ ٧٦).

وكان عبد الله بن عمر يومئذ متقلداً سيفه(١)، ولبس الدرع مرتين(٢)، حتى عزم عليه عثمان أن يخرج مخافة أن يقتل.

وقال: صحبتُ رسول الله ﷺ، فلا أعلمه ظل يوماً ولا بات ليلة إلا وهو عني راض، ثم صحبت أبا بكر فكان كذلك، ثم صحبت عمر فرأيت له حقين: حق الأبوة وحق الإمامة، فكان كذلك، ثم صحبتك يا أمير المؤمنين فرأيت لك مثل الذي رأيت لمن مضى، أو كما قال.

فقال له عثمان: جزاكم الله خيرا يا آل عمر.

وسأله عن القوم، فقال: اعرض عليهم كتاب الله، فإن أبوه فهو خير لك وشر لهم، وإن قبلوه فهو خير لهم، وخير لك(٣).

وعن أبي هريرة؛ قال: أتيت عثمان بن عفان رضي الله عنه يوم الدار، فقلت: جئت أقاتل معك.

قال: أيسرك أن تقتل الناس كلهم؟

١- [إسناده حسن]: أخرجه خليفة بن خياط في «تاريخه» (ص/ ١٧٣).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (رقم/ ٧٦٣)، وعبد الله ابنه في «فضائل عثمان» (رقم/ ٥٣).

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه البلاذري في «أنساب الأشراف» (٥/ ٥٨٦).

قلت: لا.

قال: فإنك إن قتلت نفساً واحدة كأنك قتلت الناس كلهم[١].

فقال: انصرف مأذوناً غير مأزور.

قال: ثم جاء الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، فقال: جئت يا أمير المؤمنين أقاتل معك، فأمرني بأمرك.

فالتفت عثمان إليه، فقال: انصرف مأذوناً لك، مأجوراً غير مأزور، جزاكم الله من أهل بيت خيراً[٢].

وعن أبي هريرة كذلك قال: كنت في الدار يوم قتل عثمان فسمعته يقول: عزمت على من رأى لنا عليه سمعاً وطاعة أن يلقي سلاحه، فألقى القوم أسلحتهم إلا مروان فإنه قال: وأنا أعزم على نفسي ألا ألقي سلاحي.

قال: وكان شجاعاً، قال أبو هريرة: فألقيت سيفي فلا أدري من

١- يشير إلى قوله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن سعد (٣/ ٧٠)، والدينوري في «المجالسة» (رقم/ ٢٨٣).

أخذه[١].

وعن ابن الزبير قال: دخلت على أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين إن بالباب عصابة مستبصرة قد ينصر الله بأقل منهم.

فقال: أنشد الله رجلاً يرى لله عليه حقاً، ويرى لي عليه حقاً أن يهريق دمي، أو يهريق لي دماً[٢].

وعن عبد الله بن الزبير كذلك، قال: قلت لعثمان يوم الدار: قاتِلْهم، فوالله لقد أحل الله لك قتالهم.

فقال: لا، والله لا أقاتلهم أبداً.

قال: فدخلوا عليه وهو صائم، قال: وقد كان عثمان أمر عبد الله بن الزبير على الدار.

وقال عثمان: من كانت لي عليه طاعة فليطع عبد الله بن الزبير[٣].

وقال قيس بن أبي حازم: حدثني أبو سهلة أن عثمان رضي الله عنه قال يوم الدار

١- [إسناده صحيح]: أخرجه البلاذري في «أنساب الأشراف» (٥/ ٥٦٣).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن سعد (٣/ ٧٠)، وخليفة بن خياط في «تاريخه» (ص/ ١٧٣)، وابن شبة (٤/ ١٢٠٨)، والبلاذري في «أنساب الأشراف» (٥/ ٥٦٤).

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن سعد (٣/ ٧٠).

حين حصر: إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً، فأنا صابر عليه.

قال قيس: فكانوا يرونه ذلك اليوم[١].

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أن أبا قتادة ورجلاً آخر معه من الأنصار دخلا على عثمان وهو محصور، فاستأذنا في الحج فأذن لهما، ثم قالا: مع من نكون إن ظهر هؤلاء القوم؟

قال: عليكم بالجماعة[٢].

قالا: أرأيت إن أصابك هؤلاء القوم، وكانت الجماعة فيهم؟

قال: الزموا الجماعة حيث كانت.

قال: فخرجنا من عنده، فلما بلغنا باب الدار لقينا الحسن بن علي داخلاً، فرجعنا على أثر الحسن لننظر ما يريد، فلما دخل الحسن عليه،

١- [إسناده صحيح]: أخرجه الإمام أحمد (١/ ٥٧)، والترمذي (رقم/ ٣٧١١)، وصححه الترمذي، والضياء (١/ ٥٢٥).

٢- قال أبو نعيم في «الإمامة» (ص/ ٣٥٧): «الجماعة التي أمر رسول الله ﷺ وأصحابه بملازمتهم هم الصحابة والتابعون من العلماء.

لا الجماعة الفسقة الجهلة الظلمة المنتهكون لحرمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشوهين لأقوالهم الوالجين دورهم وحرمهم، الذين يحمي الله بهم سقر ويصليهم نار جهنم».

قال: يا أمير المؤمنين، إنا طوع يدك، فمرني بما شئت.

فقال له عثمان: يا ابن أخي، ارجع فاجلس في بيتك حتى يأتي الله بأمره، فلا حاجة لي في هراقة الدماء(١).

وعن جُهيم، قال: ناشد عثمان رضي الله عنه الناس ألا يهريق أحد محجماً من دم.

قال: فلقد رأيت ابن الزبير يخرج في كتيبة حتى يهزمهم، لو شاءوا أن يقتلوا فيهم لقتلوا، ورأيت سعيد بن البختري فإنه ليضرب رجلاً بعرض سيفه لو شاء أن يقتله، ولكن عثمان عزم على الناس(٢).

تعليق الإمام الآجري لنهي عثمان بن عفان رضي الله عنه عن الدفاع عنه

قال الآجري: إن قال قائل: فقد علموا أنه مظلوم، وقد أشرف على القتل، فكان ينبغي لهم أن يقاتلوا عنه، وإن كان قد منعهم؟

قيل له: ما أحسنت القول؛ لأنك تكلمت بغير تمييز.

فإن قال: ولم؟

١- [إسناده صحيح]: أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد «فضائل الصحابة» (رقم/ ٥٣)، و«فضائل عثمان» (رقم/ ٤٢).

٢- [إسناده لا بأس به]: أخرجه ابن شبة (٤/ ١٢٠٩).

قيل: لأن القوم كانوا أصحاب طاعة، وفقهم الله تعالى للصواب من القول والعمل، فقد فعلوا ما يجب عليهم من الإنكار بقلوبهم وألسنتهم، وعرضوا أنفسهم لنصرته على حسب طاقتهم، فلما منعهم عثمان ﷺ من نصرته، علموا أن الواجب عليهم السمع والطاعة له، وأنهم إن خالفوه لم يسعهم ذلك، وكان الحق عندهم فيما رآه عثمان رضي الله عنه وعنهم.

فإن قال قائل: فلمَ منعهم عثمان من نصرته وهو مظلوم، وقد علم أن قتالهم عنه نهي عن منكر، وإقامة حق يقيمونه؟

قيل له: وهذا أيضاً غفلة منك.

فإن قال: وكيف؟

قيل له: منعه إياهم عن نصرته يحتمل وجوها، كلها محمودة:

أحدها: علمه بأنه مقتول مظلوم لا شك فيه؛ لأن النبي ﷺ قد أعلمه أنك تقتل مظلوماً، فاصبر، فقال: أصبر، فلما أحاطوا به علم أنه مقتول، وأن الذي قاله النبي ﷺ له حق كما قال لابد من أن يكون، ثم علم أنه قد وعده من نفسه الصبر، فصبر كما وعد، وكان عنده أن من طلب الانتصار لنفسه والذب عنها فليس هذا بصابر، إذ وعد من نفسه الصبر فهذا وجه.

ووجه آخر: وهو أنه قد علم أن في الصحابة رضي الله عنهم قلة عدد، وأن الذين يريدون قتله كثير عددهم، فلو أذن لهم بالحرب لم يأمن أن يتلف من صحابة نبيه بسببه، فوقاهم بنفسه إشفاقاً منه عليهم؛ لأنه راع والراعي واجب عليه أن يحوط رعيته بكل ما أمكنه، ومع ذلك فقد علم أنه مقتول فصانهم بنفسه، وهذا وجه.

ووجه آخر: وهو أنه لما علم أنها فتنة، وأن الفتنة إذا سل فيها السيف لم يؤمن أن يقتل فيها من لا يستحق؛ فلم يختر لأصحابه أن يسلوا في الفتنة السيف، وهذا أيضاً إشفاق منه عليهم، فتنة تعم، وتذهب فيها الأموال، وتهتك فيها الحريم، فصانهم عن جميع هذا.

ووجه آخر: يحتمل أن يصبر عن الانتصار لتكون الصحابة رضي الله عنهم شهوداً على من ظلمه، وخالف أمره، وسفك دمه بغير حق، لأن المؤمنين شهداء الله عز وجل في أرضه، ومع ذلك فلم يحب أن يهراق بسببه دم مسلم، ولا يخلف النبي ﷺ في أمته بإهراقه دم مسلم، وكذا قال رضي الله عنه، فكان عثمان رضي الله عنه بهذا الفعل موفقاً معذوراً رشيداً، وكان الصحابة رضي الله عنهم في عذر، وشقي قاتله[١].

١- «الشريعة» (٤/ ١٩٨١).

رؤيا عثمان بن عفان رضي الله عنه ليلة مقتله

عن مسلم أبي سعيد مولى عثمان بن عفان، قال: إن عثمان بن عفان أعتق عشرين مملوكاً، ودعا بسراويل فشدها عليه، ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام، وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام، ورأيت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنهم قالوا لي: اصبر؛ فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه(١).

وذكر نحو ذلك عبد الله بن عمر(٢)، ونافع مولى ابن عمر(٣)، وأبو سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري(٤)، وكثير بن الصلت(٥)، وعبد الله بن سلام(٦)، ونائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان(٧).

١- [رجاله ثقات]: أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد «المسند» (٩/ ٩٧)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٩٧): «رواه عبد الله وأبو يعلى في «الكبير»، ورجالهما ثقات».

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣١١٥١)، والحاكم (٣/ ١١٠)، وصححه.

٣- [رجاله ثقات]: أخرجه ابن سعد (٣/ ٧٤).

٤- [إسناده صحيح]: تقدم تخريجه.

٥- [إسناده لا بأس به]: أخرجه الحاكم (٣/ ١٠٦)، وصححه.

٦- [رجاله ثقات]: أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٦٢)، وابن شبة (٤/ ١٢٢٧).

٧- [إسناده ضعيف]: أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد «المسند» (١/ ٧٣)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٣٢): «رواه عبد الله، وفيه من لم أعرفهم».

مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه

قد كان لمقتل عثمان رضي الله عنه مقدمات وأسباب، وبداية ذلك كما قال عامر بن سعد: كان أول من اجترأ على عثمان بالمنطق السيئ جبلة بن عمرو الساعدي، مر به عثمان وهو جالس في ندي قومه، وفي يد جبلة بن عمرو جَامِعَة[١]، فلما مر عثمان سلم، فرد القوم.

فقال جبلة: لم تردون على رجل فعل كذا وكذا!

قال: ثم أقبل على عثمان، فقال: والله لأطرحن هذه الجَامِعَة في عنقك أو لتتركن بطانتك هذه.

قال عثمان: أي بطانة؟! فوالله إني لأتخير الناس!

فقال: مروان تخيرته! ومعاوية تخيرته! وعبد الله بن عامر بن كُريز تخيرته! وعبد الله بن سعد تخيرته! منهم من نزل القرآن بدمه، وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه.

قال: فانصرف عثمان، فما زال الناس مجترئين عليه إلى هذا اليوم[٢].

١- الجامعة: غل يوضع في العنق أو اليد؛ انظر: «المحكم والمحيط الأعظم» (٥/ ٣٧٠).

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي بإسناده عن عامر به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٦٥-٣٦٦) معلقاً عن الواقدي به.

وقال أبو حبيبة[1]: خطب عثمان الناس في بعض أيامه، فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين، إنك قد ركبت نهابير وركبناها معك، فتب نتب.

فاستقبل عثمان القبلة، وشهر يديه -قال أبو حبيبة: فلم أر يوماً أكثر باكياً ولا باكية من يومئذ- ثم لما كان بعد ذلك خطب الناس، فقام إليه جهجاه الغفاري، فصاح: يا عثمان، ألا إن هذه شارف قد جئنا بها، عليها عباءة وجَامِعَة، فانزل فلندرعك العباءة، ولنطرحك في الجَامِعَة، ولنحملك على الشارف، ثم نطرحك في جبل الدخان.

فقال عثمان: قبحك الله وقبح ما جئت به!

قال أبو حبيبة: ولم يكن ذلك منه إلا عن ملأ من الناس.

وقام إلى عثمان خيرته وشيعته من بني أمية فحملوه فأدخلوه الدار.

قال أبو حبيبة: فكان آخر ما رأيته فيه[2].

وقال عبد الرحمن بن خاطب: أنا أنظر إلى عثمان يخطب على عصا النبي ﷺ التي كان يخطب عليها وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال

١- هو: مولى الزبير بن العوام، وتقدم التعريف به.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي بإسناده عن أبي حبيبة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٦٦) معلقاً عن الواقدي به.

له جهجاه: قم يا نعثل، فانزل عن هذا المنبر، وأخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى، فدخلت شظية منها فيها، فبقي الجرح حتى أصابته الأكلة، فرأيتها تدود.

فنزل عثمان وحملوه وأمر بالعصا فشدوها، فكانت مضببة، فما خرج بعد ذلك اليوم إلا خرجة أو خرجتين حتى حصر فقتل[١].

وقال نافع: إن جهجاهاً الغفاري، أخذ عصا كانت في يد عثمان، فكسرها على ركبته، فرمي في ذلك المكان بأكلة[٢].

وقال عبد الرحمن بن يسار: لما رأى الناس ما صنع عثمان كتب مَن بالمدينة من أصحاب النبي ﷺ إلى من بالآفاق منهم -وكانوا قد تفرقوا في الثغور-: إنكم إنما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عز وجل، تطلبون دين محمد ﷺ، فإن دين محمد قد أفسد من خلفكم وترك، فهلموا فأقيموا دين محمد ﷺ.

فأقبلوا من كل أفق حتى قتلوه، وكتب عثمان إلى عبد الله بن سعد بن أبي

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي بإسناده عن عبد الرحمن به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٦٦- ٣٦٧) معلقاً عن الواقدي به، وانظر: الأثر التالي.

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة (رقم/ ٣٨٢٣٩)، والطبري (٤/ ٣٦٥).

سرح عامله على مصر -حين تراجع الناس عنه، وزعم أنه تائب- بكتاب في الذين شخصوا من مصر، وكانوا أشد أهل الأمصار عليه: أما بعد، فانظر فلاناً وفلاناً فاضرب أعناقهم إذا قدموا عليك، فانظر فلاناً وفلاناً فعاقبهم بكذا وكذا -منهم: نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، ومنهم: قوم من التابعين- فكان رسوله في ذلك أبو الأعور بن سفيان السلمي، حمله عثمان على جمل له، ثم أمره أن يقبل حتى يدخل مصر قبل أن يدخلها القوم، فلحقهم أبو الأعور ببعض الطريق، فسألوه: أين يريد؟

قال: أريد مصر، ومعه رجل من أهل الشام من خولان.

فلما رأوه على جمل عثمان، قالوا له: هل معك كتاب؟

قال: لا.

قالوا: فيم أرسلت؟

قال: لا علم لي.

قالوا: ليس معك كتاب! ولا علم لك بما أرسلت! إن أمرك لمريب!

ففتشوه، فوجدوا معه كتاباً في إداوة يابسة، فنظروا في الكتاب، فإذا فيه قتل بعضهم، وعقوبة بعضهم في أنفسهم وأموالهم، فلما رأوا ذلك رجعوا

إلى المدينة، فبلغ الناس رجوعهم، والذي كان من أمرهم فتراجعوا من الآفاق كلها، وثار أهل المدينة[١].

وقال محمد بن السائب الكلبي: إنما رد أهل مصر إلى عثمان بعد انصرافهم عنه أنه أدركهم غلام لعثمان على جمل له بصحيفة إلى أمير مصر أن يقتل بعضهم، وأن يصلب بعضهم.

فلما أتوا عثمان، قالوا: هذا غلامك؟

قال: غلامي انطلق بغير علمي.

قالوا: جملك؟

قال: أخذه من الدار بغير أمري.

قالوا: خاتمك؟

قال: نقش عليه.

فقال عبد الرحمن بن عديس التجيبي حين أقبل أهل مصر:

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٣٦٧).

أقبلن من بلبيس والصعيد

خوصاً كأمثال القسي قود

مستحقبات حلق الحديد

يطلبن حق الله في الوليد

وعند عثمان وفي سعيد

يا رب فارجعنا بما نريد

فلما رأى عثمان ما قد نزل به، وما قد انبعث عليه من الناس، كتب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشام:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فإن أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة، ونكثوا البيعة، فابعث إلي من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول.

فلما جاء معاوية الكتاب تربص به، وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ، وقد علم اجتماعهم، فلما أبطأ أمره على عثمان كتب إلى يزيد بن أسد بن كُرْز، وإلى أهل الشام يستنفرهم ويعظم حقه عليهم، ويذكر الخلفاء وما أمر الله عز وجل به من طاعتهم ومناصحتهم، ووعدهم أن ينجدهم

جند أو بطانة دون الناس، وذكرهم بلاءه عندهم، وصنيعه إليهم، فإن كان عندكم غياث فالعجل العجل، فإن القوم معاجلي.

فلما قرئ كتابه عليهم، قام يزيد بن أسد بن كُرْز البجلي ثم القسري، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر عثمان، فعظم حقه، وحضهم على نصره، وأمرهم بالمسير إليه فتابعه ناس كثير، وساروا معه حتى إذا كانوا بوادي القرى، بلغهم قتل عثمان رضي الله عنه، فرجعوا.

وكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر: أن اندب إلي أهل البصرة -نسخة كتابه إلى أهل الشام-.

فجمع عبد الله بن عامر الناس، فقرأ كتابه عليهم، فقامت خطباء من أهل البصرة يحضونه على نصر عثمان والمسير إليه، فيهم: مجاشع بن مسعود السلمي، وكان أول من تكلم، وهو يومئذ سيد قيس بالبصرة.

وقام أيضا قيس بن الهيثم السلمي، فخطب وحض الناس على نصر عثمان، فسارع الناس إلى ذلك، فاستعمل عليهم عبد الله بن عامر مجاشع بن مسعود فسار بهم، حتى إذا نزل الناس الربذة، ونزلت مقدمته عند صرار -ناحية من المدينة- أتاهم قتل عثمان[1].

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٣٦٨- ٣٦٩) بإسناد ضعيف عن الكلبي، والكلبي متهم.

وقال عباد بن عبد الله بن الزبير: كتب أهل مصر بالسقيا أو بذي خُشُب إلى عثمان بكتاب، فجاء به رجل منهم حتى دخل به عليه، فلم يرد عليه شيئاً، فأمر به فأخرج من الدار، وكان أهل مصر الذين ساروا إلى عثمان ستمائة رجل على أربعة ألوية، لها رءوس أربعة، مع كل رجل منهم لواء، وكان جماع أمرهم جميعاً إلى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي -وكان من أصحاب النبي ﷺ، وإلى عبد الرحمن بن عديس التجيبي، فكان فيما كتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فاعلم أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فالله الله! ثم الله الله! فإنك على دنيا فاستتم إليها معها آخرة، ولا تلبس نصيبك من الآخرة، فلا تسوغ لك الدنيا.

واعلم أَنَّا والله لله نغضب، وفي الله نرضى، وأَنَّا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرحة، أو ضلالة مجلحة مبلجة، فهذه مقالتنا لك، وقضيتنا إليك، والله عذيرنا منك والسلام.

وكتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة، ويحتجون ويقسمون له بالله لا يمسكون عنه أبداً حتى يقتلوه، أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله.

فلما خاف القتل شاور نصحاءه وأهل بيته، فقال لهم: قد صنع القوم ما قد رأيتم، فما المخرج؟

فأشاروا عليه أن يرسل إلى علي بن أبي طالب، فيطلب إليه أن يردهم عنه، ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه أمداد.

فقال: إن القوم لن يقبلوا التعليل، وهم محملي عهداً، وقد كان مني في قدمتهم الأولى ما كان، فمتى أعطهم ذلك يسألوني الوفاء به!

فقال مروان بن الحكم: يا أمير المؤمنين، مقاربتهم حتى تقوى أمثل من مكاثرتهم على القرب، فأعطهم ما سألوك، وطاولهم ما طاولوك، فإنما هم بغوا عليك، فلا عهد لهم.

فأرسلَ إلى علي فدعاه، فلما جاءه قال: يا أبا حسن، إنه قد كان من الناس ما قد رأيت، وكان مني ما قد علمت، ولست آمنهم على قتلي، فارددهم عني، فإن لهم الله عز وجل أن أعتبهم من كل ما يكرهون، وأن أعطيهم الحق من نفسي ومن غيري، وإن كان في ذلك سفك دمي.

فقال له علي: الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، وإني لأرى قوماً لا يرضون إلا بالرضا، وقد كنت أعطيتهم في قدمتهم الأولى عهداً من

الله: لترجعن عن جميع ما نقموا، فرددتهم عنك، ثم لم تف لهم بشيء من ذلك، فلا تغرني هذه المرة من شيء فإني معطيهم عليك الحق.

قال: نعم، فأعطهم، فو الله لأفين لهم.

فخرج علي إلى الناس، فقال: أيها الناس، إنكم إنما طلبتم الحق فقد أعطيتموه، إن عثمان قد زعم أنه منصفكم من نفسه ومن غيره، وراجع عن جميع ما تكرهون، فاقبلوا منه ووكدوا عليه.

قال الناس: قد قبلنا فاستوثق منه لنا، فإنا والله لا نرضى بقول دون فعل.

فقال لهم علي: ذلك لكم ثم دخل عليه فأخبره الخبر.

فقال عثمان: اضرب بيني وبينهم أجلاً يكون لي فيه مهلة، فإني لا أقدر على رد ما كرهوا في يوم واحد.

قال له علي: ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك.

قال: نعم، ولكن أجلني فيها بالمدينة ثلاثة أيام.

قال علي: نعم.

فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً أجله فيه ثلاثاً، على أن يرد كل مظلمة، ويعزل كل عامل كرهوه، ثم أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد وميثاق، وأشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار.

فكف المسلمون عنه ورجعوا إلى أن يفي لهم بما أعطاهم من نفسه.

فجعل يتأهب للقتال، ويستعد بالسلاح، وقد كان اتخذ جنداً عظيماً من رقيق الخمس.

فلما مضت الأيام الثلاثة، وهو على حاله لم يغير شيئاً مما كرهوه، ولم يعزل عاملاً، ثار به الناس، وخرج عمرو بن حزم الأنصاري حتى أتى المصريين وهم بذي خُشُب، فأخبرهم الخبر، وسار معهم حتى قدموا المدينة، فأرسلوا إلى عثمان: ألم نفارقك على أنك زعمت أنك تائب من أحداثك، وراجع عما كرهنا منك، وأعطيتنا على ذلك عهد الله وميثاقه؟!

قال: بلى، أنا على ذلك.

قالوا: فما هذا الكتاب الذي وجدنا مع رسولك، وكتبت به إلى

عاملك؟

قال: ما فعلت، ولا لي علم بما تقولون.

قالوا: بريدك على جملك، وكتاب كاتبك عليه خاتمك.

قال: أما الجمل فمسروق، وقد يشبه الخط الخط، وأما الخاتم فانتقش عليه.

قالوا: فإنا لا نعجل عليك، وإن كنا قد اتهمناك، اعزل عنا عمالك الفساق، واستعمل علينا من لا يتهم على دمائنا وأموالنا، واردد علينا مظالمنا.

قال عثمان: ما أراني إذن في شيء إن كنت أستعمل من هويتم، وأعزل من كرهتم، الأمر إذن أمركم!

قالوا: والله لتفعلن أو لتعزلن أو لتقتلن، فانظر لنفسك أو دع.

فأبى عليهم، وقال: لم أكن لأخلع سربالاً سربلنيه الله، فحصروه أربعين ليلة، وطلحة يصلي بالناس(١).

ولم يكن إباؤه رضي الله عنه بالتنحي ضناً بشيء يحتويه، فلا شيء أغلى من

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٣٩٦: ٣٧١).

الحياة، وقد هانت عليه، ولا يزعم أحد أنه غنم من الخلافة مالاً، بل يتفق المؤرخون على أنه ترك الدنيا وماله أقل مما كان لديه يوم ولي الخلافة، ولكنه أبي أن يخلع نفسه حذراً من أن يحمل جريرة الخلع، وما يعقبه من النزاع والقتال[١].

وعن ابن عون، قال: حدثنا الحسن، قال: أنبأني وثاب -قال: وكان فيمن أدركه عتق أمير المؤمنين عمر ﵁، قال: ورأيت بحلقه أثر طعنتين، كأنهما كتبان طعنهما يومئذ يوم الدار- قال: بعثني عثمان، فدعوت له الأشتر، فطرحت لأمير المؤمنين وسادة وله وسادة.

فقال: يا أشتر، ما يريد الناس مني؟

قال: ثلاثاً ليس من إحداهن بد.

قال: ما هن؟

قال: يخيرونك بين أن تخلع لهم أمرهم، فتقول: هذا أمركم فاختاروا له من شئتم، وبين أن تقص من نفسك، فإن أبيت هاتين فإن القوم قاتلوك.

فقال: أما من إحداهن بد!

قال: ما من إحداهن بد.

١- انظر: «عثمان بن عفان ذو النورين» لعباس العقاد (ص/ ١٧).

فقال: أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله عز وجل.

قال: وقال غيره: والله لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن أخلع قميصاً قمصنيه الله، وأترك أمة محمد ﷺ يعدو بعضها على بعض -قال ابن عون: وهذا أشبه بكلامه- وأما أن أقص من نفسي، فو الله لقد علمت أن صاحبي بين يدي قد كانا يعاقبان، وما يقوم بدني بالقصاص، وإما أن تقتلوني، فوالله لئن قتلتموني لا تتحابون بعدي أبداً، ولا تصلون جميعاً بعدي أبداً، ولا تقاتلون بعدي عدواً جميعا أبداً.

قال: فقام الأشتر فانطلق، فمكثنا أياماً.

قال: ثم جاء رويجل كأنه ذئب، فاطلع من باب، ثم رجع وجاء محمد بن أبي بكر وثلاثة عشر حتى انتهى إلى عثمان، فأخذ بلحيته، فقال بها حتى سمعت وقع أضراسه، وقال: ما أغنى عنك معاوية؟! ما أغنى عنك ابن عامر؟! ما أغنت عنك كتبك؟!

قال: أرسل لحيتي يا ابن أخي، أرسل لحيتي.

قال: وأنا رأيته استعدى رجلاً من القوم بعينه، فقام إليه بمشقص حتى وجأ به في رأسه.

قلت: ثم مه.

قال: تغاووا عليه حتى قتلوه[١].

وقال محمد بن مسلمة: خرجت في نفر من قومي إلى المصريين، وكان رؤساؤهم أربعة: عبد الرحمن بن عديس البلوي، وسودان بن حمران المرادي، وعمرو بن الحمق الخزاعي -وقد كان هذا الاسم غلب حتى كان يقال: حبيس بن الحمق-، وابن النباع.

قال: فدخلت عليهم، وهم في خباء لهم أربعتهم، ورأيت الناس لهم تبعاً، قال: فعظمت حق عثمان، وما في رقابهم من البيعة، وخوفتهم بالفتنة، وأعلمتهم أن في قتله اختلافاً وأمراً عظيماً، فلا تكونوا أول من فتحه، وإنه ينزع عن هذه الخصال التي نقمتم منها عليه، وأنا ضامن لذلك.

قال القوم: فإن لم ينزع؟

قال: قلت: فأمركم إليكم.

١- [إسناده لا بأس به]: أخرجه ابن أبي شيبة (رقم/ ٣٨٢٣٤)، والطبري (٤/ ٣٧١-٣٧٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٨٢٢) من طريق ابن عون به.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٣٢): «رجاله رجال الصحيح غير وثاب، وقد ذكره ابن أبي حاتم، ولم يجرحه أحد».

قال: فانصرف القوم وهم راضون، فرجعت إلى عثمان، فقلت: أخلني فأخلاني، فقلت: الله الله يا عثمان في نفسك! إن هؤلاء القوم إنما قدموا يريدون دمك، وأنت ترى خذلان أصحابك لك، لا بل هم يقوون عدوك عليك.

قال: فأعطاني الرضا، وجزاني خيراً.

قال: ثم خرجت من عنده، فأقمت ما شاء الله أن أقيم.

قال: وقد تكلم عثمان برجوع المصريين، وذكر أنهم جاءوا لأمر، فبلغهم غيره فانصرفوا، فأردت أن آتيه فأعنفه بهما، ثم سكت، فإذا قائل يقول: قد قدم المصريون وهم بالسويداء.

قال: قلت: أحق ما تقول؟

قال: نعم.

قال: فأرسل إلي عثمان.

قال: وإذا الخبر قد جاءه، وقد نزل القوم من ساعتهم ذا خُشُب، فقال: يا أبا عبد الرحمن، هؤلاء القوم قد رجعوا، فما الرأي فيهم؟

قال: قلت: والله ما أدري، إلا أني أظن أنهم لم يرجعوا لخير.

قال: فارجع إليهم فارددهم.

قال: قلت: لا والله ما أنا بفاعل.

قال: ولم؟

قال: لأني ضمنت لهم أموراً تنزع عنها، فلم تنزع عن حرف واحد منها.

قال: فقال: الله المستعان.

قال: وخرجتُ، وقدم القوم وحلوا بالأسواف، وحصروا عثمان.

قال: وجاءني عبد الرحمن بن عديس ومعه سودان بن حمران وصاحباه، فقالوا: يا أبا عبد الرحمن، ألم تعلم أنك كلمتنا ورددتنا وزعمت أن صاحبنا نازع عما نكره؟

فقلت: بلى.

قال: فإذا هم يخرجون إلي صحيفة صغيرة.

قال: وإذا قصبة من رصاص، فإذا هم يقولون: وجدنا جملاً من

إبل الصدقة عليه غلام عثمان، فأخذنا متاعه ففتشناه، فوجدنا فيه هذا الكتاب، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فإذا قدم عليك عبد الرحمن بن عديس فاجلده مائة جلدة، واحلق رأسه ولحيته، وأطل حبسه حتى يأتيك أمري، وعمرو بن الحمق فافعل به مثل ذلك، وسودان بن حمران مثل ذلك، وعروة بن النباع الليثي مثل ذلك.

قال: فقلت: وما يدريكم أن عثمان كتب بهذا؟

قالوا: فيفتات مروان على عثمان بهذا! فهذا شر، فيخرج نفسه من هذا الأمر ثم قالوا: انطلق معنا إليه، فقد كلمنا علياً، ووعدنا أن يكلمه إذا صلى الظهر، وجئنا سعد بن أبي وقاص، فقال: لا أدخل في أمركم، وجئنا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، فقال مثل هذا.

فقال محمد: فأين وعدكم علي؟

قالوا: وعدنا إذا صلى الظهر أن يدخل عليه.

قال محمد: فصليت مع علي، قال: ثم دخلت أنا وعلي عليه، فقلنا: إن

هؤلاء المصريين بالباب، فأذن لهم.

قال -ومروان عنده جالس- قال: فقال مروان: دعني جعلت فداك أكلمهم!

قال: فقال عثمان: فض الله فاك! اخرج عني، وما كلامك في هذا الأمر!

قال: فخرج مروان.

قال: وأقبل علي عليه.

قال: وقد أنهى المصريون إليه مثل الذي أنهوا إلي.

قال: فجعل علي يخبره ما وجدوا في كتابهم.

قال: فجعل يقسم بالله ما كتب ولا علم ولا شوور فيه.

قال: فقال محمد بن مسلمة: والله إنه لصادق، ولكن هذا عمل مروان.

فقال علي: فأدخلهم عليك، فليسمعوا عذرك.

قال: ثم أقبل عثمان على علي، فقال: إن لي قرابة ورحماً، والله لو كنت في

هذه الحلقة لحللتها عنك، فاخرج إليهم، فكلمهم، فإنهم يسمعون منك.

قال علي: والله ما أنا بفاعل، ولكن أدخلهم حتى تعتذر إليهم.

قال: فأدخلوا.

قال محمد بن مسلمة: فدخلوا يومئذ، فلما سلموا عليه بالخلافة، فعرفت أنه الشر بعينه، قالوا: سلام عليكم.

فقلنا: وعليكم السلام.

قال: فتكلم القوم، وقد قدموا في كلامهم ابن عديس، فذكر ما صنع ابن سعد بمصر، وذكر تحاملاً منه على المسلمين وأهل الذمة، وذكر استئثاراً منه في غنائم المسلمين، فإذا قيل له في ذلك، قال: هذا كتاب أمير المؤمنين إلي، ثم ذكروا أشياء مما أحدث بالمدينة، وما خالف به صاحبيه.

قال: فرحلنا من مصر، ونحن لا نريد إلا دمك أو تنزع، فردنا علي ومحمد بن مسلمة، وضمن لنا محمد النزوع عن كل ما تكلمنا فيه.

ثم أقبلوا على محمد بن مسلمة، فقالوا: هل قلت ذاك لنا؟

قال محمد: فقلت: نعم.

ثم رجعنا إلى بلادنا نستظهر بالله عز وجل عليك، ويكون حجة لنا بعد حجة، حتى إذا كنا بالبويب أخذنا غلامك فأخذنا كتابك وخاتمك إلى عبد الله بن سعد، تأمره فيه بجلد ظهورنا، والمثل بنا في أشعارنا، وطول الحبس لنا، وهذا كتابك.

قال: فحمد الله عثمان وأثنى عليه، ثم قال: والله ما كتبت ولا أمرت، ولا شوورت ولا علمت.

قال: فقلت وعلي جميعاً: قد صدق.

قال: فاستراح إليها عثمان.

فقال المصريون: فمن كتبه؟

قال: لا أدري!

قال: أفيجترأ عليك فيبعث غلامك! وجملاً من صدقات المسلمين! وينقش على خاتمك! ويكتب إلى عاملك بهذه الأمور العظام وأنت لا تعلم!

قال: نعم.

قالوا: فليس مثلك يلي، اخلع نفسك من هذا الأمر كما خلعك الله منه.

قال: لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله عز وجل.

قال: وكثرت الأصوات واللغط، فما كنت أظن أنهم يخرجون حتى يواثبوه.

قال: وقام علي فخرج.

قال: فلما قام علي قمت.

قال: وقال للمصريين: اخرجوا، فخرجوا.

قال: ورجعت إلى منزلي، ورجع علي إلى منزله، فما برحوا محاصريه حتى قتلوه(١).

وقال سفيان بن أبي العوجاء: قدم المصريون القدمة الأولى، فكلم عثمان محمد بن مسلمة، فخرج في خمسين راكباً من الأنصار، فأتوهم بذي خُشُب فردهم، ورجع القوم حتى إذا كانوا بالبويب، وجدوا غلاماً لعثمان معه

---

١ - [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي بإسناده عن محمد به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٧٢-٣٧٥) معلقاً عن الواقدي به.

كتاب إلى عبد الله بن سعد، فكروا، فانتهوا إلى المدينة، وقد تخلف بها من الناس الأشتر وحكيم بن جبلة، فأتوا بالكتاب، فأنكر عثمان أن يكون كتبه، وقال: هذا مفتعل!

قالوا: فالكتاب كتاب كاتبك؟

قال: أجل، ولكنه كتبه بغير أمري!

قالوا: فإن الرسول الذي وجدنا معه الكتاب غلامك؟

قال: أجل، ولكنه خرج بغير إذني!

قالوا: فالجمل جملك؟

قال: أجل، ولكنه أخذ بغير علمي!

قالوا: ما أنت إلا صادق أو كاذب، فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما أمرت به من سفك دمائنا بغير حقها، وإن كنت صادقاً فقد استحققت أن تخلع لضعفك وغفلتك وخبث بطانتك؛ لأنه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يقتطع مثل هذا الأمر دونه لضعفه وغفلته.

وقالوا له: إنك ضربت رجالاً من أصحاب النبي ﷺ، وغيرهم حين يعظونك ويأمرونك بمراجعه الحق عندما يستنكرون من أعمالك، فاقد

من نفسك من ضربته وأنت له ظالم.

فقال: الإمام يخطئ ويصيب، فلا أقيد من نفسي؛ لأني لو أقدت كل من أصبته بخطأ آتي على نفسي.

قالوا: إنك قد أحدثت أحداثاً عظاماً فاستحققت بها الخلع، فإذا كُلمت فيها أَعطيتَ التوبة ثم عدت إليها وإلى مثلها، ثم قدمنا عليك فأعطيتنا التوبة والرجوع إلى الحق، ولامنا فيك محمد بن مسلمة، وضمن لنا ما حدث من أمر، فأخفرته فتبرأ منك، وقال: لا أدخل في أمره، فرجعنا أول مرة لنقطع حجتك ونبلغ أقصى الأعذار إليك، نستظهر بالله عز وجل عليك، فلحقنا كتاب منك إلى عاملك علينا تأمره فينا بالقتل والقطع والصلب، وزعمت أنه كتب بغير علمك، وهو مع غلامك، وعلى جملك، وبخط كاتبك، وعليه خاتمك، فقد وقعت عليك بذلك التهمة القبيحة، مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور في الحكم، والأثرة في القسم، والعقوبة للأمر بالتبسط من الناس، والإظهار للتوبة، ثم الرجوع إلى الخطيئة، ولقد رجعنا عنك وما كان لنا أن نرجع حتى نخلعك ونستبدل بك من أصحاب رسول الله ﷺ من لم يحدث مثل ما جربنا منك، ولم يقع عليه من التهمة ما وقع عليك، فاردد خلافتنا، واعتزل أمرنا، فإن ذلك

أسلم لنا منك، وأسلم لك منا.

فقال عثمان: فرغتم من جميع ما تريدون؟

قالوا: نعم.

قال: الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأومن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد، فإنكم لم تعدلوا في المنطق، ولم تنصفوا في القضاء!

أما قولكم: تخلع نفسك، فلا أنزع قميصاً قمصنيه الله عز وجل وأكرمني به، وخصني به على غيري، ولكني أتوب وأنزع، ولا أعود لشيء عابه المسلمون، فإني والله الفقير إلى الله الخائف منه.

قالوا: إن هذا لو كان أول حدث أحدثته ثم تبت منه ولم تقم عليه، لكان علينا أن نقبل منك، وأن ننصرف عنك، ولكنه قد كان منك من الإحداث قبل هذا ما قد علمت، ولقد انصرفنا عنك في المرة الأولى، وما نخشى أن تكتب فينا، ولا من اعتللت به بما وجدنا في كتابك مع غلامك، وكيف نقبل توبتك وقد بلونا منك أنك لا تعطي من نفسك التوبة من

ذنب إلا عدت إليه، فلسنا منصرفين حتى نعزلك ونستبدل بك، فإن حال من معك من قومك وذوي رحمك وأهل الانقطاع إليك دونك بقتال قاتلناهم، حتى نخلص إليك فنقتلك أو تلحق أرواحنا بالله.

فقال عثمان: أما أن أتبرأ من الإمارة، فأن تصلبوني أحب إلي من أن أتبرأ من أمر الله عز وجل وخلافته.

وأما قولكم: تقاتلون من قاتل دوني، فإني لا آمر أحداً بقتالكم، فمن قاتل دوني فإنما قاتل بغير أمري، ولعمري لو كنت أريد قتالكم، لقد كنت كتبت إلى الأجناد فقادوا الجنود، وبعثوا الرجال، أو لحقت ببعض أطرافي بمصر أو عراق، فالله الله في أنفسكم فأبقوا عليها إن لم تبقوا علي، فإنكم مجتلبون بهذا الأمر -إن قتلتموني- دماً.

قال: ثم انصرفوا عنه وآذنوه بالحرب، وأرسل إلى محمد بن مسلمة فكلمه أن يردهم.

فقال: والله لا أكذب الله في سنة مرتين[1].

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي بإسناده عن سفيان به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٧٥- ٣٧٧) معلقاً عن الواقدي به.

وقال أبو حبيبة[1]: نظرت إلى سعد بن أبي وقاص يوم قتل عثمان، دخل عليه ثم خرج من عنده، وهو يسترجع مما يرى على الباب، فقال له مروان: الآن تندم! أنت أشعرته!

فأسمع سعداً يقول: أستغفر الله، لم أكن أظن الناس يجترئون هذه الجرأة، ولا يطلبون دمه، وقد دخلت عليه الآن فتكلم بكلام لم تحضره أنت ولا أصحابك، فنزع عن كل ما كُره منه، وأعطى التوبة، وقال: لا أتمادى في الهلكة، إنَّ من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق، فأنا أتوب وأنزع.

فقال مروان: إن كنت تريد أن تذب عنه، فعليك بابن أبي طالب، فإنه متستر، وهو لا يجبه.

فخرج سعد حتى أتى علياً وهو بين القبر والمنبر، فقال: يا أبا حسن، قم فداك أبي وأمي! جئتك والله بخير ما جاء به أحد قط إلى أحد، تصل رحم ابن عمك، وتأخذ بالفضل عليه، وتحقن دمه، ويرجع الأمر على ما نحب، قد أعطى خليفتك من نفسه الرضا.

فقال علي: تقبل الله منه يا أبا إسحاق! والله ما زلت أذب عنه حتى إني لأستحي، ولكن مروان ومعاوية وعبد الله بن عامر وسعيد بن العاص

---

١ - هو: مولى الزبير بن العوام، وتقدم التعريف به.

هم صنعوا به ما ترى، فإذا نصحته وأمرته أن ينحيهم استغشني حتى جاء ما ترى.

قال: فبينا هم كذلك جاء محمد بن أبي بكر، فسار علياً، فأخذ علي بيدي، ونهض علي، وهو يقول: وأي خير توبته هذه! فو الله ما بلغت داري حتى سمعت الهائعة، أن عثمان قد قتل، فلم نزل والله في شر إلى يومنا هذا(١).

وقال أبو الخير: لما خرج المصريون إلى عثمان رضي الله عنه، بعث عبد الله بن سعد رسولاً أسرع السير يعلم عثمان بمخرجهم، ويخبره أنهم يظهرون أنهم يريدون العمرة، فقدم الرسول على عثمان بن عفان بخبرهم، فتكلم عثمان، وبعث إلى أهل مكة يحذر من هناك هؤلاء المصريين، ويخبرهم أنهم قد طعنوا على إمامهم ثم إن عبد الله بن سعد خرج إلى عثمان في آثار المصريين -وقد كان كتب إليه يستأذنه في القدوم عليه، فأذن له- فقدم ابن سعد، حتى إذا كان بأيلة بلغه أن المصريين قد رجعوا إلى عثمان، وأنهم قد حصروه، ومحمد بن أبي حذيفة بمصر.

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي بإسناد رجاله ثقات عن أبي حبيبة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٧٧- ٣٧٨) معلقاً عن الواقدي به.

فلما بلغ محمداً حصر عثمان، وخروج عبد الله بن سعد عنه غلب على مصر، فاستجابوا له، فأقبل عبد الله بن سعد يريد مصر، فمنعه ابن أبي حذيفة، فوجه إلى فلسطين، فأقام بها حتى قتل عثمان رضي الله عنه.

وأقبل المصريون حتى نزلوا بالأسواف(١)، فحصروا عثمان، وقدم حكيم بن جبلة من البصرة في ركب، وقدم الأشتر في أهل الكوفة، فتوافوا بالمدينة، فاعتزل الأشتر، فاعتزل حكيم بن جبلة، وكان ابن عديس وأصحابه هم الذين يحصرون عثمان، فكانوا خمسمائة، فأقاموا على حصاره تسعة وأربعين يوماً حتى قتل يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين(٢).

وقال عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة: دخلت على عثمان رضي الله عنه، فتحدثت عنده ساعة، فقال: يا ابن عياش، تعال.

فأخذ بيدي، فأسمعني كلام من على باب عثمان، فسمعنا كلاماً، منهم

١- قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (١/ ١٩١): «الأسواف: هو اسم حرم المدينة، وقيل: موضع بعينه بناحية البقيع وهو موضع صدقة زيد بن ثابت الأنصار، وهو من حرم المدينة».

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي بإسناده عن أبي الخير به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٧٨) معلقاً عن الواقدي به.

من يقول: ما تنتظرون به؟

ومنهم من يقول: انظروا عسى أن يراجع.

فبينا أنا وهو واقفان إذ مر طلحة بن عبيد الله فوقف، فقال: أين ابن عديس؟

فقيل: ها هو ذا.

قال: فجاءه ابن عديس، فناجاه بشيء، ثم رجع ابن عديس، فقال لأصحابه: لا تتركوا أحداً يدخل على هذا الرجل، ولا يخرج من عنده.

قال: فقال لي عثمان: هذا ما أمر به طلحة بن عبيد الله!

ثم قال عثمان: اللهم اكفني طلحة بن عبيد الله، فإنه حمل علي هؤلاء وألبهم، والله إني لأرجو أن يكون منها صفراً، وأن يسفك دمه، إنه انتهك مني ما لا يحل له، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا في إحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه فيقتل، أو رجل زنى بعد إحصانه فيرجم، أو رجل قتل نفساً بغير نفس**»[1]، ففيم أُقتل؟!

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٦٨٧٨)، ومسلم (رقم/ ١٦٧٦) من حديث عبد الله بن مسعود بلفظ قريب.

قال: ثم رجع عثمان.

قال ابن عياش: فأردت أن أخرج فمنعوني حتى مر بي محمد بن أبي بكر فقال: خلوه، فخلوني[١].

وقال عبد الرحمن بن أبزى: رأيت اليوم الذي دُخل فيه على عثمان، فدخلوا من دار عمرو بن حزم خوخة هناك حتى دخلوا الدار، فناوشوهم شيئاً من مناوشة ودخلوا، فوالله ما نسينا أن خرج سودان بن حمران، فأسمعه يقول: أين طلحة بن عبيد الله؟ قد قتلنا ابن عفان[٢]!

وقال أبو حفصة اليماني: كنت لرجل من أهل البادية من العرب، فأعجبته -يعني مروان- فاشتراني واشترى امرأتي وولدي فأعتقنا جميعاً، وكنت أكون معه.

فلما حصر عثمان رضي الله عنه، شمرت معه بنو أمية، ودخل معه مروان الدار، قال: فكنت معه في الدار، قال: فأنا والله أنشبت القتال بين الناس، رميت من فوق الدار رجلاً من أسلم فقتلته، وهو نيار الأسلمي، فنشب القتال،

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي بإسناده عن عبد الله بن عياش به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٧٨- ٣٧٩) معلقاً عن الواقدي به.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي بإسناده عن عبد الرحمن بن أبزى به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٧٩) معلقاً عن الواقدي به.

ثم نزلت، فاقتتل الناس على الباب، وقاتل مروان حتى سقط فاحتملته، فأدخلته بيت عجوز، وأغلقت عليه، وألقى الناس النيران في أبواب دار عثمان، فاحترق بعضها.

فقال عثمان: ما احترق الباب إلا لما هو أعظم منه، لا يحركن رجل منكم يده، فو الله لو كنت أقصاكم لتخطوكم حتى يقتلوني، ولو كنت أدناكم ما جاوزونى إلى غيري، وإني لصابر كما عهد إلي رسول الله ﷺ، لأصرعن مصرعي الذي كتب الله عز وجل.

فقال مروان: والله لا تقتل وأنا أسمع الصوت، ثم خرج بالسيف على الباب يتمثل بهذا الشعر:

قد علمت ذات القرون الميل　　　والكف والأنامل الطفول

أنـــي أروع أول الرعيــــل　　　بفـاره مثل قطا الشليـل[1]

وقال أبو حفصة كذلك: لما كان يوم الخميس دليت حجراً من فوق الدار، فقتلت رجلاً من أسلم، يقال له: نيار، فأرسلوا إلى عثمان: أن أمكنا من قاتله.

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي بإسناده عن أبي حفصة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٧٩- ٣٨٠) معلقاً عن الواقدي به.

قال: والله ما أعرف له قاتلاً، فباتوا ينحرفون علينا ليلة الجمعة بمثل النيران، فلما أصبحوا غدوا، فأول من طلع علينا كنانة بن عتاب، في يده شعلة من نار على ظهر سطوحنا، قد فتح له من دار آل حزم، ثم دخلت الشعل على أثره تنضح بالنفط، فقاتلناهم ساعة على الخشب، وقد اضطرم الخشب.

فأسمع عثمان يقول لأصحابه: ما بعد الحريق شيء! قد احترق الخشب، واحترقت الأبواب، ومن كانت لي عليه طاعة فليمسك داره، فإنما يريدني القوم، وسيندمون على قتلي، والله لو تركوني لظننت أني لا أحب الحياة، ولقد تغيرت حالي، وسقط أسناني، ورق عظمي.

قال: ثم قال لمروان: اجلس فلا تخرج، فعصاه مروان، فقال: والله لا تقتل، ولا يخلص إليك، وأنا أسمع الصوت، ثم خرج إلى الناس.

فقلت: ما لمولاي مترك! فخرجت معه أذب عنه، ونحن قليل، فأسمع مروان يتمثل:

قد علمت ذات القرون الميل   والكف والأنامل الطفول

ثم صاح: من يبارز؟ وقد رفع أسفل درعه، فجعله في منطقته.

قال: فيثب إليه ابن النباع فضربه ضربة على رقبته من خلفه فأثبته، حتى سقط، فما ينبض منه عرق، فأدخلته بيت فاطمة ابنة أوس جدة إبراهيم بن العدي.

قال: فكان عبد الملك وبنو أمية يعرفون ذلك لآل العدي(١).

وقال أبو بكر بن الحارث بن هشام: كأني أنظر إلى عبد الرحمن بن عديس البلوي وهو مسند ظهره إلى مسجد نبي الله ﷺ، وعثمان بن عفان رضي الله عنه محصور، فخرج مروان بن الحكم، فقال: من يبارز؟

فقال عبد الرحمن بن عديس لفلان ابن عروة: قم إلى هذا الرجل.

فقام إليه غلام شاب طوال، فأخذ رفرف الدرع فغرزه في منطقته، فاعور له عن ساقه، فأهوى له مروان وضربه ابن عروة على عنقه، فكأني أنظر إليه حين استدار، وقام إليه عبيد بن رفاعة الزرقي ليدفف عليه.

قال: فوثبت عليه فاطمة ابنه أوس جدة إبراهيم بن عدي -قال: وكانت أرضعت مروان وأرضعت له- فقالت: إن كنت إنما تريد قتل الرجل فقد قتل، وإن كنت تريد أن تلعب بلحمه فهذا قبيح.

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي بإسناده عن أبي حفصة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٨٠- ٣٨١) معلقاً عن الواقدي به.

قال: فكف عنه، فما زالوا يشكرونها لها، فاستعملوا ابنها إبراهيم بعد[١].

وقال ابن إسحاق: قال عبد الرحمن بن عديس البلوي حين سار إلى المدينة من مصر:

أقبلن من بلبيس والصعيد   مستحقبات حلق الحديد

يطلبن حق الله في سعيد   حتى رجعن بالذي نريد[٢]

وقال عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: لما مضت أيام التشريق أطافوا بدار عثمان رضي الله عنه، وأبى إلا الإقامة على أمره، وأرسل إلى حشمه وخاصته فجمعهم.

فقام رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، يقال له: نيار بن عياض -وكان شيخاً كبيراً- فنادى: يا عثمان، فأشرف عليه من أعلى داره، فناشده الله، وذكره الله لما اعتزلهم!

فبينا هو يراجعه الكلام إذ رماه رجل من أصحاب عثمان فقتله بسهم، وزعموا أن الذي رماه كثير بن الصلت الكندي.

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٣٨١).

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٣٨١) بإسناد حسن عن ابن إسحاق، ولكن ابن إسحاق لم يدرك عبد الرحمن بن عديس.

فقالوا لعثمان عند ذلك: ادفع إلينا قاتل نيار بن عياض فلنقتله به.

فقال: لم أكن لأقتل رجلاً نصرني وأنتم تريدون قتلي.

فلما رأوا ذلك ثاروا إلى بابه فأحرقوه، وخرج عليهم مروان بن الحكم من دار عثمان في عصابة، وخرج سعيد بن العاص في عصابة، وخرج المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة في عصابة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكان الذى حداهم على القتال أنه بلغهم أن مدداً من أهل البصرة قد نزلوا صراراً -وهي من المدينة على ليلة- وأن أهل الشام قد توجهوا مقبلين، فقاتلوهم قتالاً شديداً على باب الدار، فحمل المغيرة بن الأخنس الثقفي على القوم، وهو يقول مرتجزاً:

قد علمت جارية عطبول   لها وشاح ولها حجول

أني بنصل السيف خنشليل

فحمل عليه عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وهو يقول:

إن تك بالسيف كما تقول   فاثبت لقرن ماجد يصول

بمشرفي حده مصقول

فضربه عبد الله فقتله.

وحمل رفاعة بن رافع الأنصاري ثم الزرقي على مروان بن الحكم، فضربه فصرعه، فنزل عنه وهو يرى أنه قتله.

وجرح عبد الله بن الزبير جراحات، وانهزم القوم حتى لجئوا إلى القصر، فاعتصموا ببابه، فاقتتلوا عليه قتالاً شديداً، فقتل في المعركة على الباب زياد بن نعيم الفهري في ناس من أصحاب عثمان.

فلم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الأنصاري باب داره، وهو إلى جنب دار عثمان بن عفان، ثم نادى الناس فأقبلوا عليه من داره، فقاتلوهم في جوف الدار حتى انهزموا، وخلى لهم عن باب الدار، فخرجوا هرابا في طرق المدينة.

وبقي عثمان في أناس من أهل بيته وأصحابه فقتلوا معه، وقتل عثمان رضي الله عنه(١).

وقال أبو سعيد مولى أبي أُسيد الأنصاري: أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه ذات يوم، فقال: السلام عليكم.

قال: فما سمع أحداً من الناس رد عليه إلا أن يرد رجل في نفسه.

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٣٨١- ٣٨٣).

فقال: أنشدكم بالله هل علمتم أني اشتريت رومة من مالي يستعذب بها، فجعلت رشائي منها كرشاء رجل من المسلمين؟!

قال: قيل: نعم.

قال: فما يمنعني أن أشرب منها حتى أفطر على ماء البحر؟!

قال: أنشدكم الله هل علمتم أني اشتريت كذا وكذا من الأرض فزدته في المسجد؟!

قيل: نعم.

قال: فهل علمتم أحداً من الناس منع أن يصلي فيه قبلي؟!

قال: أنشدكم الله، هل سمعتم نبي الله ﷺ يذكر كذا وكذا، أشياء في شأنه، وذكر الله إياه أيضاً في كتابه المفصل؟!

قال: ففشا النهي.

قال: فجعل الناس يقولون: مهلاً عن أمير المؤمنين.

قال: وفشا النهي.

قال: وقام الأشتر -قال: ولا أدري يومئذ أو في يوم آخر- فقال: لعله

قد مكر به وبكم!

قال: فوطئه الناس، حتى لقي كذا وكذا.

قال: فرأيته أشرف عليهم مرة أخرى، فوعظهم وذكرهم، فلم تأخذ فيهم الموعظة.

وكان الناس تأخذ فيهم الموعظة أول ما يسمعونها، فإذا أعيدت عليهم لم تأخذ فيهم.

قال: ثم إنه فتح الباب ووضع المصحف بين يديه.

قال: وذاك أنه رأى من الليل أن نبي الله ﷺ يقول: **«أفطر عندنا الليلة»**[1].

وقال الحسن البصري: إن محمد بن أبي بكر دخل عليه فأخذ بلحيته.

قال: فقال له: قد أخذت منا مأخذاً، وقعدت مني مقعداً، ما كان أبو بكر ليقعده أو ليأخذه.

قال: فخرج وتركه.

١- [إسناده صحيح]: أخرجه الطبري (٤/ ٣٨٣) بإسناد صحيح، وصحح المرفوع ابن حبان (رقم/ ٦٩١٩)، والحاكم (٣/ ١١٠).

قال: ودخل عليه رجل، يقال له: الموت الأسود، قال: فخنقه ثم خفقه.

قال: ثم خرج، فقال: والله ما رأيت شيئاً قط ألين من حلقه، والله لقد خنقته حتى رأيت نفسه يتردد في جسده كنفس الجان.

قال: فخرج[١].

وقال أبو سعيد مولى أبي أُسيد: دخل على عثمان رجل، فقال: بيني وبينك كتاب الله -قال: والمصحف بين يديه-، قال: فيهوي له بالسيف، فاتقاه بيده، فقطعها.

فقال: لا أدري أبانها أم قطعها ولم يبنها.

قال: فقال: أما والله، إنها لأول كف خطت المفصل[٢].

وقال بدر بن عثمان عن عمه: آخر خطبة خطبها عثمان رضي الله عنه في جماعة: إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها، إن الدنيا تفنى، والآخرة تبقى، فلا تبطرنكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية، فآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة، وإن المصير إلى

١- [إسناده صحيح]: أخرجه الطبري (٤/ ٣٨٣- ٣٨٤).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه الطبري (٤/ ٣٨٤).

الله، اتقوا الله جل وعز، فإن تقواه جُنَّة من بأسه، ووسيلة عنده، واحذروا من الله الغير، والزموا جماعتكم، لا تصيروا أحزاباً، ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[١][٢].

وقال محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم وأبو حارثة محرز العبشمي وأبو عثمان يزيد بن أُسيد: لما قضى عثمان في ذلك المجلس حاجاته وعزم، وعزم له المسلمون على الصبر، والامتناع عليهم بسلطان الله، قال: اخرجوا رحمكم الله، فكونوا بالباب، وليجامعكم هؤلاء الذين حبسوا عني، وأرسلَ إلى طلحة والزبير وعلي، وعدة: أن ادنوا، فاجتمعوا فأشرف عليهم.

فقال: يا أيها الناس، اجلسوا.

فجلسوا جميعاً: المحارب الطارئ، والمسالم المقيم.

فقال: يا أهل المدينة، إني أستودعكم الله، وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدي، وإني والله لا أدخل على أحد بعد يومي هذا حتى يقضي

١- [آل عمران: ١٠٣].

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن بدر به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٨٤) من طريق سيف به.

الله في قضاءه، ولأدعن هؤلاء، وما وراء بابي غير معطيهم شيئاً يتخذونه عليكم دخلاً في دين الله أو دنيا حتى يكون الله عز وجل الصانع في ذلك ما أحب.

وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم، فرجعوا إلا الحسن ومحمداً وابن الزبير، وأشباهاً لهم، فجلسوا بالباب عن أمر آبائهم، وثاب إليهم ناس كثير، ولزم عثمان الدار[١].

وقال كذلك أبو حارثة محرز العبشمي وأبو عثمان يزيد بن أُسيد ومحمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم: كان الحصر أربعين ليلة، والنزول سبعين، فلما مضت من الأربعين ثمان عشرة، قدم ركبان من الوجوه فأخبروا خبر من قد تهيأ إليهم من الآفاق: حبيب من الشام، ومعاوية من مصر، والقعقاع من الكوفة، ومجاشع من البصرة، فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان، ومنعوه كل شيء حتى الماء، وقد كان يدخل علي بالشيء مما يريد، وطلبوا العلل، فلم تطلع عليهم علة.

فعثروا في داره بالحجارة ليرموا، فيقولوا: قوتلنا -وذلك ليلاً-

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٨٥) من طريق سيف به.

فناداهم: ألا تتقون الله! ألا تعلمون أن في الدار غيري!

قالوا: لا، والله ما رميناك.

قال: فمن رمانا؟

قالوا: الله.

قال: كذبتم، إن الله عز وجل لو رمانا لم يخطئنا وأنتم تخطئوننا.

وأشرف عثمان على آل حزم وهم جيرانه، فسرح ابناً لعمرو إلى علي بأنهم قد منعونا الماء، فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا شيئاً من الماء فافعلوا، وإلى طلحة، وإلى الزبير، وإلى عائشة رضي الله عنها، وأزواج النبي ﷺ.

فكان أولهم إنجاداً له علي وأم حبيبة، جاء علي في الغلس، فقال: يا أيها الناس، إن الذي تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين، لا تقطعوا عن هذا الرجل المادة، فإن الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقي، وما تعرض لكم هذا الرجل، فبم تستحلون حصره وقتله!

قالوا: لا والله، ولا نعمة عين، لا نتركه يأكل ولا يشرب، فرمى بعمامته في الدار بأني قد نهضت فيما أنهضتني، فرجع.

وجاءت أم حبيبة على بغلة لها برحالة مشتملة على إداوة، فقيل: أم المؤمنين أم حبيبة، فضربوا وجه بغلتها.

فقالت: إن وصايا بني أمية إلى هذا الرجل، فأحببت أن ألقاه فأسأله عن ذلك كيلا تهلك أموال أيتام وأرامل.

قالوا: كاذبة.

وأهووا لها، وقطعوا حبل البغلة بالسيف، فندت بأم حبيبة، فتلقاها الناس، وقد مالت رحالتها، فتعلقوا بها وأخذوها، وقد كادت تقتل، فذهبوا بها إلى بيتها.

وتجهزت عائشة خارجة إلى الحج هاربة، واستتبعت أخاها، فأبى، فقالت: أما والله لئن استطعت أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلن.

وجاء حنظلة الكاتب حتى قام على محمد بن أبي بكر، فقال: يا محمد، تستتبعك أم المؤمنين فلا تتبعها! وتدعوك ذؤبان العرب إلى ما لا يحل فتتبعهم!

فقال: ما أنت وذاك يا ابن التميمية!

فقال: يا ابن الخثعمية، إن هذا الأمر إن صار إلى التغالب غلبتك عليه

بنو عبد مناف، وانصرف، وهو يقول:

عجبت لما يخوض الناس فيه

يرومون الخلافة أن تـزولا

ولو زالت لزال الخير عنهـم

ولاقوا بعدها ذلاً ذليـلاً

وكانوا كاليهود أو النصارى

سواء كلهم ضلوا السبيلا

ولحق بالكوفة، وخرجت عائشة، وهي ممتلئة غيظاً على أهل مصر، وجاءها مروان بن الحكم، فقال: يا أم المؤمنين، لو أقمتِ كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل.

فقالت: أتريد أن يصنع بي كما صنع بأم حبيبة، ثم لا أجد من يمنعني! لا والله ولا أعير ولا أدري إلام يسلم أمر هؤلاء!

وبلغ طلحة والزبير ما لقي علي وأم حبيبة، فلزموا بيوتهم، وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الغفلات، عليهم الرقباء، فأشرف عثمان على الناس، فقال: يا عبد الله ابن عباس -فدعى له- فقال: اذهب فأنت على الموسم

-وكان ممن لزم الباب-.

فقال: والله يا أمير المؤمنين لجهاد هؤلاء أحب إلي من الحج.

فأقسم عليه لينطلقن.

فانطلق ابن عباس على الموسم تلك السنة، ورمى عثمان إلى الزبير بوصيته، فانصرف بها -وفي الزبير اختلاف: أأدرك مقتله أو خرج قبله-.

وقال عثمان: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ﴾(١)، اللهم حل بين الأحزاب، وبين ما يأملون كما فعل بأشياعهم من قبل(٢).

وقال عمرو بن محمد: بعثتْ ليلى ابنة عميس إلى محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر، فقالت: إن المصباح يأكل نفسه، ويضيء للناس، فلا تأثما في أمر تسوقانه إلى من لا يأثم فيكما، فإن هذا الأمر الذي تحاولون اليوم لغيركم غداً، فاتقوا أن يكون عملكم اليوم حسرة عليكم.

١- [هود: ٨٩].

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن أبي حارثة وأبي عثمان ومحمد وطلحة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٨٥- ٣٨٧) من طريق سيف به.

فلجا وخرجا مغضبين، يقولان: لا ننسى ما صنع بنا عثمان.

وتقول: ما صنع بكما! ألا الزمكما الله!

فلقيهما سعيد بن العاص، وقد كان بين محمد بن أبي بكر وبينه شيء، فأنكره حين لقيه خارجاً من عند ليلى، فتمثل له في تلك الحال بيتاً:

استبق ودك للصديق ولا تكن فيئا يعض بخاذل ملجاجا

فأجابه سعيد متمثلاً:

ترون إذا ضربا صميما من الذي له جانب ناء عن الجرم معور[1]

وقال محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم وأبو حارثة محرز العبشمي وأبو عثمان يزيد بن أُسيد: فلما بويع الناس جاء السابق فقدم بالسلامة، فأخبرهم من الموسم أنهم يريدون جميعاً المصريين وأشياعهم، وأنهم يريدون أن يجمعوا ذلك إلى حجهم، فلما أتاهم ذلك مع ما بلغهم من نفور أهل الأمصار، أعلقهم الشيطان، وقالوا: لا يخرجنا مما وقعنا فيه إلا قتل هذا الرجل، فيشتغل بذلك الناس عنا، ولم يبق خصلة يرجون بها النجاة إلا قتله فراموا الباب، فمنعهم من ذلك الحسن وابن الزبير

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن عمرو بن محمد به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٨٧) من طريق سيف به.

ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص، ومن كان من أبناء الصحابة أقام معهم، واجتلدوا.

فناداهم عثمان: الله الله! أنتم في حل من نصرتي.

فأبوا، ففتح الباب، وخرج ومعه الترس والسيف لِيُنَهْنِهَهُم[1]، فلما رأوه أدبر المصريون، وركبهم هؤلاء، وَنَهْنَهَهُم فتراجعوا وعظم على الفريقين، وأقسم على الصحابة ليدخلن، فأبوا أن ينصرفوا، فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين.

وقد كان المغيرة بن الأخنس بن شريق فيمن حج، ثم تعجل في نفر حجوا معه، فأدرك عثمان قبل أن يقتل وشهد المناوشة، ودخل الدار فيمن دخل وجلس على الباب من داخل، وقال: ما عذرنا عند الله إن تركناك ونحن نستطيع ألا ندعهم حتى نموت؟!

فاتخذ عثمان تلك الأيام القرآن نحباً، يصلي وعنده المصحف، فإذا أعيا جلس فقرأ فيه -وكانوا يرون القراءة في المصحف من العبادة-.

وكان القوم الذين كفكفهم بينه وبين الباب، فلما بقي المصريون لا

١- النهنهة: الكف، تقول: نهنهت فلاناً إذا زجرته فتنهنه، أي: كففته فكف؛ انظر: «لسان العرب» (١٣/ ٥٥٠).

يمنعهم أحد من الباب ولا يقدرون على الدخول جاءوا بنار، فأحرقوا الباب والسقيفة، فتأجج الباب والسقيفة، حتى إذا احترق الخشب خرت السقيفة على الباب، فثار أهل الدار وعثمان يصلي، حتى منعوهم الدخول، وكان أول من برز لهم المغيرة بن الأخنس، وهو يرتجز:

قد علمت جارية عطبـــول ذات وشاح ولها جديل

أني بنصل السيف خنشليل لأمنعن منكم خليـلي

بصارم ليس بذي فلول

وخرج الحسن بن علي، وهو يقول:

لا دينهم ديني ولا أنا منهم حتى أسير إلى طمار شمام

وخرج محمد بن طلحة، وهو يقول:

أنا ابن من حامى عليه بأحد ورد أحزاباً على رغم معد

وخرج سعيد بن العاص، وهو يقول:

صبرنا غداة الدار والموت واقب

بأسيافنا دون ابن أروى نضارب

وكنا غداة الروع في الدار نصرة

نشافههم بالضرب والموت ثاقب

فكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير، وأمره عثمان أن يصير إلى أبيه في وصية بما أراد، وأمره أن يأتي أهل الدار فيأمرهم بالانصراف إلى منازلهم، فخرج عبد الله بن الزبير آخرهم، فما زال يدعي بها، ويحدث الناس عن عثمان بآخر ما مات عليه[1].

وقال كذلك محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم وأبو حارثة محرز العبشمي وأبو عثمان يزيد بن أُسيد: وأحرقوا الباب وعثمان في الصلاة، وقد افتتح ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾[2]، وكان سريع القراءة، فما كرثه ما سمع، وما يخطئ وما يتتعتع حتى أتى عليها قبل أن يصلوا إليه.

ثم عاد فجلس إلى عند المصحف، وقرأ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[3].

وارتجز المغيرة بن الأخنس، وهو دون الدار في أصحابه:

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٨٧- ٣٨٩) من طريق سيف به.

٢- [طه: ١- ٢].

٣- [آل عمران: ١٧٣].

قد علمت ذات القرون الميل ... والحلي والأنامل الطفـــول

لتصـــدقن بيعتـــي خليـلي ... بصارم ذي رونق مصقـول

لا أستقيـــل إن أقلت قيـــلي

وأقبل أبو هريرة، والناس محجمون عن الدار إلا أولئك العصبة، فدسروا فاستقتلوا، فقام معهم، وقال: أنا أسوتكم، وقال: هذا يوم طاب امْضَرْب -يعني: أنه حل القتال وطاب، وهذه لغة حمير-.

ونادى: يا قوم، ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار!

وبادر مروان يومئذ، ونادى: رجل رجل، فبرز له رجل من بني ليث يدعى النباع، فاختلفا، فضربه مروان أسفل رجليه، وضربه الآخر على أصل العنق فقلبه، فانكب مروان، واستلقى، فاجتر هذا أصحابه، واجتر الآخر أصحابه.

فقال المصريون: أما والله لولا أن تكونوا حجة علينا في الأمة لقد قتلناكم بعد تحذير.

فقال المغيرة: من يبارز؟

فبرز له رجل فاجتلد، وهو يقول:

أضـربـهـم بـالـيـابـس ضـرب غـلـام بـائـس

من الحيـاة آيس

فأجابه صاحبه، وقال الناس: قتل المغيرة بن الأخنس.

فقال الذي قتله: إنا لله!

فقال له عبد الرحمن بن عديس: ما لك؟

قال: إني أتيت فيما يرى النائم، فقيل لي: بشر قاتل المغيرة بن الأخنس بالنار، فابتليت به.

وقتل قباث الكناني نيار بن عبد الله الأسلمي، واقتحم الناس الدار من الدور التي حولها حتى ملئوها، ولا يشعر الذين بالباب، وأقبلت القبائل على أبنائهم، فذهبوا بهم إذ غلبوا على أميرهم، وندبوا رجلاً لقتله، فانتدب له رجل، فدخل عليه البيت، فقال: اخلعها وندعك.

فقال: ويحك! والله ما كشفت امرأة في جاهلية ولا إسلام، ولا تغنيت ولا تمنيت، ولا وضعت يميني على عورتي منذ بايعت رسول الله ﷺ، ولست خالعاً قميصاً كسانيه الله عز وجل، وأنا على مكاني حتى يكرم الله أهل السعادة، ويهين أهل الشقاء.

فخرج، وقالوا: ما صنعت؟

فقال: علقنا والله، والله ما ينجينا من الناس إلا قتله، وما يحل لنا قتله.

فأدخلوا عليه رجلاً من بني ليث، فقال: ممن الرجل؟

فقال: ليثي.

فقال: لست بصاحبي.

قال: وكيف؟

فقال: ألست الذي دعا لك النبي ﷺ في نفر أن تحفظوا يوم كذا وكذا؟

قال: بلى.

قال: فلن تضيع.

فرجع وفارق القوم، فأدخلوا عليه رجلاً من قريش، فقال: يا عثمان، إني قاتلك.

قال: كلا يا فلان، لا تقتلني.

قال: وكيف؟

قال: إن رسول الله ﷺ استغفر لك يوم كذا وكذا، فلن تقارف دماً حراماً.

فاستغفر ورجع، وفارق أصحابه.

فأقبل عبد الله بن سلام حتى قام على باب الدار ينهاهم عن قتله[١]، وقال: يا قوم لا تسلوا سيف الله عليكم، فوالله إن سللتموه لا تغمدوه، ويلكم! إن سلطانكم اليوم يقوم بالدرة، فان قتلتموه لا يقوم إلا بالسيف.

ويلكم! إن مدينتكم محفوفة بملائكة الله، والله لئن قتلتموه لتتركنها.

فقالوا: يا ابن اليهودية، وما أنت وهذا!

فرجع عنهم.

قالوا: وكان آخر من دخل عليه ممن رجع إلى القوم محمد بن أبي بكر، فقال له عثمان: ويلك! أعلى الله تغضب! هل لي إليك جرم إلا حقه أخذته منك!

---

١ - انظر آثاراً عن عبد الله بن سلام في النهي عن قتل عثمان في: «جامع الآثار القولية والفعلية الصحيحة للخليفة الراشد عثمان بن عفان» لعاطف حماد (ص/ ٣٤١- ٣٤٢).

فنكل ورجع.

قالوا: فلما خرج محمد بن أبي بكر وعرفوا انكساره، ثار قتيرة وسودان ابن حمران السكونيان والغافقي، فضربه الغافقي بحديدة معه، وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف، فاستقر بين يديه، وسالت عليه الدماء، وجاء سودان بن حمران ليضربه، فانكبت عليه نائلة ابنة الفرافصة، واتقت السيف بيدها، فتعمدها، ونفح أصابعها، فأطن أصابع يدها وولت، فغمز أوراكها، وقال: إنها لكبيرة العجيزة، وضرب عثمان فقتله، ودخل غلمة لعثمان مع القوم لينصروه -وقد كان عثمان أعتق من كف منهم- فلما رأوا سودان قد ضربه، أهوى له بعضهم فضرب عنقه فقتله، ووثب قتيرة على الغلام فقتله، وانتهبوا ما في البيت، وأخرجوا من فيه، ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى فلما خرجوا إلى الدار، وثب غلام لعثمان آخر على قتيرة فقتله، ودار القوم فأخذوا ما وجدوا، حتى تناولوا ما على النساء، وأخذ رجل ملاءة نائلة -والرجل يدعى كلثوم بن تجيب- فتنحت نائلة، فقال: ويح أمك من عجيزة ما أتمك! وبصر به غلام لعثمان فقتله وقُتل.

وتنادى القوم: أبصر رجل من صاحبه، وتنادوا في الدار: أدركوا بيت المال لا تسبقوا إليه، وسمع أصحاب بيت المال أصواتهم، وليس فيه إلا

غرارتان، فقالوا: النجاء، فإن القوم إنما يحاولون الدنيا، فهربوا وأتوا بيت المال فانتهبوه، وماج الناس فيه، فالتانئ[1] يسترجع ويبكي، والطارئ يفرح.

وندم القوم، وكان الزبير قد خرج من المدينة، فأقام على طريق مكة لئلا يشهد مقتله، فلما أتاه الخبر بمقتل عثمان وهو بحيث هو، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! رحم الله عثمان وانتصر له.

وقيل: إن القوم نادمون، فقال: دبروا دبروا، ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾[2].

وأتى الخبر طلحة، فقال: رحم الله عثمان! وانتصر له وللإسلام.

وقيل له: إن القوم نادمون.

فقال: تباً لهم! وقرأ: ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾[3].

١- يقال: تنأ، فهو تانئ: إذا أقام في البلد وغيره؛ انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/ ١٩٨).

٢- [سبأ: ٥٤].

٣- [يس: ٥٠].

وأتى علي، فقيل: قتل عثمان.

فقال: رحم الله عثمان، وخلف علينا بخير!

وقيل: ندم القوم.

فقرأ: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ ﴾[١]، الآية.

وطُلب سعد، فإذا هو في حائطه، وقد قال: لا أشهد قتله.

فلما جاءه قتله، قال: فررنا إلى المدينة تدنينا، وقرأ: ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[٢]، اللهم أندمهم ثم خذهم[٣].

وقال المغيرة بن شعبة: قلت لعلي: إن هذا الرجل مقتول، وإنه إن قتل وأنت بالمدينة اتخذوا فيك، فاخرج فكن بمكان كذا وكذا، فإنك إن فعلت، وكنت في غار باليمن طلبك الناس.

فأبى وحصر عثمان اثنين وعشرين يوماً، ثم أحرقوا الباب، وفي الدار أناس كثير، فيهم: عبد الله بن الزبير ومروان، فقالوا: ائذن لنا.

١- [الحشر: ١٦].

٢- [الكهف: ١٠٤].

٣- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٨٩- ٣٩٢) من طريق سيف به.

فقال: إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً، فأنا صابر عليه، وإن القوم لم يحرقوا باب الدار إلا وهم يطلبون ما هو أعظم منه، فأحرج على رجل يستقتل ويقاتل.

وخرج الناس كلهم، ودعا بالمصحف يقرأ فيه، والحسن عنده، فقال: إن أباك الآن لفي أمر عظيم، فأقسمت عليك لما خرجت!

وأمر عثمان أبا كرب -رجلاً من همدان-، وآخر من الأنصار أن يقوما على باب بيت المال، وليس فيه إلا غرارتان من ورق.

فلما أطفئت النار بعد ما ناوشهم ابن الزبير ومروان، وتوعد محمدُ بن أبي بكر ابنَ الزبير ومروان، فلما دخل على عثمان هربا، ودخل محمد بن أبي بكر على عثمان، فأخذ بلحيته.

فقال: أرسل لحيتي، فلم يكن أبوك ليتناولها.

فأرسلها، ودخلوا عليه، فمنهم من يجؤه بنعل سيفه، وآخر يلكزه، وجاءه رجل بمشاقص معه، فوجأه في ترقوته، فسال الدم على المصحف، وهم في ذلك يهابون في قتله، وكان كبيراً، وغشي عليه.

ودخل آخرون، فلما رأوه مغشياً عليه جروا برجله، فصاحت نائلة وبناته!

وجاء التجيبي مخترطاً سيفه ليضعه في بطنه، فوقته نائلة، فقطع يدها، واتكأ بالسيف عليه في صدره، وقتل عثمان ﷺ قبل غروب الشمس.

ونادى مناد: ما يحل دمه ويحرج ماله، فانتهبوا كل شيء، ثم تبادروا بيت المال، فألقى الرجلان المفاتيح ونجوا.

وقالوا: الهرب الهرب؛ هذا ما طلب القوم[1]!

وقال عبد الرحمن بن محمد: إن محمد بن أبي بكر تسور على عثمان من دار عمرو بن حزم، ومعه كنانة بن بشر بن عتاب، وسودان بن حمران، وعمرو بن الحمق، فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة، وهو يقرأ في المصحف في سورة البقرة، فتقدمهم محمد بن أبي بكر، فأخذ بلحية عثمان، فقال: قد أخزاك الله يا نعثل!

فقال عثمان: لست بنعثل، ولكني عبد الله وأمير المؤمنين.

قال محمد: ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان!

فقال عثمان: يا ابن أخي، دع عنك لحيتي، فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه.

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر بإسناده عن المغيرة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٩٢- ٣٩٣) من طريق سيف به.

فقال محمد: لو رآك أبي تعمل هذه الأعمال أنكرها عليك، وما أريد بك أشد من قبضي على لحيتك.

قال عثمان: أستنصر الله عليك، وأستعين به، ثم طعن جبينه بمشقص في يده.

ورفع كنانة بن بشر مشاقص كانت في يده، فوجأ بها في أصل أذن عثمان، فمضت حتى دخلت في حلقه، ثم علاه بالسيف حتى قتله.

وقال: سمعت أبا عون يقول: ضرب كنانة بن بشر جبينه ومقدم رأسه بعمود حديد، فخر لجبينه، فضربه سودان بن حمران المرادي بعد ما خر لجبينه فقتله(١).

وقال عبد الرحمن بن الحارث: الذي قتله كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي، وكانت امرأة منظور بن سيار الفزاري تقول: خرجنا إلى الحج، وما علمنا لعثمان بقتل، حتى إذا كنا بالعرج سمعنا رجلاً يتغنى تحت الليل:

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة　　　قتيل التجيبي الذي جاء من مصر

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن عبد الرحمن بن عبد العزيز عن عبد الرحمن بن محمد به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٩٣- ٣٩٤) معلقاً عن الواقدي به.

قال: وأما عمرو بن الحمق فوثب على عثمان، فجلس على صدره وبه رمق، فطعنه تسع طعنات.

قال عمرو: فأما ثلاث منهن فإني طعنتهن إياه لله، وأما ست فإني طعنتهن إياه لما كان في صدري عليه(١).

وقال موسى بن طلحة: رأيت عروة بن شييم ضرب مروان يوم الدار بالسيف على رقبته، فقطع إحدى علباويه، فعاش مروان أوقص، ومروان الذي يقول:

ما قلت يوم الدار للقوم حاجزوا
رويداً ولا استبقوا الحياة على القتل
ولكنني قد قلت للقوم ما صعوا
بأسيافكم كيما يصلن إلى الكهل(٢)

وقال عثمان بن محمد الأخنسي: كان حصر عثمان قبل قدوم أهل مصر،

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن الحارث به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٩٤) معلقاً عن الواقدي به.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن إسحاق بن يحيى عن موسى به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٩٤) معلقاً عن الواقدي به.

فقدم أهل مصر يوم الجمعة، وقتلوه في الجمعة الأخرى(١).

وقال يزيد بن أبي حبيب: ولي قتل عثمان نهران الأصبحي، وكان قاتل عبد الله بن بسرة، وهو رجل من بني عبد الدار(٢).

وقال أبو عون مولى المسور بن مخرمة: ما زال المصريون كافين عن دمه وعن القتال، حتى قدمت أمداد العراق من البصرة ومن الكوفة ومن الشام، فلما جاءوا شجعوا القوم، وبلغهم أن البعوث قد فصلت من العراق ومن مصر من عند ابن سعد، ولم يكن ابن سعد بمصر قبل ذلك، كان هارباً قد خرج إلى الشام، فقالوا: نعاجله قبل أن تقدم الأمداد(٣).

وقال يوسف بن عبد الله بن سلام: أشرف عثمان عليهم وهو محصور، وقد أحاطوا بالدار من كل ناحية، فقال: أنشدكم بالله جل وعز، هل تعلمون أنكم دعوتم الله عند مصاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يخير لكم، وأن يجمعكم على خيركم! فما ظنكم بالله! أتقولونه: لم

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن يوسف بن يعقوب عن عثمان به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٩٤) معلقاً عن الواقدي به.

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٣٩٤) بإسناد ضعيف؛ لعدم إدراك يزيد زمن الفتنة.

٣- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن الحكم بن القاسم عن أبي عون به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٩٤- ٣٩٥) معلقاً عن الواقدي به.

يستجب لكم، وهنتم على الله سبحانه، وأنتم يومئذ أهل حقه من خلقه، وجميع أموركم لم تتفرق!

أم تقولون: هان على الله دينه، فلم يبال من ولاه، والدين يومئذ يعبد به الله ولم يتفرق أهله، فتوكلوا أو تخذلوا، وتعاقبوا!

أم تقولون: لم يكن أخذ عن مشورة، وإنما كابرتم مكابرة، فوكل الله الأمة إذا عصته لم تشاوروا في الإمام، ولم تجتهدوا في موضع كراهته!

أم تقولون: لم يدر الله ما عاقبة أمري، فكنت في بعض أمري محسناً، ولأهل الدين رضا، فما أحدثت بعد في أمري ما يسخط الله، وتسخطون مما لم يعلم الله سبحانه يوم اختارني وسربلني سربال كرامته!

وأنشدكم بالله، هل تعلمون لي من سابقة خير وسلف خير قدمه الله لي، وأشهدنيه من حقه! وجهاد عدوه حق على كل من جاء بعدي أن يعرفوا لي فضلها.

فمهلاً، لا تقتلوني، فإنه لا يحل إلا قتل ثلاثة: رجل زنى بعد إحصانه، أو كفر بعد إسلامه، أو قتل نفساً بغير نفس فيقتل بها، فإنكم إن قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم، ثم لم يرفعه الله عز وجل عنكم إلى يوم

القيامة، ولا تقتلوني؛ فإنكم إن قتلتموني لم تصلوا من بعدي جميعاً أبداً، ولم تقتسموا بعدي فيئاً جميعاً أبداً، ولن يرفع الله عنكم الاختلاف أبداً.

قالوا له: أما ما ذكرت من استخارة الله عز وجل الناس بعد عمر رضي الله عنه فيمن يولون عليهم، ثم ولوك بعد استخارة الله، فإن كل ما صنع الله الخيرة، ولكن الله سبحانه جعل أمرك بلية ابتلى بها عباده.

وأما ما ذكرت من قدمك وسبقك مع رسول الله ﷺ، فإنك قد كنت ذا قدم وسلف، وكنت أهلاً للولاية، ولكن بدلت بعد ذلك، وأحدثت ما قد علمت.

وأما ما ذكرت مما يصيبنا إن نحن قتلناك من البلاء، فإنه لا ينبغي ترك إقامة الحق عليك مخافة الفتنة عاماً قابلاً.

وأما قولك: إنه لا يحل إلا قتل ثلاثة، فإنا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سميت، قتل من سعى في الأرض فساداً، وقتل من بغى ثم قاتل على بغيه، وقتل من حال دون شيء من الحق ومنعه ثم قاتل دونه وكابر عليه، وقد بغيت، ومنعت الحق، وحلت دونه، وكابرت عليه، تأبى أن تقيد من نفسك من ظلمت عمداً، وتمسكت بالإمارة علينا، وقد جرت في حكمك وقسمك!

فإن زعمت أنك لم تكابرنا عليه، وأن الذين قاموا دونك ومنعوك منا إنما يقاتلون بغير أمرك، فإنما يقاتلون لتمسكك بالإمارة، فلو أنك خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال دونك(١).

قاتل عثمان بن عفان رضي الله عنه

لقد اتّهم في مباشرة قتل عثمان رضي الله عنه عدة أشخاص، جاء ذلك في روايات كثيرة، منها المقبول، وأكثرها ضعيف مردود.

وفي الروايات الصحيحة أنه رجل أسود من أهل مصر(٢)، ولكنها تختلف في تعيينه، ففي رواية منها أنه كان يقال له: حمار(٣)، وفي رواية ثانية: جبلة(٤)، وفي ثالثة: جبلة بن الأيهم(٥).

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن الزبير بن عبد الله عن يوسف به، وأخرجه الطبري (٤/ ٣٩٥- ٣٩٦) معلقاً عن الواقدي به.

٢- أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٨٨٢٢)، وعبد الله بن الإمام أحمد في «فضائل عثمان» (رقم/ ١٩) من قول جندب الخير.

وأخرجه خليفة بن خياط في «التاريخ» (ص/ ١٧٦) من قول الحسن البصري.

٣- انظر: «التاريخ» لخليفة بن الخياط (ص/ ١٧٥).

٤- انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٨٣)، و«التاريخ الكبير» للبخاري (٧/ ٢٣٧)، و«تاريخ المدينة» لابن شبة (٤/ ١٣٠٨).

٥- انظر: «الاستيعاب» (٣/ ١٠٤٦).

ومصدر هذه الروايات الثلاث واحد، وهو كنانة مولى صفية رضي الله عنها، اختلف فيها عليه، فروى عنه محمد بن طلحة بن مصرف الرواية الأولى، والثالثة، وروى عنه زهير بن معاوية الرواية الثانية.

وزهير: ثقة حافظ[١].

أما محمد: فصدوق له أوهام[٢]، فرواية زهير هذه محفوظة، فتصبح رواية محمد -الأولى- شاذة لمخالفتها لرواية أوثق منها.

ويحتمل أن لفظة «حمار» مصحفة من جبلة، لتشابه الرسمين في طريقة الأقدمين في الكتابة، حيث إنّهم كثيراً ما يُغفلون النقط.

أما روايته الثالثة، فلا يعمم الحكم عليها من حيث دخول الوهم عليها وعدمه، لأنه وافق زهيراً في بعضها وزاد اسم الأب.

وزيادة الثقة مقبولة، إلا أن ما في محمد من وهم، وخفة في الضبط يخرجه من عداد من تقبل زيادتهم، خاصة وأن ما أدت إليه زيادته مردود من وجوه، فإن زيادته تجعل القاتل هو جبلة بن الأيهم، ولا يعرف بهذا الاسم إلا الغساني، ملك الغساسنة، وهو من أهل الشام بينما أجمعت

١- انظر ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٩/ ٤٢٠).

٢- انظر ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٢٥/ ٤١٧).

الروايات الثلاث على أن القاتل من أهل مصر.

كما أن زيادته هذه تدل على أن جبلة؛ اسم للقاتل، بينما يفهم من الروايات الثلاث أنه ليس اسماً إنما هو لقب، لقب به لسواد بشرته، يفهم هذا من قول كنانة: رجل من أهل مصر يقال له جبلة ... أي: الرجل الأسود[١].

وإذا تذكرنا أن الرجل الذي دخل على عثمان ﵁ وخنقه أسود أيضاً، وأن الراوي قال: خنقه ثم خنقه قبل أن يضرب بالسيف[٢]، دلنا ذلك على أن هذا الرجل هو القاتل الذي يقال له: جبلة؛ لأنه أسود البشرة، ولأن في قول الراوي: «قبل أن يضرب بالسيف» دليلاً على أنه ضرب بالسيف.

فإذا صح هذا الربط، فإنه يبين لنا نسبة هذا القاتل، حيث إن الراوي أوضح عن نسبته وأنه من بني سدوس.

ويزيد ذلك في توهم زيادة «الأيهم»؛ لأن جبلة بن الأيهم الغساني من

١- [إسناده حسن]: أخرجه ابن سعد (٣/ ٨٣).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه خليفة بن خياط في «التاريخ» (ص/ ١٧٤)، والطبري (٤/ ٣٨٣).

الغساسنة، وهذا القاتل من بني سدوس.

والخلاصة : أن قاتل عثمان رضي الله عنه رجل مصري، لم تفصح الروايات عن اسمه، وبينت أنه سدوسي الأصل، أسود البشرة، لقب بـ«جَبَلة» لسواد بشرته كما لقب أيضاً بـ«الموت الأسود»، ولم أقف على ترجمة تتصف بهذه الصفات.

وذهب محب الدين الخطيب إلى أن القاتل: هو عبد الله بن سبأ، حيث قال: ومن الثابت أن ابن سبأ كان مع ثوار مصر عند مجيئهم من الفسطاط إلى المدينة، وهو في كل الأدوار التي مثلها كان شديد الحرص على أن يعمل من وراء ستار، فلعل «الموت الأسود» اسم مستعار له أراد أن يرمز به إليه، ليتمكن من مواصلة دسائسه لهدم الإسلام[١].

وقد يشهد لما ذهب إليه: أن ابن سبأ أسود البشرة؛ فقد صح عن علي رضي الله عنه أنه وصفه بالخبث، وسواد البشرة، وذلك في قوله عنه: الخبيث الأسود[٢].

١- حاشية «العواصم من القواصم» (ص/ ١٤١).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه أبو إسحاق الفزاري في «السير» [كما في لسان الميزان (٣/ ٢٩٠)].

وأنه يعتبر من أهل مصر لتغلغل أفكاره في بعض أهلها، ولمكثه فيها آخر أمره، ولقدومه مع أهلها[١].

وأن اللقبين اللذين وردا للقاتل يلتقيان مع لقبه المشهور (ابن السوداء)، فإن الألقاب الثلاثة تشتمل على لون بشرته وهو السواد.

وأن اللقب الذي لقب به القاتل (جبلة) اسم لرجل يهودي يمني[٢]، ورُوي أن ابن سبأ من يهود اليمن[٣].

ولا صحة لاتهام كنانة بن بشر التجيبي الكندي، ورجل بن بني عبد الدار يسمى نهران الأصبحي، وأبي عمرو بن بديل الخزاعي، وسودان بن رومان المرادي، ورجل من بني أسد بن خزيمة يسمى رومان، وسودان بن حمران، ومحمد بن أبي بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بقتل عثمان رضي الله عنه.

فكل ذلك رُوي بأسانيد ضعيفة، كما أن متونها شاذة؛ لمخالفتها للرواية الصحيحة التي تبين أن القاتل هو رجل مصري، يقال له: جبلة؛ لسواد بشرته.

١- انظر: حاشية «العواصم من القواصم» (ص/ ١٤١).

٢- ذكر ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٢/ ١٠٧) أن جبلة اسم لرجل يهودي يمني كان يبيع الفَخَّار.

٣- انظر: «تاريخ الطبري» (٤/ ٣٤٠- ٣٤١).

وأما ما يتعلق بتهمة محمد بن أبي بكر فإنه يضاف إلى ما تقدم أنه قد وردت رواية صحيحة الإسناد تبرئه من هذه التهمة، وتكشف عن سبب اتهامه بها؛ يرويها لنا شاهد عيان -حضر يوم الدار ورأى القاتل-، وهو كنانة مولى صفية رضي الله عنها، فقد سأله محمد بن طلحة؛ هل ندى محمد بن أبي بكر بشيء من دمه -أي: عثمان-؟

فقال: معاذ الله، دخل عليه، فقال له عثمان: يا ابن أخي لست بصاحبي، وكلمه بكلام، فخرج ولم يند بشيء من دمه[1].

وفي رواية صحيحة أخرى أن كنانة قال: لم يند محمد بن أبي بكر من دم عثمان بشيء، فقال له محمد بن طلحة: فلم قيل إنه قتله؟

قال: معاذ الله أن يكون قتله، إنما دخل عليه فقال له عثمان ...[2].

وعن الحسن أن ابن أبي بكر أخذ بلحيته، فقال عثمان: لقد أخذت مني مأخذاً أو قعدت مني مقعداً ما كان أبوك ليقعده، فخرج وتركه[3].

وبهذه الروايات الصحيحة تظهر لنا براءة محمد بن أبي بكر الصديق

١- [إسناده حسن]: أخرجه أسد بن موسى [كما في «الاستيعاب» (٣/ ١٠٤٦)].

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه خليفة بن الخياط في «التاريخ» (ص/ ١٧٤).

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه خليفة بن خياط في «تاريخه» (ص/ ١٧٤).

من دم عثمان، كما تبين أن سبب تهمته هو دخوله عليه قبل القتل.

وقد ذكر ابن كثير أنه لما كلمه عثمان ﵁ استحيى، ورجع، وتندم، وغطى وجهه وحاجز دونه، فلم تفد محاجزته[1][2].

من كان يصلي بالناس في مسجد ﷺ حين حُصِر عثمان بن عفان ﵁؟

عن عبيد الله بن عدي بن خيار، أنه دخل على عثمان بن عفان ﵁، وهو محصور، فقال: إنك إمام عامة، ونزل بك ما نرى، ويصلي لنا إمام فتنة، ونتحرج؟

فقال: الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس، فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم[3].

وقال ربيعة بن عثمان: جاء المؤذنُ سعدُ القرظ إلى علي بن أبي طالب في ذلك اليوم، فقال: من يصلي بالناس؟

فقال علي: ناد خالد بن زيد.

١- «البداية والنهاية» (٧/ ١٩٣- ١٩٤).

٢- هذا المبحث مستفاد من «فتنة مقتل عثمان» لمحمد بن عبد الله الغبان (١/ ٢٠٥- ٢١٠).

٣- أخرجه البخاري (رقم/ ٦٩٥).

فنادى خالد بن زيد، فصلى بالناس -فإنه لأول يوم عرف أن أبا أيوب خالد بن زيد- فكان يصلي بهم أياماً، ثم صلى علي بعد ذلك بالناس[١].

وقال عبد الله بن أبي بكر بن حزم: جاء المؤذن إلى عثمان فآذنه بالصلاة.

فقال: لا أنزل أصلي، اذهب إلى من يصلي.

فجاء المؤذن إلى علي، فأمر سهل بن حنيف[٢]، فصلى اليوم الذي حصر فيه عثمان الحصر الآخر، وهو ليلة رئي هلال ذي الحجة، فصلى بهم، حتى إذا كان يوم العيد صلى علي العيد، ثم صلى بهم حتى قتل رضي الله عنه[٣].

وقال ابن عمر: لما حُصِر عثمان صلى بالناس أبو أيوب أياماً، ثم صلى بهم علي الجمعة والعيد، حتى قتل رضي الله عنه[٤].

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن ربيعة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٤٢٣) معلقاً عن الواقدي به.

٢- أخرج ابن شبة (٤/ ١٢١٨) أنه صلى بالناس يوم الجمعة، وقال ابن حجر في «فتح الباري» (٢/ ١٨٩): «إسناده قوي».

٣- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن عبد الرحمن بن عبد العزيز عن عبد الله به، وأخرجه الطبري (٤/ ٤٢٣) معلقاً عن الواقدي به.

٤- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي بإسناده عن ابن عمر به، وأخرجه الطبري (٤/ ٤٢٣) معلقاً عن الواقدي به.

وعن أبي عبيد سعد بن عبيد مولى ابن أزهر، قال: صليت العيد مع علي رضي الله عنه، وعثمان رضي الله عنه محصور، فصلى ثم خطب بعد الصلاة[١].

وروي عن أبي ثور الفهمي أنه رأى ابن عديس صلى لأهل المدينة الجمعة، فطلع منبر رسول الله ﷺ فخطب[٢].

١- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن شبة (٤/ ١٢١٦)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٤١٤).

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه ابن شبة (٤/ ١٢١٨).

المبحث الرابع

دفن عثمان بن عفان رضي الله عنه

الموضع الذي دفن فيه عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومن صلى عليه، وولي أمره بعد ما قتل إلى أن فرغ من أمره ودفنه.

قال مالك بن أبي عامر: احتملنا عثمان فانتهينا به إلى أقصى البقيع إلى حائط قد كان عثمان اشتراه ليصله بالمقبرة، فكان الناس يتحامونه للدعوة التي ذكرت في أهل البقيع[1]، فقيل: يا أمير المؤمنين لو أكرهت الناس عليه.

فقال: دعوه لعله يدفن فيه رجل صالح فيستن الناس في الدفن به، فكان عثمان أول من دفن فيه[2].

وقال مالك بن أبي عامر كذلك: كان الناس يتوقون أن يدفنوا موتاهم في حُش كوكب، فكان عثمان بن عفان يقول: يوشك أن يهلك رجل

١- يقصد ما أخرجه مسلم (رقم/ ٩٧٤): «اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد».

٢- [إسناده لا بأس به]: أخرجه البلاذري في «أنساب الأشراف» (٥/ ٥٨٩).

صالح فيدفن هناك، فيأتسي الناس به. فكان عثمان بن عفان أول من دفن هناك[١].

وقال أبو بشير العابدي: نبذ عثمان رضي الله عنه ثلاثة أيام لا يدفن، ثم إن حكيم بن حزام القرشي ثم أحد بني أسد بن عبد العزى، وجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، كلما علياً في دفنه، وطلبا إليه أن يأذن لأهله في ذلك، ففعل، وأذن لهم علي.

فلما سمع بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة، وخرج به ناس يسير من أهله، وهم يريدون به حائطاً بالمدينة، يقال له: حُش كوكب، كانت اليهود تدفن فيه موتاهم، فلما خرج به على الناس رجموا سريره، وهموا بطرحه، فبلغ ذلك علياً، فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفن عنه، ففعلوا، فانطلق حتى دفن رضي الله عنه في حُش كوكب.

فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتى أفضى به إلى البقيع، فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين[٢].

١- [إسناده لا بأس به]: أخرجه ابن سعد (٣/ ٧٧).

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٤١٢).

وقال أبو كرب -وكان عاملاً على بيت مال عثمان-: دفن عثمان رضي الله عنه بين المغرب والعتمة، ولم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم، وثلاثة من مواليه، وابنته الخامسة، فناحت ابنته ورفعت صوتها تندبه، وأخذ الناس الحجارة، وقالوا: نعثل نعثل!

وكادت ترجم، فقالوا: الحائط الحائط، فدفن في حائط خارجاً(١).

وقال صالح بن كيسان: لما قتل عثمان رضي الله عنه، قال رجل: يدفن بدير سلع مقبرة اليهود.

فقال حكيم بن حزام: والله لا يكون هذا أبداً، وأحد من ولد قصي حي، حتى كاد الشر يلتحم.

فقال ابن عديس البلوي: أيها الشيخ، وما يضرك أين يدفن!

فقال حكيم بن حزام: لا يدفن إلا ببقيع الغرقد حيث دفن سلفه وفرطه.

فخرج به حكيم بن حزام في اثني عشر رجلاً، وفيهم الزبير، فصلى عليه حكيم بن حزام(٢).

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٤١٢).

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن سعد بن راشد عن صالح به، وأخرجه الطبري (٤/ ٤١٣) معلقاً عن الواقدي به.

قال الواقدي: الثبت عندنا أنه صلى عليه جبير بن مطعم[(١)].

وقال أبو الزناد عبد الله بن ذكوان: خرجت نائلة امرأة عثمان ليلة دفن ومعها سراج وقد شقت جيبها، وهي تصيح: واعثماناه! واأمير المؤمنيناه!

فقال لها جبير بن مطعم: أطفئي السراج فقد ترين من بالباب، فأطفأت السراج وانتهوا به إلى البقيع، فصلى عليه جبير، وخلفه حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، وأبو جهم بن حذيفة، ونيار بن مكرم، ونائلة، وأم البنين بنت عيينة بن حصن امرأتاه، ونزل في حفرته نيار، وأبو جهم، وجبير، وكان حكيم والامرأتان يدلونه على الرجال حتى قبر، وبني عليه وعموا قبره وتفرقوا[(٢)].

وقال مخرمة بن سليمان الوالبي: قتل عثمان ﷺ يوم الجمعة ضحوة، فلم يقدروا على دفنه، وأرسلت نائلة ابنة الفرافصة إلى حويطب بن عبد العزى، وجبير بن مطعم، وأبي جهم بن حذيفة، وحكيم بن حزام، ونيار الأسلمي، فقالوا: إنا لا نقدر أن نخرج به نهاراً، وهؤلاء المصريون على الباب، فأمهلوا

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٤١٣) معلقاً عن الواقدي به.

٢- [إسناده حسن]: أخرجه البلاذري في «أنساب الأشراف» (٥/ ٥٩٣)، ومن طريقه معلقاً ابن عساكر (٧٠/ ١٤٠).

حتى كان بين المغرب والعشاء، فدخل القوم، فحيل بينهم وبينه.

فقال أبو جهم: والله لا يحول بيني وبينه أحد إلا مت دونه، احملوه، فحمل إلى البقيع.

قال: وتبعتهم نائلة بسراج استسرجته بالبقيع، وغلام لعثمان، حتى انتهوا إلى نخلات عليها حائط، فدقوا الجدار، ثم قبروه في تلك النخلات.

وصلى عليه جبير بن مطعم، فذهبت نائلة تريد أن تتكلم، فزبرها القوم، وقالوا: إنا نخاف عليه من هؤلاء الغوغاء أن ينبشوه، فرجعت نائلة إلى منزلها(١).

وقال عبد الله بن ساعدة: لبث عثمان بعد ما قتل ليلتين لا يستطيعون دفنه، ثم حمله أربعة: حكيم بن حزام، وجبير بن مطعم، ونيار بن مكرم، وأبو جهم بن حذيفة.

فلما وضع ليصلى عليه، جاء نفر من الأنصار يمنعونهم الصلاة عليه، فيهم: أسلم بن أوس بن بجرة الساعدي، وأبو حية المازني، في عدة، ومنعوهم أن يدفن بالبقيع.

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن الضحاك بن عثمان عن مخرمة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٤١٣) معلقاً عن الواقدي به.

فقال أبو جهم: ادفنوه، فقد صلى الله عليه وملائكته.

فقالوا: لا والله، لا يدفن في مقابر المسلمين أبداً.

فدفنوه في حُش كوكب، فلما ملكت بنو أمية أدخلوا ذلك الحش في البقيع، فهو اليوم مقبرة بني أمية[١].

وقال عبد الله بن موسى المخزومي: لما قتل عثمان رضي الله عنه أرادوا حز رأسه، فوقعت عليه نائلة وأم البنين، فمنعنهم، وصحن وضربن الوجوه، وخرقن ثيابهن، فقال ابن عديس: اتركوه، فأخرج عثمان ولم يغسل إلى البقيع، وأرادوا أن يصلوا عليه في موضع الجنائز، فأبت الأنصار، وأقبل عمير بن ضابئ وعثمان موضوع على باب، فنزا عليه، فكسر ضلعاً من أضلاعه، وقال: سجنت ضابئاً حتى مات في السجن[٢].

وقال مالك بن أبي عامر: كنت أحد حملة عثمان رضي الله عنه حين قتل، حملناه على باب، وإن رأسه لتقرع الباب لإسراعنا به، وإن بنا من الخوف لأمراً

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن ساعدة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٤١٣) معلقاً عن الواقدي به.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن عبد الله به، وأخرجه الطبري (٤/ ٤١٤) معلقاً عن الواقدي به.

عظيماً، حتى واريناه في قبره في حُش كوكب[١].

وقال الشعبي: دفن عثمان رضي الله عنه من الليل، وصلى عليه مروان بن الحكم، وخرجت ابنته تبكي في أثره، ونائلة ابنة الفرافصة، رحمهم الله[٢].

وقال أبو حارثة محرز العبشمي وأبو عثمان يزيد بن أُسيد ومحمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم: إن عثمان لما قتل أرسلت نائلة إلى عبد الرحمن بن عديس، فقالت له: إنك أمس القوم رحماً، وأولاهم بأن تقوم بأمري، أغرب عني هؤلاء الأموات.

قال: فشتمها وزجرها.

حتى إذا كان في جوف الليل، خرج مروان حتى أتى دار عثمان، فأتاه زيد بن ثابت، وطلحة بن عبيد الله، وعلي، والحسن، وكعب بن مالك، وعامة من ثم من صحابه، فتوافى إلى موضع الجنائز صبيان ونساء، فأخرجوا عثمان فصلى عليه مروان، ثم خرجوا به حتى انتهوا إلى البقيع، فدفنوه فيه مما يلي حُش كوكب، حتى إذا أصبحوا أتوا أعبد عثمان الذين

١- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن سعد (٣/ ٧٩)، ومن طريقه الطبري (٤/ ٤١٤).

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن مجالد عن الشعبي به، وأخرجه الطبري (٤/ ٤١٥) من طريق سيف به.

قتلوا معه فأخرجوهم فرأوهم فمنعوهم من أن يدفنوا، فأدخلوهم حُش كوكب، فلما أمسوا خرجوا بعبدين منهم فدفنوهما إلى جنب عثمان، ومع كل واحد منهما خمسة نفر وامرأة، فاطمة أم إبراهيم بن عدي.

ثم رجعوا فأتوا كنانة بن بشر، فقالوا: إنك أمس القوم بنا رحماً، فأمر بهاتين الجيفتين اللتين في الدار أن تخرجا.

فكلمهم في ذلك، فأبوا، فقال: أنا جار لآل عثمان من أهل مصر ومن لف لفهم، فأخرجوهما فارموا بهما، فجرا بأرجلهما فرمى بهما على البلاط، فأكلتهما الكلاب، وكان العبدان اللذان قتلا يوم الدار، يقال لهما: نجيح وصبيح، فكان اسماهما الغالب على الرقيق لفضلهما وبلائهما، ولم يحفظ الناس اسم الثالث، ولم يغسل عثمان، وكفن في ثيابه ودمائه ولا غسل غلاماه[1].

قال ابن كثير: أما موضع قبره فلا خلاف أنه دفن بِحُش كوكب -شرقي البقيع-، وقد بني عليه زمان بني أمية قبة عظيمة وهي باقية إلى اليوم.

قال الإمام مالك رضي الله عنه: بلغني أن عثمان رضي الله عنه كان يمر بمكان قبره من حُش كوكب، فيقول: إنه سيدفن ههنا رجل صالح.

١- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن أبي حارثة وأبي عثمان ومحمد وطلحة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٤١٤- ٤١٥) من طريق سيف به.

وقد ذكر ابن جرير أن عثمان رضي الله عنه بقي بعد أن قتل ثلاثة أيام لا يدفن.

قلت: وكأنه اشتغل الناس عنه بمبايعة علي رضي الله عنه حتى تمت، وقيل: إنه مكث ليلتين، وقيل: بل دفن من ليلته، ثم كان دفنه ما بين المغرب والعشاء خيفة من الخوارج، وقيل بل استؤذن في ذلك بعض رؤسائهم.

فخرجوا به في نفر قليل من الصحابة، فيهم: حكيم بن حزام، وحويطب بن عبد العزى، وأبو الجهم بن حذيفة، ونيار بن مكرم الأسلمي، وجبير بن مطعم، وزيد بن ثابت، وكعب بن مالك، وطلحة، والزبير، وعلي بن أبي طالب، وجماعة من أصحابه، ونسائه، منهن: امرأتاه نائلة وأم البنين بنت عتبة بن حصين، وصبيان -وهذا مجموع من كلام الواقدي وسيف بن عمر التميمي-، وجماعة من خدمه حملوه على باب بعد ما غسلوه وكفنوه.

وزعم بعضهم أنه لم يغسل ولم يكفن، والصحيح الأول[1].

الوقت الذي قتل فيه عثمان بن عفان رضي الله عنه

اختلف في ذلك بعد إجماع جميعهم على أنه قتل في ذي الحجة.

١- «البداية والنهاية» (٧/ ٢١٣).

فقال بعضهم: قتل لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين من الهجرة.

قال زيد بن طلحة: قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين بعد العصر، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة غير اثني عشر يوماً، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة(١).

وقال مصعب بن عبد الله: قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين بعد العصر(٢).

وقال آخرون: قتل في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين لثماني عشرة ليلة خلت منه.

قال عامر الشعبي: حُصِر عثمان بن عفان رضي الله عنه في الدار اثنتين وعشرين ليلة، وقتل صبحه ثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وعشرين من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣).

١- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي بإسناده عن زيد به، وأخرجه الطبري (٤/ ٤١٥) معلقاً عن الواقدي به.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي بإسناده عن مصعب به، وأخرجه الطبري (٤/ ٤١٥) معلقاً عن الواقدي به.

٣- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٤١٦).

وقال أبو معشر: قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما(١).

وقال محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم وأبو حارثة محرز العبشمي وأبو عثمان يزيد بن أُسيد: قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً من مقتل عمر رضي الله عنه(٢).

وقال كذلك محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم وأبو حارثة محرز العبشمي وأبو عثمان يزيد بن أُسيد: قتل عثمان رضي الله عنه لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة يوم الجمعة في آخر ساعة(٣).

وقال عبد الله بن محمد بن عقيل: قتل عثمان رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين(٤).

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٤١٦).

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان به، وأخرجه الطبري (٤/ ٤١٦) من طريق سيف به.

٣- [إسناده ضعيف]: ذكره سيف بن عمر عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان به، وأخرجه الطبري (٤/ ٤١٦) من طريق سيف به.

٤- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٤١٦).

وقال آخرون : قتل يوم الجمعة ضحوة.

قال ابن جرير: ذُكر عن هشام بن الكلبي، أنه قال: قتل عثمان ﵁ صبيحة الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، فكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا ثمانية أيام[١].

وقال مخرمة بن سليمان الوالبي: قتل عثمان ﵁ يوم الجمعة ضحوة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين[٢].

وقال آخرون : قتل في أيام التشريق.

قال الزهري: قتل عثمان ﵁، فزعم بعض الناس أنه قتل في أيام التشريق[٣].

وقال أبو عثمان النهدي: قتل عثمان في أوسط أيام التشريق[٤].

١- «تاريخ الطبري» (٤/ ٤١٧).

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن الضحاك بن عثمان عن مخرمة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٤١٧) من طريق الواقدي به.

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه الطبري (٤/ ٤١٧) بإسناد صحيح عن الزهري، وإن كان الزهري لم يدرك زمن قتل عثمان، فلا يضر؛ لأنه يحكي رأيا لآخرين، ولا يذكر ما عاينه.

٤- [إسناده صحيح]: أخرجه خليفة بن خياط في «تاريخه» (ص/ ١٧٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٨٨٦٨)، وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائد «المسند» (١/ ٧٤)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٣٣): «رجاله رجال الصحيح».

قال ابن كثير: كان قتله رضي الله عنه في يوم الجمعة بلا خلاف.

قال سيف بن عمر عن مشايخه: في آخر ساعة منها، ونص عليه مصعب بن الزبير وآخرون.

وقال آخرون: ضحوة نهارها، وهذا أشبه، وكان ذلك لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة على المشهور، وقيل: في أيام التشريق، رواه ابن جرير: حدثني أحمد بن زهير، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا وهب بن جرير، سمعت يونس عن يزيد عن الزهري، قال: قتل عثمان فزعم بعض الناس أنه قتل في أيام التشريق، وقال بعضهم قتل يوم الجمعة لثلاث خلت من ذي الحجة.

وقيل: قتل يوم النحر، حكاه ابن عساكر، ويستشهد له بقول الشاعر:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به   يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

قال: والأول هو الأشهر، وقيل: إنه قتل يوم الجمعة لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين على الصحيح المشهور، وقيل: سنة ست وثلاثين، قال مصعب بن الزبير وطائفة: وهو غريب.

فكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً، لأنه بويع له في

مستهل المحرم سنة أربع وعشرين[1].

وقال بعضهم: قتل يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة.

قدر مدة خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال سفينة: ولي عثمان ثنتي عشرة سنة[2].

وقال المسور بن مخرمة: كانت خلافة عثمان رضي الله عنه ثنتي عشرة سنة[3].

وقال ابن كثير: كانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً، لأنه بويع له في مستهل المحرم سنة أربع وعشرين[4].

قدر مدة حياة عثمان بن عفان رضي الله عنه

اختلف السلف في ذلك، فقال بعضهم: كانت مدة ذلك اثنتين وثمانين سنة.

١- «البداية والنهاية» (٧/ ٢١٢).

٢- [إسناده حسن]: أخرجه البغوي في «معجم الصحابة» (٤/ ٣٣٥)، و«الجعديات» (رقم/ ٣٣٢٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ٨٤)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (رقم/ ٤٥٩).

٣- [إسناده حسن]: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٧٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٩٩): «إسناده حسن».

٤- «البداية والنهاية» (٧/ ٢١٢).

قال الواقدي: إن عثمان ﷺ قُتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة[١].

وقال مخرمة بن سليمان الوالبي: قُتل عثمان ﷺ وهو ابن اثنتين وثمانين سنة[٢].

وقال صالح بن كيسان: قُتل عثمان ﷺ وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وأشهر[٣].

وقال آخرون: قتل وهو ابن تسعين أو ثمان وثمانين.

قال قتادة: إن عثمان ﷺ قتل وهو ابن تسعين أو ثمان وثمانين سنة[٤].

وقال آخرون: قتل وهو ابن خمس وسبعين سنة، وذلك قول ذُكر عن هشام بن محمد[٥].

وقال بعضهم: قتل وهو ابن ثلاث وستين.

١- [إسناده صحيح إلى الواقدي]: أخرجه الطبري (٤/ ٤١٧) بإسناد صحيح عن الواقدي به، ويبقى النظر في حال الواقدي، والانقطاع بينه وبين زمن عثمان.

٢- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن الضحاك بن عثمان عن مخرمة به، وأخرجه الطبري (٤/ ٤١٧) معلقاً عن الواقدي به.

٣- [إسناده ضعيف]: ذكره الواقدي عن سعد بن راشد عن صالح به، وأخرجه الطبري (٤/ ٤١٨) معلقاً عن الواقدي به.

٤- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٤١٨).

٥- ذكره الطبري في «تاريخه» (٤/ ٤١٨).

وهذا قول نسبه سيف بن عمر إلى أبي حارثة محرز العبشمي وأبي عثمان يزيد بن أُسيد ومحمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم ، قالوا: قتل عثمان رضي الله عنه، وهو ابن ثلاث وستين سنة[١].

وقال آخرون : قتل وهو ابن ست وثمانين.

قال قتادة: قتل عثمان رضي الله عنه وهو ابن ست وثمانين[٢].

قال ابن كثير: أما عمره رضي الله عنه، فإنه جاوز ثنتين وثمانين سنة، وقال صالح بن كيسان: توفي عن ثنتين وثمانين سنة وأشهر، وقيل: أربع وثمانون سنة، وقال قتادة: توفي عن ثمان وثمانين أو تسعين سنة.

وفي رواية عنه توفي عن ست وثمانين سنة.

وعن هشام بن الكلبي: توفي عن خمس وسبعين سنة، وهذا غريب جداً، وأغرب منه ما رواه سيف بن عمر عن مشايخه، وهم محمد وطلحة وأبو عثمان وأبو حارثة أنهم قالوا: قتل عثمان رضي الله عنه عن ثلاث وستين سنة[٣].

واختار خليفة بن خياط[٤]، والذهبي[٥] أنه توفي عن اثنتين وثمانين.

١- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٤١٨) من طريق سيف به.

٢- [إسناده ضعيف]: أخرجه الطبري (٤/ ٤١٨).

٣- «البداية والنهاية» (٧/ ٢١٢).

٤- «التاريخ» (ص/ ١٧٧).

٥- «تاريخ الإسلام» (عهد الخلفاء، ص/ ٤٨١).

ما رثي به عثمان بن عفان رضي الله عنه من الأشعار

تقاول الشعراء بعد مقتله فيه، فمن مادح وهاج، ومن نائح باك، ومن سار فَرِحٍ، فكان ممن يمدحه حسان بن ثابت وكعب بن مالك الأنصاريان، وتميم بن أبي بن مقبل في آخرين غيرهم مما مدحه به.

فقال الشعبي: ما سمعت من مراثي عثمان رضي الله عنه أحسن من قول كعب بن مالك:

فكف يديه ثم أغلق بابه
وأيقن أن الله ليس بغافل
و قال لأهل الدار لا تقتلوهم
عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل
فكيف رأيت الله صب عليهم
العداوة و البغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر بعده
عن الناس أدبار الرياح الحوافل[1].

١- انظر: «المستدرك» للحاكم (٣/ ١١٣).

وقال كعب كذلك:

يا للرجال للبك المخطوف
ولدمعك المترقرق المنزوف

ويح لأمر قد أتاني رائع
هد الجبال فأنقضت برجوف

قتل الخليفة كان أمراً مفظعاً
قامت لذاك بلية التخويف

قتل الإمام له النجوم خواضع
والشمس بازغة له بكسوف

يا لهف نفسي إذ تولوا غدوة
بالنعش فوق عواتق وكتوف!

ولوا ودلوا في الضريح أخاهم
ماذا أجن ضريحه المسقوف!

من نائل أو سودد وحمالة
سبقت له في الناس أو معروف

كـم مـن يـتـيـم كـان يـجـبر عظمه
أمـسـى بمـنـزلـه الـضـيـاع يـطـوف
مـا زال يـقـبـلـهـم ويـرأب ظلمهم
حـتـى سـمـعـت بـرنـة الـتـلـهـيـف
أمـسـى مقيما بالبقيع وأصـبـحـوا
مـتـفـرقـين قـد أجـمـعـوا بـخـفـوف
الـنـار مـوعـدهـم بـقـتـل إمـامـهـم
عـثـمـان ظـهـراً في الـبـلاد، عفيف
جـمـع الحـمـالـة بـعـد حـلـم راجـح
والخـيـر فـيـه مـبـين مـعـروف
يـا كـعـب لا تـنـفـك تـبـكـي مـالـكـاً
مـا دمـت حـيـاً في الـبـلاد تـطـوف
فـابـكـي أبـا عـمـرو عـتـيـقـاً واصـلاً
ولـواءهـم إذ كـان غـير سخيف
ولـيـبـكـه عـنـد الحـفـاظ لمـعـظم
والخـيـل بـين مـقـانـب وصـفـوف

قتلوك يا عثمان غير مدنس

قتلا لعمرك واقفاً بسقيف

وبكاه حسان وهجا به قاتله:

أتركتم غزو الدروب وراءكم

وغزوتمونا عند قبر محمد!

فلبئس هدي المسلمين هديتم

ولبئس أمر الفاجر المتعمد!

إن تقدموا نجعل قرى سرواتكم

حول المدينة كل لين مذود

أو تدبروا فلبئس ما سافرتم

ولمثل أمر أميركم لم يرشد

وكأن أصحاب النبي عشية

بدن تذبح عند باب المسجد

أبكي أبا عمرو لحسن بلائه

أمسى مقيما في بقيع الغرقد

وقال كذلك:

إن تمس دار ابن أروى منه خاوية
باب صريع وباب محرق خرب
فقد يصادف باغي الخير حاجته
فيها ويهوى إليها الذكر والحسب
يا أيها الناس أبدوا ذات أنفسكم
لا يستوي الصدق عند الله والكذب
قوموا بحق مليك الناس تعترفوا
بغارة عصب من خلفها عصب
فيهم حبيب شهاب الموت يقدمهم
مستلئماً قد بدا في وجهه الغضب

وقال كذلك:

من سره الموت صرفاً لا مزاج له
فليأت مأسدة في دار عثمانا
مستشعري حلق الماذي قد شفعت
قبل المخاطم بيض زان أبدانا

صبراً فدى لكم أمي وما ولدت
قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا
فقد رضينا بأهل الشام نافرة
وبالأمير وبالإخوان إخوانا
إني لمنهم وإن غابوا وإن شهدوا
ما دمت حياً وما سميت حسانا
لتسمعن وشيكا في ديارهم
الله أكبر يا ثأرات عثمانا
يا ليت شعري وليت الطير تخبرني
ما كان شأن علي وابن عفانا!

وله فيه أشعار كثيرة.

وقال الوليد بن عقبة بن أبي معيط يحرض عمارة بن عقبة:

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة
قتيل التجيبي الذي جاء من مصر
فإن يك ظني بابن أمي صادقاً
عمارة لا يطلب بذحل ولا وتر

يبيت وأوتار ابن عفان عنده

مخيمة بين الخورنق والقصر

فأجابه الفضل بن عباس:

أتطلب ثأراً لست منه ولا له

وأين ابن ذكوان الصفوري من عمرو!

كما اتصلت بنت الحمار بأمها

وتنسى أباها إذ تسامي أولي الفخر

ألا إن خير الناس بعد محمد

وصي النبي المصطفى عند ذي الذكر

وأول من صلى وصنو نبيه

وأول من أردى الغواة لدى بدر

فلو رأت الأنصار ظلم ابن عمكم

لكانوا له من ظلمه حاضري النصر

كفى ذاك عيباً أن يشيروا بقتله

وأن يسلموه للأحابيش من مصر

وقال الحباب بن يزيد المجاشعي، عم الفرزدق:

لعمر أبيك فلا تجزعن
لقد ذهب الخير إلا قليلا
لقد سفه الناس في دينهم
وخلى ابن عفان شراً طويلا
أعاذل كل امرئ هالك
فسيري إلى الله سيراً جميلا[١]

١- انظر: «تاريخ الطبري» (٤/ ٤٢٣- ٤٢٦).

المبحث خامس

موقف الصحابة ومَن بعدهم من مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وما أعقبهم من الفتنة وسل السيف عليهم

أولاً : الصحابة

ما روي عن علي بن أبي طالب في أمره والبراءة من قتلته

ثبت عن علي رضي الله عنه أنه أقسم بالله عز وجل في غير موطن أنه لم يقتل عثمان، ولم يأمر بقتله، ولم يشارك فيه، ولم يرض به[١].

وثبت كذلك عنه أنه كان يلعن قتلة عثمان، ويدعو عليهم، ويتبرأ منهم[٢]، ويقول: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى:

١- انظر: «الفتن» لنعين بن حماد (رقم/ ٣٩٢، ٤٢٩)، و«المصنف» لعبد الرزاق (رقم/ ٢٠٩٧٢)، و«المصنف» لابن أبي شيبة (رقم/ ٣٨٨٢٦- ٣٨٨٢٩).

٢- انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٨/ ٢٤٣)، و«تاريخ المدينة» (٤/ ١٢٦٠- ١٢٦١)، و«فضائل الصحابة» للإمام أحمد (رقم/ ٧٣٣)، و«فضائل عثمان» لعبد الله بن الإمام أحمد (رقم/ ١٧)، و«الفتن» لنعيم بن حماد (رقم/ ٤٤٨).

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾[1] [2].

وكان يعده من الذين ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3] [4].

ويجعله هو وأصحابه ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[5] [6].

ويقول: والله لوددت أن بني أمية رضوا لنفلناهم خمسين رجلاً من بني هاشم يحلفون ما قتلنا عثمان، ولا نعلم له قاتلاً[7].

١- [الحجر: ٤٧].

٢- [صحيح بمجموع طرقه]: أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» (رقم/ ١٩٤، ٣٧٤)، والبلاذري في «أنساب الأشراف» (٥/ ٤٩٣)، والحاكم (٣/ ١١٣)، والخلال في «السنة» (رقم/ ٥٥٥، ٥٥٦، ٧٦٨)، وصححه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٢١٦).

٣- [المائدة: ٩٣].

٤- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٢٧٢٣)، وعبد الله بن الإمام أحمد في «فضائل عثمان» (رقم/ ٦٠)، وصححه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٢١٦).

٥- [الأنبياء: ١٠١].

٦- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٢٧١٥)، وعبد الله بن الإمام أحمد في «فضائل عثمان» (رقم/ ٦١).

٧- [إسناده صحيح]: أخرجه سعيد بن منصور في «السنن» (رقم/ ٢٩٤٢)، وابن شبة (٤/ ١٢٦٩).

وعن ابن الحنفية، قال: قال علي: لو سيرني عثمان إلى صِرَار[١] لسمعت له وأطعت[٢].

وعن ابن الحنفية كذلك، قال: لما جاء القوم من مصر إلى عثمان رضي الله عنه ليقتلوه أرسل إلى علي رضي الله عنه أن رد هؤلاء عني -وأنا معه غلام حينئذ- فلما انتهى إلى الدار لم يستطع أن يدخل والتحم القتل، فنزع عمامة له سوداء كانت على رأسه فألقاها في الدار، وقال: اللهم اشهد أني لم أقتله ولم أمالئ[٣].

وقال كذلك: كنت عند علي رضي الله عنه إذ أتاه رجل، فقال: إن أمير المؤمنين مقتول، ثم أتاه آخر فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة.

فقام وقمت فأخذت بوسطه خوفاً عليه، فقال: خل لا أم لك. فمضى حتى أتى الدار -وقد قتل الرجل- فجاء فدخل داره فأغلق بابه[٤].

١- قال الخطابي في «غريب الحديث» (٢/ ٥٤): «صِرَار: بئر قديمة، وهي على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق»، وانظر: «معجم البلدان» (٣/ ٣٩٨).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٨٨٥٤)، وابن شبة (٤/ ١٢٠١)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (رقم/ ٢٠٨).

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن شبة (٤/ ١٢١٩، ١٢٢٢)، والخلال في «السنة» (رقم/ ٤٢١).

وأخرج نحوه ابن شبة (٤/ ١٢١٩) عن إبراهيم بن يزيد النخعي.

٤- [إسناده حسن]: أخرجه ابن شبة (٤/ ١٢٢٣).

وقال جبير بن مطعم: حُصِر عثمان حتى كان لا يشرب إلا من فقير[١] في داره، فدخلت على علي فقلت: أرضيت بهذا أن يُحصر ابن عمتك حتى والله ما يشرب إلا من فقير في داره؟

فقال: سبحان الله! أو قد بلغوا به هذه الحال؟

قلت: نعم، فعمد إلى روايا ماء فأدخلها إليه فسقاه[٢].

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: رأيت علياً ﷺ رفع يديه -أو قال: إصبعيه- وقال: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان[٣].

وفي رواية: أنه ذكر ذلك لعبد الملك بن مروان، فقال: ما أرى له ذنباً[٤].

١- قال أبو الهلال العسكري في «التلخيص في معرفة أسماء الأشياء» (ص/ ٢٨١): «الفقير، والجمع فقر، ركايا تُحفر، وينفذ بعضها إلى بعض ليكثر ماؤها».

٢- [إسناده حسن]: أخرجه البلاذري في «أنساب الأشراف» (٥/ ٥٦٨).

٣- [إسناده حسن]: أخرجه ابن سعد (٣/ ٨٢)، وابن شبة (٤/ ١٢٦٤)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (رقم/ ٤٤٥)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (رقم/ ٧٢٧)، وعبد الله بن الإمام أحمد في «فضائل عثمان» (رقم/ ١١).

وأخرج نحوه ابن شبة (٤/ ١٢٢٩) بإسناد رجاله ثقات عن الحسن البصري.

٤- [إسناده حسن]: أخرجه ابن شبة (٤/ ١٢٦٧)، والبغوي في «الجعديات» (رقم/ ٢٢٦١).

وعن أبي جعفر الأنصاري، قال: دخلت مع المصريين على عثمان، فلما ضربوه خرجت أشتد قد ملأت فروجي عدواً حتى دخلت المسجد، فإذا رجل جالس في نحو من عشرة عليه عمامة سوداء، فقال: ويحك ما وراك؟!

قال: قلت قد والله فرغ من الرجل.

قال: فقال : تباً لكم آخر الدهر.

قال: فنظرت فإذا هو علي(١).

وعن قيس بن عُبَاد، قال: سمعت علياً رضي الله عنه يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي وجاءوني للبيعة، فقلت: والله إني لأستحيي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله ﷺ: «**ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة**»، وإني لأستحيي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا، فلما دُفن رجع الناس فسألوني البيعة، فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت، فلقد قالوا: يا أمير

---

١ - [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٨٨٣١)، وسعيد بن منصور في «السنن» (رقم/ ٢٩٣٩).

المؤمنين، فكأنما صدع قلبي، وقلت: اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى[١].

قال ابن كثير: قد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر بجمع الطرق الواردة عن علي أنه تبرأ من دم عثمان، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالأ ولا رضي به، ولقد نهى عنه فلم يسمعوا منه.

ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث ولله الحمد والمنة[٢].

ما روي عن عبد الله بن عمر ومشاورة عثمان له

عن نافع أن الحسن بن علي وعبد الله بن عمر لم يزالا مع عثمان في الدار[٣].

وقال عبد الله بن عمر: قال لي عثمان وهو محصور في الدار: ما ترى فيما أشار به علي المغيرة بن الأخنس؟

قال: قلت: ما أشار به عليك؟

١- [صحيح]: أخرجه الحاكم (٣/ ١٠١)، وصححه.

٢- «البداية والنهاية» (٧/ ٢١٦).

٣- [رجاله ثقات]: أخرجه ابن عساكر (٣٩/ ٣٩٠).

قال: إن هؤلاء القوم يريدون خلعي، فإن خلعت تركوني، وإن لم أخلع قتلوني.

قال: قلت: أرأيت إن خلعت تترك مخلداً في الدنيا؟

قال: لا.

قال: فهل يملكون الجنة والنار؟

قال: لا.

قال: فقلت: أرأيت إن لم تخلع هل يزيدون على قتلك؟

قال: لا.

قلت: فلا أرى أن تسن هذه السنة في الإسلام، كلما سخط قوم على أميرهم خلعوه، لا تخلع قميصاً قمصكه الله(١).

وقال له عثمان رضي الله عنه لما دخل عليه: ما ترى فيما يسألني هؤلاء القوم؟

قال: أرى أن تعطيهم ما وراء عتبة بابك، ولا تخلع لهم سربال الله

١- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن سعد (٣/ ٦٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٨٨١١)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (رقم/ ٧٦٧)، وعبد الله بن الإمام أحمد في «فضائل عثمان» (رقم/ ٥٧).

الذي سربلك من هذه الخلافة(١).

وعن عبد الله بن عامر، قال: كنت مع عثمان رضي الله عنه في الدار، فقال: أعزم على كل من رأى أن لي عليه سمعاً وطاعة إلا كف يده وسلاحه، فإن أفضلكم عني غناء من كف يده وسلاحه.

ثم قال: قم يا ابن عمر فَأَجْرِ بين الناس، فقام ابن عمر وقام معه رجال من قومه من بني عدي، وبني سراقة، وبني مطيع، ففتحوا الباب فدخل الناس، فقتلوا عثمان(٢).

وقال يوم قتل عثمان رضي الله عنه: والله لئن قتلتموه لا تصلوا جميعاً أبداً، ولا تجاهدوا جميعاً أبداً، ولا تحجوا جميعاً أبداً، ولا تجبون فيئاً جميعاً أبداً، إلا أن تحضر الأبدان والأهواء مختلفة(٣).

وعموماً لم يتهيأ عبد الله بن عمر لقتال أحد من أهل القبلة إلا لقتال

١- [إسناده حسن]: أخرجه ابن شبة (٤/ ١٢٢٦)، وأخرجه بنحوه ابن عساكر (٣٩/ ٣٥٦).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٢٧٠١)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (رقم/ ٤٣٦، ٤٤١)، وسعيد بن منصور في «السنن» (رقم/ ٢٩٤٥)، والخلال في «السنة» (رقم/ ٤٣٠).

٣- [رجاله ثقات]: أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» (رقم/ ٤٥٠).

نجدة الحروري حين خاف أن يصدوه عن البيت[١].

ما روي عن حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله

مات حذيفة بعد عثمان بأربعين يوماً[٢].

ولما كانت الليلة التي قبض فيها جعل يقول: أي الليل هذا؟ ثم استوى جالساً، فقال: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ما شهدت، ولا قتلت ولا مالأت على قتله[٣].

وعن خالد بن الربيع العبسي، قال: سمعت حذيفة ﵁ عند موته -وبلغه قتل عثمان ﵁- فقال: اللهم لم آمر، لم أرض، ولم أشهد[٤].

وعن عبد الله بن أبي الهذيل، قال: لما جاء قتل عثمان، قال حذيفة: اليوم نزل الناس حافة الإسلام ، فكم من مرحلة قد ارتحلوا عنه.

١- [إسناده صحيح]: أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» (رقم/ ٤٤٤).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه البخاري في «التاريخ الأوسط» (١/ ٨٠).

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن شبة (٤/ ١٢٤٨).

٤- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن شبة (٤/ ١٢٤٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٨٨٢٤)، والبخاري في «التاريخ الأوسط» (١/ ٨٠).

وأخرج نحوه نعيم بن حماد في «الفتن» (رقم/ ٤٤٧) من طريق زياد بن أبي مريم عن حذيفة به.

وقال ابن أبي الهذيل: والله لقد جار هؤلاء القوم عن القصد حتى إن بينه وبينهم وعورة، ما يهتدون له، وما يعرفونه[١].

وعن زيد بن وهب عن حذيفة، قال: أرأيتم يوم الدار، كانت فتنة يوم عثمان، فإنها أول الفتن، وآخرها الدجال[٢].

وعن زيد كذلك، قال: جاءنا كتاب من عثمان قرئ على الناس: السلام عليك، أما بعد: فإن جيش ذي المروة نزلوا بنا، فكان مما صالحناهم عليه أن يؤدي إلى كل ذي حق حقه، فمن كان له قبلنا حق فليركب إليه، فإن أبطأ أو تثاقل فليتصدق فإن الله يجزي المتصدقين.

فقال الناس: اللهم تصدقنا.

فلبثنا أربعين ليلة ثم جاءنا قتله فجزع الناس من ذلك، فخرجت إلى صاحب لي كنت أستريح إليه، فقلت: قد صنع الناس ما ترى وفينا رهط من أصحاب محمد ﷺ، فاذهب بنا إليهم فدخلنا على أبي موسى وهو أمير الكوفة، فكان قوله: نهيا عن الفتنة والأمر بالجلوس في البيوت.

١- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٨٨٢٣).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٧٠٧٠)، وابن شبة (٤/ ١٢٤٧).

وأخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٧٧٠) عن ابن أبي شيبة به.

فخرجنا فأتينا منزل حذيفة فلم نجده، فأتينا المسجد فوجدناه مسنداً ظهره إلى سارية ومعه رجل، فقلت: إني أظن أن له حاجة فجلسنا دونهما، فجاء رجل فجلس إليهما، فقمنا فجلسنا إليه وهو عاض على إبهامه، وهو يقول: أتتكم ترمي بالنشف[1]، ثم يليها أخرى يرمي بالرضف، ثم المظلمة التي يصبح المرء فيها مهتدياً ويسمى ضالاً، ويسمى مهتدياً ويصبح ضالاً، والعاقل حيران بين ذلك لا يدري أضل أم اهتدى، ألا إن لها دفعات ومثاعب فإن استطعت أن تموت أو تكون في وقفاتها فافعل.

فقال الرجل الذي جلس إليه: جزاكم الله أصحاب محمد شراً فوالله لقد لبستم علينا حتى ما ندري أنقعد أم نقوم! فهلا نهيت الناس يوم الجرعة!

قال: قد نهيت عنها نفسي وابن الخضرامة ولو لم أنهه لكان من القائمين

١- قال ابن اثير في «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/ ٥٨- ٥٩): «النشفة: بالتحريك، وقد

تسكن: واحدة النشف، وهي حجارة سود، كأنها أحرقت بالنار، وإذا تركت على رأس الماء طفت ولم تغص فيه، وهي التي يحك بها الوسخ عن اليد والرجل.

ومنه حديث حذيفة أظلتكم الفتن، ترمي بالنشف، ثم التي تليها ترمي بالرضف، يعني: أن الأولى من الفتن لا تؤثر في أديان الناس لخفتها، والتي بعدها كهيئة حجارة قد أحميت بالنار، فكانت رضفاً، فهي أبلغ في أديانهم، وأثلم لأبدانهم».

فيها والقائلين[١].

وعن جندب الخير، قال: أتينا حذيفة حين سار المصريون إلى عثمان، فقلنا: إن هؤلاء قد ساروا إلى هذا الرجل، فما تقول؟

قال: يقتلونه والله.

قال: قلنا: أين هو؟

قال: في الجنة والله.

قال: قلنا: فأين قتلته؟

قال: في النار والله[٢].

وعن طارق بن شهاب عن حذيفة ﷺ، قال: لن تستخلفوا بعده إلا أصغر أو أبتر، الآخر فالآخر شر[٣].

١- [رجاله ثقات]: أخرجه ابن عساكر (٣٩/ ٤٧٨- ٤٧٩).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٨٨٢٢)، وعبد الله بن الإمام أحمد في «فضائل عثمان» (رقم/ ١٩)، وابن شبة (٣/ ١٠٨١)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٧٢٦).

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن شبة (٤/ ١٢٤٩).
وأخرج نحوه عبد الرزاق في «المصنف» (رقم/ ٢٠٩٦٥) من طريق قتادة عن حذيفة به.

وعن ميمون بن مهران قال: لما قتل عثمان، قال حذيفة هكذا، وحلق بيده، يعني: عقد عشرة: فُتق في الإسلام فتقٌ لا يرتقه جبل[١].

ما روي عن أبي الدرداء

عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، قال: لا مدينة بعد عثمان، ولا رخاء بعد معاوية رضي الله تعالى عنهما[٢].

ما روي عن طلحة بن عبيد الله

عن حكيم بن جابر، قال: سمعت طلحة بن عبيد الله يقول يوم الجمل: إنا كنا قد داهنا في أمر عثمان فلا نجد بُدَّاً من المبالغة[٣].

وفي رواية: إنا داهنا في أمر عثمان فلا نجد اليوم شيئا أمثل من أن نبذل دماءنا فيه، اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى[٤].

١- [فيه ضعف]: أخرجه ابن سعد (٣/ ٨٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٨٨٣٥) من طريق ميمون به، وميمون لم يدرك حذيفة؛ انظر: «جامع التحصيل» (ص/ ٢٩٩).

٢- [حسنه الهيثمي]: أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (رقم/ ٥٢٦)، والطبراني [كما في «مجمع الزوائد» (٩/ ٩٥)]، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٩٥): «إسناده حسن»، وتعقبه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (رقم/ ٧٠٩٤).

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣١٣٤٠).

٤- انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٢٢٢)، و«أنساب الأشراف» (١٠/ ١٢٦).

ما روي عن سمرة بن جندب

قال سمرة رضي الله عنه: إن الإسلام كان في حصن حصين، وإنهم ثلموا في الإسلام ثلمة بقتلهم عثمان، وإنهم شرطوا شرطة، وإنهم لن يسدوا ثلمتهم -أو لا يسدوها- إلى يوم القيامة، وإن أهل المدينة كانت فيهم الخلافة فأخرجوها ولم تعد فيهم[١].

ما روي عن أبي موسى الأشعري

عن أبي عثمان النهدي: قال أبو موسى إن قتل هذا -يعني عثمان- لو كان هدى لاحتلبت به العرب لبناً، ولكنه ضلال فاحتلبوا دماً[٢].

وعن طاوس، قال: قال أبو موسى حين قتل عثمان رضي الله عنه: هذه حيضة من حيضات الفتن، وبقيت الرَّدَاح[٣] المطبقة التي من ماج بها ماجت به،

١- [إسناده حسن]: أخرجه ابن عساكر (٣٩/ ٤٨٣).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٣٦٩)، ومن طريقه ابن عساكر (٣٩/ ٤٨٠).

وأخرج نحوه ابن شبة (٤/ ١٢٤٥)، والخلال في «السنة» (رقم/ ٤٣٨) من طريق قتادة عن أبي موسى به.

٣- أي: الفتنة الشديدة؛ انظر: «تهذيب اللغة» (٤/ ٢٣٨).

ومن أشرف بها أشرفت له[١].

وعن أبي وائل، قال: لما قتل عثمان، قال أبو موسى: إن هذه الفتنة فتنة باقرة كداء البطن، لا ندري أنى تؤتى، تأتيكم من مأمنكم وتدع الحليم كأنه ابن أمس، قطعوا أرحامكم وانتصلوا رماحكم[٢].

ما روي عن عبد الله بن سلام

عن أبي صالح، قال: سمعت عبد الله بن سلام يوم قتل عثمان بن عفان يقول: والله لا تريقون محجماً من دم إلا ازددتم به من الله بُعْداً[٣].

ما روي عن عبد الله بن عباس

عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٤]، قال: هو عثمان بن عفان[٥].

١- [رجاله ثقات]: أخرجه ابن شبة (٤/ ١٢٤٥).

٢- [إسناده حسن]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٨٨٥٨)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (رقم/ ١٢٢).

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن شبة (٤/ ١١٨٠)، وسعيد بن منصور في «السنن» (رقم/ ٢٩٣٨)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (رقم/ ٤٣٧)، وابن سعد (٣/ ٨١).

٤- [النحل: ٧٦].

٥- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٢٧٠٢)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٣٠٦)، وصححه الضياء في «المختارة» (٩/ ٤٨٥).

وقال كذلك: لو أن الناس اجتمعوا على قتل عثمان لرجموا بالحجارة كما رجم قوم لوط[١].

وعن زَهدم الجرمي، قال: خطبنا ابن عباس رضي الله عنهما، فقال: لو أن الناس لم يطلبوا بدم عثمان لرجموا بالحجارة من السماء[٢].

وعن ابن عمر، قال: ما زال ابن عباس ينهى عن قتل عثمان ويعظم شأنه حتى جعلت ألوم نفسي على أن لا أكون قلت مثل ما قال[٣].

ما روي عن سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة

قال سعيد بن زيد: لو انقض أحد مما فعلتم بعثمان كان محقوقاً أن ينقض[٤].

وعن عبد الله بن ظالم، قال: جاء رجل إلى سعيد بن زيد، فقال: إني

١- [حسن لغيره]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٢٦٩٧)، وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائد «فضائل الصحابة» (رقم/ ٧٤٦)، و«فضائل عثمان» (رقم/ ٣٤).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن سعد (٣/ ٨٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٨٤)، و«المعجم الأوسط» (رقم/ ٣٤٥٣)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩ / ٩٧): «رجال الكبير رجال الصحيح».

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه البلاذري في «أنساب الأشراف» (٥/ ٥٩٥).

٤- أخرجه البخاري (رقم/ ٦٩٤٢).

أحببت علياً حباً لم أحبه شيئاً قط.

قال: نعم ما رأيت، أحببت رجلاً من أهل الجنة.

وجاءه رجل، فقال: إني أبغضت عثمان بغضاً لم أبغضه شيئاً قط.

قال: بئس ما رأيت، أبغضت رجلاً من أهل الجنة[١].

ما روي عن سلمة بن الأكوع

عن يزيد بن أبي عُبيد، قال: لما قتل عثمان بن عفان خرج سلمة بن الأكوع إلى الربذة، وتزوج هناك امرأة وولدت له أولاداً، فلم يزل بها حتى قبل أن يموت بليال فنزل المدينة[٢].

ما روي عن أبي هريرة

عن أبي صالح، قال: كان أبو هريرة إذا ذكر قتل عثمان بكى فكأني أسمعه يقول: هاه هاه، ينتحب[٣].

١- [رجاله ثقات]: أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (رقم/ ٩٦٣)، وصححه الضياء في «المختارة» (٣/ ٢٨٠)، وانظر: «علل الدارقطني» (رقم/ ٦٦٣).

٢- أخرجه البخاري (رقم/ ٧٠٨٧).

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٢٧١٣)، وابن سعد (٣/ ٨١)، وسعيد بن منصور في «السنن» (رقم/ ٢٩٤٠).

ما روي عن الحسن بن علي سبط رسول الله

عن طلق بن خُشَّاف، قال: انطلقنا إلى المدينة ومعنا قُرْط بن خيثمة فلقينا الحسن بن علي رضي الله عنه، فقال له قُرْط: فيم قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه؟

قال: قتل مظلوماً.

فقال قُرْط: فوالله لا نجتمع على قتلته.

فقال الحسن: إن تجتمعوا خير من أن تفرقوا(١).

وعن نافع أن الحسن بن علي وعبد الله بن عمر لم يزالا مع عثمان في الدار(٢).

وعن نافع كذلك: أن الحسن بن علي لم يزل مع عثمان وهو محصور حتى عزم عليه ليخرجن(٣).

وعن كنانة، قال: كنت فيمن حمل الحسن بن علي جريحاً من دار

١- [إسناده حسن]: أخرجه ابن شبة (٤/ ١٢٤٥).

٢- [رجاله ثقات]: تقدم تخريجه.

٣- [رجاله ثقات]: أخرجه ابن عساكر (٣٩/ ٣٩٠).

عثمان[١].

ما روي عن أبي بكرة نفيع بن الحارث

عن أبي الأسود، قال: سمعت أبا بكرة، يقول: لأن أخر من السماء فأنقطع، أحب إلي من أن أكون شركت في دم عثمان رضي الله عنه[٢].

ما روي عن زيد بن ثابت

عن زيد بن علي، قال: كان زيد بن ثابت ممن بكى على عثمان يوم الدار[٣].

ما روي عن عدي بن حاتم

عن محمد بن سيرين، أن عدي بن حاتم، قال: قال رجل[٤] لما قتل عثمان: لا ينتطح فيه عنزان، فقلت: بلى، وتفقأ فيه عيون كثيرة[٥].

١- [إسناده حسن]: أخرجه ابن الجعد [كما في «الجعديات» (رقم/ ٢٦٦٥)]، وعنه ابن شبة (٣/ ١١٣١).

٢- [رجاله رجال الصحيح]: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٨٧)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٩٣): «رجاله رجال الصحيح».

٣- [إسناده حسن]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٨٨٥٩)، وابن سعد (٣/ ٨١).

٤- في بعض الروايات أنه عدي نفسه؛ انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (رقم/ ٣٨٨٦٩)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٦٤).

٥- [إسناده حسن]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٨٨٦٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٦٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٩٥): «إسناده حسن».

ما روي عن عبد الرحمن بن عوف

عن إبراهيم بن عبد الرحمن، قال: رأيت عبد الرحمن بن عوف بمنى محلوقاً رأسه يبكي، يقول: ما كنت أخشى أن أبقى حتى يقتل عثمان[١].

ما روي عن عبد الله بن مسعود

عن أبي سعيد مولى عبد الله بن مسعود، قال: قال عبد الله بن مسعود: والله لئن قتلتم عثمان لا تصيبون منه خلفاً[٢].

ما روي عن أبي بن كعب

عن عبد الرحمن بن أبزى، قال: لما وقع من أمر عثمان ما كان، وتكلم الناس في أمره، أتيت أبي بن كعب، فقلت له: أبا المنذر، ما المخرج؟

قال: كتاب الله، قال: ما استبان لك منه فاعمل به وانتفع به، وما اشتبه عليك فآمن به وكله إلى عالمه[٣].

١- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٨٨٩٦).

٢- [إسناده حسن]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٨٢٤٣).

٣- [إسناده حسن]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٨٨٣٦)، والبخاري في «التاريخ الأوسط» (١/ ٤٨٢)، والحاكم (٣/ ٣٤٣).

ما روي عن أبي أُسيد الساعدي

عن سليمان بن يسار أن أبا أُسيد كانت له صحبة فذهب بصره قبل قتل عثمان، فقال: الحمد الله الذي مَنَّ علي ببصري في حياة رسول الله ﷺ، فلما قبض الله نبيه أراد الفتنة في عباده كف بصري (١).

ما روي عن ثمامة بن عدي القرشي

عن أبي قلابة عن أبي الأشعث أن ثمامة القرشي كان على صنعاء، وله صحبة، فلما جاءه قتل عثمان بكى فأطال، ثم قال: اليوم نزعت الخلافة من أمة محمد ﷺ وصارت ملكاً وجبرية، من غلب على شيء أكله (٢).

ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص

عن عقبة بن أوس السدوسي عن عبد الله بن عمرو(٣)، قال: يكون

١- [رجاله ثقات]: أخرجه البخاري في «التاريخ الأوسط» (١/ ٨٢)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٤٤٢).

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١٧٦)، وابن سعد (٣/ ٨٠).

وأخرجه ابن عساكر (١١/ ١٥٩) من طريق البخاري به.

وأخرجه ابن شبة (٤/ ١٢٧٣) عن أبي قلابة أن ثمامة به.

وصحح إسناده ابن حجر في «الإصابة» (١/ ٤١٢) إلى أبي قلابة.

٣- تصحف في «مصنف ابن أبي شيبة» (رقم/ ٣٢٧١٦) إلى «عبد الله بن عمر».

في هذه الأمة اثنا عشر خليفة: أبو بكر أصبتم اسمه، وعمر بن الخطاب قرن من حديد أصبتم اسمه، وعثمان بن عفان ذو النورين أوتي كفلين من الرحمة، قتل مظلوماً، أصبتم اسمه(١).

ما روي عن خباب بن الأرت

عن عبد الله بن أبي الهذيل، قال خباب بن الأرت لابنه حين وقع الناس في أمر عثمان رضي الله عنه: كأني بهؤلاء قد خرجوا في أدنى فتنة، فإذا لقيتهم فيها فكن كخير ابني آدم(٢).

ما روي عن أمهات المؤمنين

ما روي عن أم المؤمنين عائشة

قالت عائشة حين قتل عثمان: مُصْتُم الرجل مَوص الإناء ثم قتلتموه(٣).

١- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٢٧١٦)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (رقم/ ٢٦٣)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (رقم/ ٧٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٨٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٨٩): «رجاله رجال الصحيح غير عقبة بن أوس، وهو ثقة».

٢- [رجاله ثقات]: أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» (رقم/ ٤٥١).

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن سعد (٣/ ٨٢)، وخليفة بن خياط في «تاريخه» (ص/ ١٧٦). =

وعن مسروق عن عائشة، أنها قالت حين قتل عثمان: تركتموه كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه فذبحتموه كما يذبح الكبش، هلا كان هذا قبل هذا!

فقال لها مسروق: هذا عملك أنت كتبت إلى أناس تأمرينهم بالخروج!

فقالت عائشة: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبت إليهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا.

قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها(١).

وعن موسى بن طلحة، قال: قالت عائشة: اسمعوا نحدثكم عما جئتمونا له، إنكم عتبتم على عثمان في ثلاث خلال: في إمارة الفتى، وموضع الغمامة، وضربه بالسوط والعصا، حتى إذا مصتموه موص الثوب بالصابون عدوتم عليه الفقر الثلاث: حرمة البلد، وحرمة الخلافة، وحرمة الشهر الحرام، وإن كان عثمان لأحصنهم فرجاً، وأوصلهم للرحم(٢).

= وروي هذا المعنى من طرق عن عائشة بألفاظ متقاربة؛ فانظر: «تاريخ خليفة بن خياط» (ص/ ١٧٥- ١٧٦)، و«تاريخ المدينة» (٤/ ١٢٤٢).

١- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٢٧١٤)، وابن شبة (٤/ ١٢٢٥)، وابن سعد (٣/ ٨٢)، وصححه ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٤٠).

٢- [إسناده صحيح]: تقدم تخريجه.

وعن جبير بن نفير عن عائشة، قالت: كان القوم يختلفون إلي في عيب عثمان، ولا أرى إلا أنها معاتَبة، وأما دمه، فأعوذ بالله من دمه، والله وددت أني عشت في الدنيا برصاء صالحاً، وإني لم أذكر عثمان بكلمة قط.

فذكرتْ كلاماً فضلتْ عثمان على علي[1].

وعن عروة، قال: دخلتْ علي عائشة أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار فذكرت عثمان، فقالت: يا ليتني كنت نسياً منسياً، والله ما انتهكت من عثمان شيئاً إلا قد انتهك مني مثله، حتى لو أحببت قتله لقُتلت، ثم قالت: يا عبيد الله بن عدي لا يغرنك أحد بعد النفر الذين تعلم؛ فوالله ما احتقرت أعمال أصحاب رسول الله ﷺ حتى نَجَمَ القراء الذين طعنوا على عثمان، فقرأوا قراءة لا يقرأ مثلها، وصلوا صلاة لا يصلى مثلها، وصاموا صياماً لايصام مثله، وقالوا قولاً لا نحسن أن نقول مثله، فلما تدبرت الصنع إذا ما يقاربون أصحاب رسول الله ﷺ، فإذا سمعتَ حسن قول امرئ، فقل: ﴿ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾[2]، ولا يستخفنك أحد[3].

١- [إسناده حسن]: أخرجه ابن شبة (٤/ ١٢٢٥)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (رقم/ ٢٠٩)، والخلال في «السنة» (رقم/ ٥٤٥)، والطبراني في «مسند الشاميين» (رقم/ ٩٤٤).

٢- [التوبة: ١٠٥].

٣- [رجاله ثقات]: أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (رقم/ ٢٠٩٦٧)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (رقم/ ٧٥٠)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (رقم/ ١٨٥)،=

وقال طلق بن خُشَّاف: وفدنا إلى المدينة لننظر فيم قتل عثمان، فلما قدمنا مر منا بعض إلى علي، وبعض إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما، وبعض إلى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فانطلقت حتى أتيت عائشة فسلمت عليها فردت السلام، فقالت: ومن الرجل؟

قلت: من أهل البصرة.

فقالت: من أي أهل البصرة؟

قلت: من بكر بن وائل.

قالت: من أي بكر بن وائل؟

قلت: من بني قيس بن ثعلبة.

قالت: أمن أهل فلان؟

فقلت لها: يا أم المؤمنين، فيم قتل عثمان أمير المؤمنين رضي الله عنه؟

قالت: قتل والله مظلوماً، لعن الله قتلته، أقاد الله ابن أبي بكر به، وساق الله إلى أعين بني تميم هواناً في بيته، وأهراق الله دماء بني بديل على ضلالة،

= والطبراني في «مسند الشاميين» (رقم/ ٣١٠٢) بإسناد رجاله ثقات، وأعله الدارقطني في «علله» (رقم/ ٣٤٧٩) بالانقطاع.

وساق الله إلى الأشتر سهماً من سهامه.

فوالله ما من القوم رجل إلا أصابته دعوتها[١].

ما روي عن أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان

قال الحسن: لما اشتد أمرهم يوم الدار، قال: قالوا: فمن فمن؟

قال: فبعثوا إلى أم حبيبة، فجاءوا بها على بغلة بيضاء وملحفة قد سترت، فلما دنت من الباب قالوا: ما هذا؟

قالوا: أم حبيبة.

قالوا: والله لا تدخل، فردوها[٢].

وعن حميد بن هلال أن أم حبيبة أم المؤمنين دخلت على عثمان رضي الله عنه، وهي في خدرها، وهو محصور، فاطلع رجل منهم في خدرها فنعتها للناس فقالت: ما له؟ قطع الله يده وهتك عورته!

قال: فخرج في بعض تلك الهزاهز فقطعت يده، وذهب على وجهه

١- [إسناده صحيح]: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٨٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٩٧): «رجاله رجال الصحيح غير طلق، وهو ثقة».

٢- [إسناده صحيح]: أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (رقم/ ٧٩٩).

يشتد وعليه إزار فوقع من عنقه، فبقي عرياناً يشتد، وأصابه ما دعت عليه[١].

ما روي عن أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب

قال كنانة مولى صفية: كنت أقود بصفية بنت حيي لترد عن عثمان رضي الله عنه، فلقيها الأشتر فضرب وجه بغلتها حتى مالت، وحتى قالت: ردوني لا يفضحني هذا الكلب، فوضعتْ خشباً بين منزلها ومنزل عثمان رضي الله عنه، تنقل إليه الطعام والشراب[٢].

وفي رواية أنها قالت: ما نقمتم على أمير المؤمنين فأنا له ضامنة[٣].

ما روي عن أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية

عن الحسن، قال: خرج عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة فخطب الناس فقام رجل من تلقاء اليسار، فقال: أسألك كتاب الله.

١- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن أبي الدنيا في «مجابو الدعوة» (رقم/ ٣١)، وابن شبة (٤/ ١٣١٢).

٢- [إسناده حسن]: أخرجه ابن الجعد [كما في «الجعديات» (رقم/ ٢٦٦٦)]، وابن سعد (٨/ ١٢٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣١٢٦١)، وابن شبة (٤/ ١٣١١)، وحسنه ابن حجر في «الإصابة» (٧/ ٧٤١).

٣- [إسناده حسن]: أخرجه ابن شبة (٤/ ١٣١١).

فقال: ويحك، أليس عندك كتاب الله؟

قال: فأمر رجلاً فنهاه، فقام معه رجل وقام مع هذا رجل آخر، وقام مع هذا رجل وقام مع هذا رجل آخر، حتى كثروا، ثم تحاصبوا حتى ما أرى أديم الناس، وكأني أنظر إلى رجل معه مصحف بعثته أم سلمة فصعد سور المسجد ثم نادى الناس: ألا إن هذا ينهاكم عما تفعلون، إن محمداً قد برئ ممن فرق دينه وكان شيعاً[١].

تعليق الحافظ ابن كثير عن موقف الصحابة في ترك قتال الثائرين على عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال ابن كثير: فصل: كيفية قتل عثمان بالمدينة وبها جماعة من كبار الصحابة.

إن قال قائل: كيف وقع قتل عثمان رضي الله عنه، بالمدينة وفيها جماعة من كبار الصحابة، رضي الله عنهم؟

فجوابه من وجوه:

أحدها: أن كثيراً منهم، بل أكثرهم أو كلهم، لم يكن يظن أنه يبلغ

١- [صحيح بمجموع طرقه]: أخرجه الإمام أحمد في «العلل ومعرفة الرجال» (رقم/ ٣٥٩٧)، وابن شبة (٣/ ١١٠٩).

الأمر إلى قتله، فإن أولئك الأحزاب لم يكونوا يحاولون قتله عيناً، بل طلبوا منه أحد أمور ثلاثة: إما أن يعزل نفسه، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم، أو يقتلوه، فكانوا يرجون أن يسلم إلى الناس مروان، أو أن يعزل نفسه ويستريح من هذه الضائقة الشديدة. وأما القتل فما كان يظن أحد أنه يقع، ولا أن هؤلاء يجترئون عليه إلى ما هذا حده، حتى وقع ما وقع. والله أعلم.

الثاني : أن الصحابة مانعوا دونه أشد الممانعة، ولكن لما وقع التضييق الشديد عزم عثمان على الناس أن يكفوا أيديهم ويغمدوا أسلحتهم ففعلوا، فتمكن أولئك مما أرادوا، ومع هذا ما ظن أحد من الناس أنه يقتل بالكلية.

الثالث : أن هؤلاء الخوارج لما اغتنموا غيبة كثير من أهل المدينة في أيام الحج، ولم تقدم الجيوش من الآفاق للنصرة، بل لما اقترب مجيئهم، انتهزوا فرصتهم، قبحهم الله، وصنعوا ما صنعوا من الأمر العظيم.

الرابع : أن هؤلاء الخوارج كانوا قريباً من ألفي مقاتل من الأبطال، وربما لم يكن في أهل المدينة هذه العدة من المقاتلة; لأن الناس كانوا في الثغور وفي الأقاليم في كل جهة وفي الحج.

ومع هذا كان كثير من الصحابة قد اعتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتهم، ومن كان يحضر منهم المسجد لا يجيء إلا ومعه السيف يضعه على حبوته إذا احتبى، والخوارج محدقون بدار عثمان ﷺ. وربما لو أرادوا صرفهم عن الدار لما أمكن ذلك.

ولكن كبار الصحابة قد بعثوا أولادهم إلى الدار يجاحفون عن عثمان ﷺ، لكي تقدم الجيوش من الأمصار لنصرته، فما فجأ الناس إلا وقد ظفر أولئك بالدار من خارجها، وأحرقوا بابها، وتسوروا عليه حتى قتلوه.

وأما ما يذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضي بقتله، فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة أنه رضي بقتل عثمان ﷺ، بل كلهم كرهه، ومقته، وسب من فعله، ولكن بعضهم كان يود لو خلع نفسه من الأمر؛ كعمار بن ياسر، ومحمد بن أبي بكر، وعمرو بن الحمق، وغيرهم[١].

ثانياً: التابعون ومَن بعدهم

ما روي عن عبد الله بن عُكيم

عن هلال بن أبي حميد، قال: قال عبد الله بن عُكيم: لا أعين على قتل خليفة بعد عثمان أبداً.

١- «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٤٤- ٣٤٥).

قال: فقيل له: وأعنت على دمه؟

قال: إني أعد ذكر مساوئه عوناً على دمه[١].

ما روي عن سعيد بن المسيب

قال سعيد بن المسيب: وقعت الفتنة الأولى -يعني: مقتل عثمان- فلم تبق من أصحاب بدر أحداً، ثم وقعت الفتنة الثانية -يعني: الحرة- فلم تبق من أصحاب الحديبية أحداً، ثم وقعت الثالثة فلم ترتفع، وللناس طَبَاخٌ[٢][٣].

ما روي عن طاوس بن كيسان

عن طاوس، قال: قال له رجل: ما رأيت أحداً أجرأ على الله تعالى من فلان.

١- [إسناده حسن]: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ٣٢٧٠٦)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٣١)، وابن سعد (٣/ ٨٠)، والبلاذري في «أنساب الأشراف» (٥/ ٥٩٧).

٢- قال ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ٣٢٥): «قوله: طَبَاخ، بفتح المهملة والموحدة الخفيفة وآخره معجمة، أي: قوة».

٣- [إسناده حسن]: أخرجه البخاري معلقاً (٥/ ٨٦)، ووصله ابن شبة (٤/ ١٢٧٤)، وابن أبي خيثمة في «التاريخ الكبير» (٢/ ١٢١)، وانظر: «فتح الباري» (٧/ ٣٢٥)، و«تغليق التعليق» (٤/ ١٠٥).

قال: إنك لم تر قاتل عثمان[١].

ما روي عن محمد بن سيرين

عن محمد بن سيرين، قال: قالوا: هذا أفضلنا فاستعملوه، ثم قالوا: هو شرنا فقتلوه، يعني: عثمان بن عفان[٢].

وعن ابن عون عن محمد بن سيرين، قال: كانوا لا يفقدون الخيل البلق في المغازي حتى قتل عثمان، فلما قتل فقدت فلم ير منها شيء، قال: كانوا يرونها الملائكة.

قال: وكانوا لا يختلفون في الأهلة حتى قتل عثمان، فلما قتل عثمان لبست عليهم.

قال: وكانت الصدقة تدفع إلى النبي ﷺ ومن أمر به، وإلى أبي بكر الصديق ومن أمر به، وإلى عمر بن الخطاب ومن أمر به، فلما قتل عثمان

١- [فيه ضعف]: أخرجه البغوي في «معجم الصحابة» (٤/ ٣٣٦)، ومن طريقه ابن عساكر (٣٩/ ٤٤٥).

وذكره يحيى بن معين [كما في «تاريخ الدوري» (رقم/ ٥٥٢)]، ومن طريقه ابن عساكر (٣٩/ ٤٤٥) معلقاً عن طاوس به.

٢- [إسناده حسن]: أخرجه ابن شبة (٤/ ١٢٧٠)، وابن عساكر (٣٩/ ٤٩٤).

اختلفوا فرأى قوم يقسمونها برأيهم، ورأى قوم يرفعونها إلى السلطان.

قال ابن عون: وسمعت إبراهيم النخعي يقول: لما نزلت ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾[١]، قال أصحاب النبي ﷺ: ما خصومتنا هذه؟ وإنما نحن إخوان، فلما قتل عثمان، قالوا: هذه هذه[٢].

ما روي عن الحسن البصري

كان رحمه الله يصف قتلة عثمان بالأعلاج[٣].

وعن أبي الأشهب أن الحسن كان لا يسمي محمد بن أبي بكر باسمه، إنما كان يسميه الفاسق[٤].

وعن قرة بن خالد، قال: سمعت الحسن يقول: أخذ الفاسق محمد بن

١- [الزمر: ٣١].

٢- [صحيح بمجموع طرقه]: أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (رقم/ ٦٩٢٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم/ ١٠٢٩٤)، وابن شبة (٤/ ١٢٧١)، وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائد «فضائل الصحابة» (رقم/ ٧٦٤)، و«فضائل عثمان» (رقم/ ٥٤)، واللفظ له.

٣- انظر: «تاريخ خليفة بن الخياط» (ص/ ١٧٦).

٤- [إسناده حسن]: أخرجه ابن سعد (٣/ ٨٣)، والبلاذري في «أنساب الأشراف» (٥/ ٥٩٨).

أبي بكر في شعب من شعاب مصر، فأدخل في جوف حمار فأحرق[1].

ما روي عن عبد الله بن أبي الهذيل الكوفي

عن الأعمش، قال: ذهبت أنا وفِطْر إلى عبد الله بن أبي الهذيل نسأله عن حديث.

فقال: يقتل عثمان وتسألون عن الأحاديث[2]!

ما روي عن طلحة بن مصرف

قال الأعمش: قال لي طلحة بن مصرف: أبى قلبي إلا حب عثمان ﵁[3].

ما روي عن يزيد بن أبي حبيب

عن ابن المبارك عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب، قال: بلغني أن عامة الركب الذين ساروا إلى عثمان ﵁ جُنُّوا.

١- [رجاله ثقات]: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٨٤)، وعنه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١/ ١٤٧)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٩٧): «رجاله ثقات».

٢- [إسناده حسن]: أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٥٥٧).

٣- [إسناده صحيح]: أخرجه ابن الجعد [كما في «الجعديات» (رقم/ ٢٧٣٧)]، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٥٥٨).

قال ابن المبارك: وكان الجنون لهم قليلاً[١].

ما روي عن كعب الأحبار

قال أبو صالح ذكوان السمان: قال كعب بن مالك ومسجد المدينة يبنى: والله لوددت أنه لا يبنى منه برج إلا سقط برج.

فقيل له: يا أبا إسحاق، ألم تقل: إن صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام؟!

قال: وأنا أقول ذلك، ولكن فتنة نزلت من السماء ليس بينها وبين أن تقع إلا شبراً، ولو قد فرغ من بناء هذا المسجد وقعت، وذلك عند قتل هذا الشيخ عثمان بن عفان.

فقال قائل: أوِ ليس قاتله كقاتل عمر؟

فقال كعب: بلى، مائة ألف أو يزيدون.

١- [إسناده حسن]: أخرجه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (رقم/ ٣٣٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٨٨)، والآجري في «الشريعة» (رقم/ ١٤٤٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٩٤): «إسناده حسن».

ثم يحل القتل ما بين عدن أبين إلى دروب الروم، وجيش يخرج من الغرب، وجيش يخرج من المشرق، فيلتقون بأرض يقال لها صفين، فيكون بينهم ملحمة عظيمة، ثم لا يفترقون إلا عن حكمين[١].

وحكى الإمام مالك ذلك عن كعب، وقال: فكان كذلك[٢].

ما روي عن عبد الرحمن بن مهدي

قال عبد الرحمن بن مهدي: خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبي بكر ولا لعمر: صبره نفسه حتى قتل مظلوماً، وجمعه الناس على المصحف[٣].

ما روي عن أبي سلمة التبوذكي

قال أبو سلمة التبوذكي: كان عثمان خيرهم يوم استخلفوه، وكان يوم قتل خيراً منه يوم استخلفوه، وكان في جمعه القرآن كأبي بكر في الردة[٤][٥].

١- [رجاله ثقات]: تقدم تخريجه.

٢- انظر: «فتح الباري» (٢/ ١٨٣)، و«التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» (٢/ ٣٩٦).

٣- [إسناده صحيح]: تقدم تخريجه.

٤- [إسناده صحيح]: تقدم تخريجه.

٥- هذا المبحث مستفاد من «جامع الآثار القولية والفعلية الصحيحة للخليفة الراشد عثمان بن عفان» لعاطف حماد (ص/ ٣٧٤- ٤٠٢) بتصرف شديد.

المبحث السادس

ولاية الأمر بعد عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال عروة بن الزبير: أخبرني مروان بن الحكم، قال: أصاب عثمان بن عفان رعاف شديد سنة الرعاف، حتى حبسه عن الحج، وأوصى، فدخل عليه رجل من قريش، قال: استخلف.

قال: وقالوه؟

قال: نعم.

قال: ومن؟

فسكت، فدخل عليه رجل آخر - أحسبه الحارث بن الحكم -، فقال: استخلف.

فقال عثمان: وقالوا؟

فقال: نعم.

قال: ومن هو؟

فسكت.

قال: فلعلهم قالوا: الزبير؟

قال: نعم.

قال: أما والذي نفسي بيده، إنه لخيرهم ما علمت، وإن كان لأحبهم إلى رسول الله ﷺ[١].

وقال عروة كذلك: سمعت مروان يقول: كنت عند عثمان أتاه رجل، فقال: استخلف.

قال: وقيل ذاك؟

قال: نعم، الزبير.

قال: أما والله إنكم لتعلمون أنه خيركم -ثلاثاً-[٢].

١- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٧١٧).

٢- أخرجه البخاري (رقم/ ٣٧١٨).

الخاتمة

هذا هو عثمان بن عفان ﷺ الخليفة الراشدي الثالث، حياته صفحة مشرقة في تاريخ الأمة الإسلامية.

قد قمت بتتبع أخباره وحياته وعصره، وقمت بترتيبها وتنسيقها وتوثيقها وتحليلها؛ لكي تصبح في متناول أبناء أمتي على مختلف طبقاتهم؛ من علماء ودعاة وخطباء وساسة ومفكرين، وقادة جيوش، وحكام، وطلاب علم، وعامة الناس، لعلهم يستفيدون منها في حياتهم، ويقتدون بها في أعمالهم فيكرمهم الله بالفوز في الدارين.

وقد رأينا سيرته ﷺ في صورتها النيرة تمثل حياته:

وليداً وشاباً في أعز أرومة عربية نسباً وثراءً.

ورجلاً يسرع إلى الإسلام مع أول نداء، وهو أتم ما يكون رجولية، واكتفاءً بنفسه عن الناس.

ومسلماً يعتز به الإسلام فيعزه، وينتصر به فينصره، آثر دينه وعقيدته على وطنه وأهله وماله.

وصهراً لرسول الله ﷺ على بنتيه: رقية وأم كلثوم، ما لم يعرف لأحد

غير من سائر المسلمين.

ومجاهداً بروحه وماله، فلم يُعرف عنه أنه تخلف عن موقف جهاد أو غزوة غزاها رسول الله ﷺ إلا واحدة، وكان تخلفه عنها بأمر النبي ﷺ؛ لتمريض زوجه بنت رسول الله ﷺ، وأنفق من ماله في سبيل الله وتأييد دعوة الإسلام ما لم يُنفق مثله مسلم قط.

ووزيراً وأميناً للصديق والفاروق خليفتي رسول الله على الأمة من بعده.

وخليفة على المسلمين بعد عمر بن الخطاب، فكان ثالث الراشدين عدلاً وحلماً ورحمة، وكان أحب الناس في الناس لتعطفه، وصفاء سريرته، ودماثة طبعه، وقوة صبره، ورأفته برعيته، وغامر عطاياه، وبره وإحسانه إلى كل من يلوذ به من المؤمنين.

عالم بالحلال والحرام، جامع لكتاب الله العزيز، سهل ممتنع، كريم معطاء، لين، واصل للرحم، محب لأهله وعشيرته، مكرم لهم إلى حد جعلهم يتطاولون على مقامه، ويسيئون للأمة باسمه، لكن مع هذا كله فهو مؤمن بما وعده عليه الصلاة والسلام بأن الله سيقمصه قميصاً فلا ينزعه، وسيهلك دونه. فقد أدى ما أمره الله ورسوله، فصدق ما عاهد به وقضى نحبه.

هذه صورته ﷺ، صورناه كما صنعه الله تعالى، وكما رأيناه في مرآة التاريخ مجلوة من صدأ الأغاليط، وباطل الروايات، وأساطير الأقاصيص.

وإن كان يلاحظ فيها بعض الهنات، فالمرء لا يُعاب بزلة يسيرة حصلت منه في فترة من فترات حياته وتاب منها، فالعبرة بكمال النهاية، لا بنقص البداية، لا سيما وإن كانت له حسنات ومناقب ولو لم يزكه أحد، فكيف إذا زكاه خالقه العليم بذات الصدور!

فمما لا شك فيه إنه ﷺ من الأئمة الذين يتأسى الناس بهديهم وبأقوالهم وأفعالهم في هذه الحياة؛ فسيرته من أقوى مصادر الإيمان، والعاطفة الإسلامية الصحيحة والفهم السليم لهذا الدين.

وأما عن لجاجة تلطيخ تراثنا وتاريخ آبائنا بالأوزار والأدناس، فلا تصدر إلا من طبع سقيم وخلقة عوجاء، وليس المرجع فيها إلى فهم ودراسة، ولكنها ترجع إلى مسخ في الكيان يسلخ المبتلى به في مسالخ العدو المبين لنوع الإنسان.

ونحمد الله على نصيبنا من هذه الكراهية لها، كما نحمده على نصيبنا من تلك الثقة في أمجاد أمتنا.

وأُشهده سبحانه أني اجتهدت في دراسة شخصيته وعصره حسب وسعي وطاقتي، غير مدع عصمة ولا متبرئ من زلة، ووجه الله الكريم لا غيره قصدتُ، وثوابه أردتُ، وهو المسئول في المعونة عليه، والانتفاع به، إنه طيب الأسماء وسميع الدعاء.

هذا، ونسأل الله عز وجل أن يرزقنا وإخواننا المسلمين العلم النافع، وأن يهدينا سواء السبيل، إنه هو السميع البصير، القدير على كل شيء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت

أستعفرك وأتوب إليك

قائمة المصادر

١. القرآن الكريم

٢. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لشهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (ت ٨٤٠ هـ)، تحقيق: دار المشكاة بإشراف أبي تميم ياسر بن إبراهيم، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ).

٣. الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٣٩٤ هـ).

٤. الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، لضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي (ت ٦٤٣ هـ)، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الطبعة الأولى (١٤١٠ هـ).

٥. أخبار مكة في قديم العهد وحديثه، لأبي عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي (ت ٢٧٢ هـ)، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر، بيروت، الطبعة الثانية (١٤١٤ هـ).

٦. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي (ت ٢٢٣ هـ)، تحقيق: رشدي الصالح، دار الثقافة، الطبعة السادسة (١٤١٤ هـ).

٧. الأسامي والكنى، لأبي أحمد الحاكم الكبير (ت ٣٧٤ هـ)، تحقيق: يوسف بن محمد الدخيل، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى (١٤١٤ هـ).

٨. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل.

٩. أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري ابن الأثير (ت٦٣٠ هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ).

١٠. الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، طبعة دار هجر، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي.

١١. أضواء البيان في تاريخ القرآن، لصابر حسن محمد أبي سليمان، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى (١٤٢١ هـ).

١٢. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، لأبي الربيع سليمان الحميري (ت ٦٣٤)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ).

١٣. الإمامة والرد على الرافضة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ)، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الطبعة الثالثة (١٤١٥ هـ).

١٤. الأموال، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ).

١٥. الأموال، لحميد بن زنجويه (ت ٢٥١ هـ)، تحقيق: شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل، الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ).

١٦. الأمين ذو النورين وأسرته، لمحمود شاكر (ت ١٤١٨ هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى (١٩٨١ م).

١٧. الانتصار للقرآن، لأبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ)، تحقيق: محمد عصام القضاة، دار الفتح، الطبعة الأولى (١٤٢٢ هـ).

١٨. أنساب الأشراف أو جمل من أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى

البلاذري (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ).

١٩. البحر الزخار المعروف بمسند البزار، لأبي بكر أحمد بن عمرو العتكي البزار (ت ٢٩٢ هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وتتمة المحققين بعده، مؤسسة علوم القرآن ببيروت ومكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة.

٢٠. البداية والنهاية، لأبي الفداء ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ).

٢١. البيان والتبيين، لعمرو بن بحر الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، دار الهلال، (١٤٢٣ هـ).

٢٢. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٢٣. تاريخ ابن جرير الطبري أو تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، دار التراث.

٢٤. تاريخ أبي زرعة الدمشقي، لعبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله المشهور بأبي زرعة الدمشقي (ت ٢٨١ هـ)، تحقيق: شكر الله القوجاني،مجمع اللغة العربية بدمشق.

٢٥. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: بشار عود معروف، الطبعة الأولى (٢٠٠٣ هـ).

٢٦. التاريخ الأوسط، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، تحقيق: محمد بن إبراهيم اللحيدان، دار الصميعي، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ).

٢٧. تاريخ القضاعي أو عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، لمحمد بن سلامة بن جعفر القضاعي (ت ٤٥٤ هـ)، جامعة أم القرى.

٢٨. التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة -السفر الثالث-، لابن أبي خيثمة أحمد بن زهير بن حرب (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق: صلاح بن فتحي هلال، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

٢٩. التاريخ الكبير أو أخبار المكيين، لابن أبي خيثمة أحمد بن زهير بن

حرب (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق : إسماعيل حسن حسين، دار الوطن، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ).

٣٠. التاريخ الكبير، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، توزيع دار الباز.

٣١. تاريخ المدينة المنورة أو أخبار المدينة النبوية، لأبي زيد عمر بن شبه النميري البصري (ت ٢٦٢ هـ)، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار التراث، الطبعة الأولى (١٤١٠ هـ).

٣٢. تاريخ خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ)، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الطبعة الثانية (١٤٠٥ هـ).

٣٣. تاريخ مدينة دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ).

٣٤. تاريخ ولاة مصر، لأبي عمر محمد بن يوسف الكندي (ت ٣٥٠ هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ).

٣٥. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لمحمد بن عبد الرحمن بن

عبد الرحيم المباركفوري (ت ١٣٥٣ هـ)، دار الكتب العلمية.

٣٦. تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، لمحمد أمحزون، دار السلام، الطبعة الثانية (١٤٢٨ هـ).

٣٧. تفسير ابن جرير الطبري أو جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث بدار هجر، الطبعة الأولى (١٤٢٢ هـ).

٣٨. تفسير ابن كثير أو تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية (١٤٢٠ هـ).

٣٩. التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان لمحمد بن يحيى بن محمد الأندلسي (ت ٧٤١ هـ)، تحقيق: محمود يوسف زايد، دار الثقافة، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ).

٤٠. تهذيب الآثار، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، مسند عمر بن الخطاب، ومسند علي بن أبي طالب، ومسند

ابن عباس، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ومسند عبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير، تحقيق : علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى (١٤١٦ هـ).

٤١. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لجمال الدين المزي (ت ٧٤٢ هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤١٣ هـ).

٤٢. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى (٢٠٠١ م).

٤٣. تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان أو سيرة عثمان، لعلي بن محمد الصلابي، الطبعة الأولى (١٤٢٣ هـ).

٤٤. الثقات، لابن حبان البستي (ت ٣٥٤ هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند، تصوير: مؤسسة الكتب الثقافية.

٤٥. جامع الآثار القولية والفعلية الصحيحة للخليفة الراشد عثمان بن عفان لعاطف حماد، دار الفضيلة، الطبعة الأولى (١٤٣٢ هـ).

٤٦. جامع التحصيل في أحكام المراسيل، لصلاح الدين العلائي (ت ٧٦١ هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، الطبعة الثانية (١٤٠٧ هـ).

٤٧. الجامع لأحكام القرآن أو تفسير القرطبي، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية (١٣٨٤ هـ).

٤٨. جزء ابن عرفة، للحسن بن عرفة العبدي (ت ٢٥٧ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة دار الأقصى، الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ).

٤٩. جمهرة أنساب العرب لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٠٣ هـ).

٥٠. حديث خيثمة بن سليمان الأطرابلسي (ت ٣٤٣ هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي (١٤٠٠ هـ).

٥١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن

أحمد الأصبهاني، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية (١٣٨٧ هـ).

٥٢. خريدة العجائب وفريدة الغرائب، لأبي حفص عمر بن المظفر بن الوردي الحلبي (٨٥٢ هـ)، تحقيق: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى (١٤٢٨ هـ).

٥٣. الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري، جمع وتوثيق يحيى بن إبراهيم اليحيى، دار الهجرة.

٥٤. الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثانية (١٤٠٣ هـ).

٥٥. دلائل النبوة، لأحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ).

٥٦. الدوحة النبوية، لفاروق حمادة، دار القلم، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ).

٥٧. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر أو تاريخ ابن خلدون لعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الإشبيلي (ت ٨٠٨ هـ)، تحقيق: خليل شحادة،

الطبعة الثانية (١٤٠٨ هـ).

٥٨. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام لعبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١ هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى (١٤٢١ هـ).

٥٩. الرياض النضرة في مناقب العشرة لأحمد بن عبد الله بن محمد محب الدين الطبري (ت ٦٩٤ هـ)، دار الكتب العلمية.

٦٠. زاد المعاد في هدي خير العباد لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم (ت ٧٥١ هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة والعشرون (١٤١٥ هـ).

٦١. الزهد، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، دار الريان، الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ).

٦٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، المكتب الإسلامي ومكتبة المعارف.

٦٣. سلسلة الأحاديث الضعيفة، للألباني، المكتب الإسلامي ومكتبة المعارف، التواريخ مختلفة في السلسلتين جميعاً.

٦٤. السُّنة، لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال (ت ٣١١ هـ)، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، الطبعة الأولى (١٤١٠ هـ).

٦٥. السنة، لأبي بكر بن عاصم (ت ٢٨٧ هـ)، تحقيق: باسم بن فيصل الجوابرة، دار الصميعي، الطبعة الأولى (١٤١٩ هـ).

٦٦. سنن ابن ماجه (ت ٢٧٣ هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الجيل، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ).

٦٧. سنن أبي داود (ت ٢٧٥ هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ومحمد كامل، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى (١٤٣٠ هـ).

٦٨. سنن الترمذي أو الجامع الكبير (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى (١٤٣٠ هـ).

٦٩. سنن الدارقطني، الحافظ علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢٤ هـ).

٧٠. سنن الدارمي أو مسند الدرامي، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن

بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي التميمي السمرقندي (ت ٢٥٥ هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع.

٧١. السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند، تصوير دار المعرفة ببيروت (١٤١٣ هـ).

٧٢. سنن النسائي أو المجتبى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ)، يعتمد في ذلك ترقيم عبد الفتاح أبي غدة مع مراجعة النص على طبعة دار التأصيل.

٧٣. سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: جماعة، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة (١٤٠٩ هـ).

٧٤. السير، لأبي إسحاق الفزاري (ت ١٨٦ هـ)، رواية: عبد الملك بن حبيب عنه، تحقيق: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ).

٧٥. السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي، أبو حاتم الدارمي البُستي (ت ٣٥٤ هـ)، صحّحه، وعلق عليه السيد عزيز بك، وجماعة من العلماء، الكتب الثقافية.

٧٦. سيرة النبي ﷺ، لأبي محمد عبد الملك بن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، دار المعرفة، الطبعة الأولى (ت ١٤٢١ هـ).

٧٧. الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الطبعة الثانية (١٤٢٠ هـ).

٧٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة (١٤٠٧ هـ).

٧٩. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (ت ٣٥٤ هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية (١٤١٤ هـ).

٨٠. صحيح ابن خزيمة (ت ٣١١ هـ)، تحقيق: ماهر ياسين الفحل،

وترقيمه مطابق لترقيم الأعظمي، دار الميمان للنشر والتوزيع.

٨١. صحيح البخاري، دار التأصيل المعتمدة على الطبعة السلطانية، مع اعتماد ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، وإليها الإحالة برقم الحديث، وإلى الأولى أو أصلها الاعتماد في ضبط النص.

٨٢. صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النورين، لمجدي فتحي السيد، دار الصحابة، الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ).

٨٣. صحيح تاريخ الطبري، لمحمد بن طاهر البرزنجي، دار ابن كثير، الطبعة الأولى (١٤٢٨ هـ).

٨٤. صحيح سنن ابن ماجه، للألباني (ت ١٤٢٠ هـ)، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ).

٨٥. صحيح سنن النسائي، للألباني(ت ١٤٢٠ هـ)، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ).

٨٦. صحيح مسلم، يعتمد في ضبط النص على طبعة استانبول المصححة على عدة نسخٍ خطية معتمدة عام (١٣٢٩ هـ)، وفي الإحالة على

ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

٨٧. صفة الصفوة، لجمال الدين ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق: محمود فاخوري، دار الوعي بحلب، الطبعة الأولى (١٣٨٩ هـ).

٨٨. الضعفاء الصغير، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي بحلب، الطبعة الأولى (١٣٩٦ هـ).

٨٩. ضعيف تاريخ الطبري، لمحمد بن طاهر البرزنجي، دار ابن كثير، الطبعة الأولى (١٤٢٨ هـ).

٩٠. ضعيف سنن أبي داود، للألباني(ت ١٤٢٠ هـ)، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ).

٩١. الطبقات الكبرى لابن سعد (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة) (ت ٢٣٠ هـ)، تحقيق: زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية (١٤٠٨ هـ).

٩٢. الطبقات الكبرى، لابن سعد (الطبقة الخامسة من الصحابة/ قسم متمم) (ت ٢٣٠ هـ)، تحقيق: محمد بن صامل السلمي،

مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة الأولى (١٤١٤ هـ).

٩٣. الطبقات الكبرى، لابن سعد (ت ٢٣٠ هـ)، دار صادر، بيروت، تصوير دار الفكر.

٩٤. عثمان بن عفان ذو النورين لمحمد رضا (ت ١٣٦٩ هـ).

٩٥. عثمان بن عفان ذو النورين، لعباس العقاد (ت ١٩٦٤ هـ)، مؤسسة هنداوي.

٩٦. عثمان بن عفان، لصادق إبراهيم عرجون، الدار السعودية، الطبعة الثانية (١٤٠٢ هـ).

٩٧. عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، لناصر بن علي، مكتبة الرشد، الطبعة الثالثة (١٤٢١ هـ).

٩٨. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني (ت ٥٨٥ هـ)، دار إحياء التراث العربي.

٩٩. العواصم من القواصم في تحقيق موقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ لمحمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣ هـ)، تعليق: محب الدين الخطيب، وزارة الشئون الإسلامية بالمملكة العربية

السعودية، الطبعة الأولى (١٤١٩ هـ).

١٠٠. غريب الحديث لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، الطبعة الأولى (١٣٩٧ هـ).

١٠١. غزوة الحديبية لأبي فارس، دار الفرقان.

١٠٢. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، طبعة الدار السلفية بعناية محب الدين الخطيب.

١٠٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ)، تحقيق: مكتب دار الحرمين، دار الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ).

١٠٤. فتنة مقتل عثمان بن عفان، لمحمد بن عبد الله الغبان، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، الطبعة الثانية (١٤٢٤ هـ).

١٠٥. فتوح البلدان لأحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩ هـ)، دار الهلال (١٩٨٨ هـ).

١٠٦. الفردوس بمأثور الخطاب لشيرويه بن شهر دار الديلمي (ت

٥٠٩ هـ)، تحقيق: السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ).

١٠٧. فضائل الصحابة، لأحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٠٣ هـ).

١٠٨. فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٩٠ هـ)، تحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، دار ماجد عسيري، الطبعة الأولى (١٤٢١ هـ).

١٠٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي (١٠٣١ هـ)، المكتبة التجارية، الطبعة الأولى (١٣٥٦ هـ).

١١٠. القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)، تحقيق: مكتب مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الثامنة (١٤٢٦ هـ).

١١١. الكامل في التاريخ، لعز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، تحقيق:

عمر تدمري، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ).

١١٢. الكامل في ضعفاء الرجال، للحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥ هـ)، تحقيق: محمد أنس مصطفى الخن، طبعة الرسالة العالمية.

١١٣. كتاب الفتن لأبي عبد الله نعيم بن حماد (ت ٢٢٨ هـ)، تحقيق: سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ).

١١٤. الكفاية في علم الرواية، لأحمد بن علي بن ثابت أبي بكر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: أبي عبد الله السورقي، وإبراهيم المدني، المكتبة العلمية.

١١٥. كنز العمال في سنن الأقوال والأعمال، للمتقي الهندي (ت ٩٧٥ هـ)، تحقيق: بكري حياني، وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة (١٤٠١ هـ).

١١٦. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي ابن منظور (ت ٧١١ هـ)، دار صادر، الطبعة الثالثة (١٤١٤ هـ).

١١٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي بكر الهيثمي (ت ٨٢٧ هـ)، دار الريان، الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ).

١١٨. مجموع الفتاوى، لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن القاسم، مجمع الملك فهد (١٤١٦ هـ).

١١٩. المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٢١ هـ).

١٢٠. مختار الصحاح، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦ هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الطبعة الخامسة (١٤٢٠ هـ).

١٢١. مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري دراسة نقدية، ليحيى بن إبراهيم اليحيى، دار العاصمة.

١٢٢. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية.

١٢٣. مسند أبي يعلى الموصلي، لأحمد بن علي بن المثنى (ت ٣٠٧ هـ)،

تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى (١٤١٦ هـ).

١٢٤. مسند الإمام أحمد (ت ٢٤١ هـ)، تحقيق: جماعة من المحققين بإشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى(١٤٢١ هـ).

١٢٥. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ)، دار الفكر، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ).

١٢٦. المصاحف، لأبي بكر بن أبي داود السجستاني (ت ٣١٦ هـ)، تحقيق: سليم عيد الهلالي، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع.

١٢٧. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لشهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (ت ٨٤٠ هـ)، تحقيق: محمد المنتقي، دار العربية، الطبعة الثانية (١٤٠٣ هـ).

١٢٨. المصنف في الأحاديث والآثار، للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (٢٣٥ هـ)، تحقيق: محمد عوامة، شركة دار القبلة.

١٢٩. المصنف، للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، المجلس العلمي بالهند، الطبعة الثانية (١٤٠٣ هـ).

١٣٠. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، النسخة المسندة، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، تحقيق: غنيم بن عباس، وياسر بن إبراهيم، دار الوطن، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ).

١٣١. معجم الأدباء، لياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى (١٤١٤ هـ).

١٣٢. المعجم الأوسط، للطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله، وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ).

١٣٣. معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، دار صادر، الطبعة الثانية (١٩٩٥ م).

١٣٤. معجم الصحابة، لأبي الحسين عبد الباقي بن قانع (ت ٣٠١ هـ)، تحقيق: أبي عبد الرحمن صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ).

١٣٥. المعجم الكبير للطبراني المجلدان الثالث عشر والرابع عشر، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية سعد بن عبد الله الحميد.

١٣٦. المعجم الكبير، للطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.

١٣٧. المغازي، لمحمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ)، تحقيق: الدكتور مرسون جونس، عالم الكتب، الطبعة الثالثة (١٤٠٤ هـ).

١٣٨. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ).

١٣٩. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لمحي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية (١٤٢٣ هـ).

١٤٠. موسوعة التاريخ الإسلامي، لأحمد شلبي (ت ٢٠٠٠ م)، مكتبة النهضة، الطبعة الرابعة عشرة (١٩٩٦ م).

١٤١. الموطأ، للإمام مالك (ت ١٧٩ هـ) برواية يحيى بن يحيى الليثي، ترقيم: محمد فؤاد، دار إحياء التراث (١٤٠٦ هـ).

١٤٢. نزهة المجالس ومنتخب النفائس، لعبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري (ت ٨٩٤ هـ)، المطبعة الكاستلية (١٢٨٣ هـ).

١٤٣. نسب قريش، لمصعب الزبيري (ت ٢٣٦ هـ)، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، الطبعة الثالثة.

١٤٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ)، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية (١٣٩٩ هـ).

الفهرست

تم بحمد الله